جامعة القديس يوسف
كلية الآداب والعلوم الانسانية
فرع الآداب العربية

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٠٦١٨

أبو سلمى الاديب الانسان

رسالة ماجستير

أعدها

مصطفى محمد الفار

٠٠٢٦٢٦
٦١٨

واشرف عليها

الاستاذ الدكتور أسعد احمد علي

جامعة أم القرى / مكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

سنة ١٩٨٠م

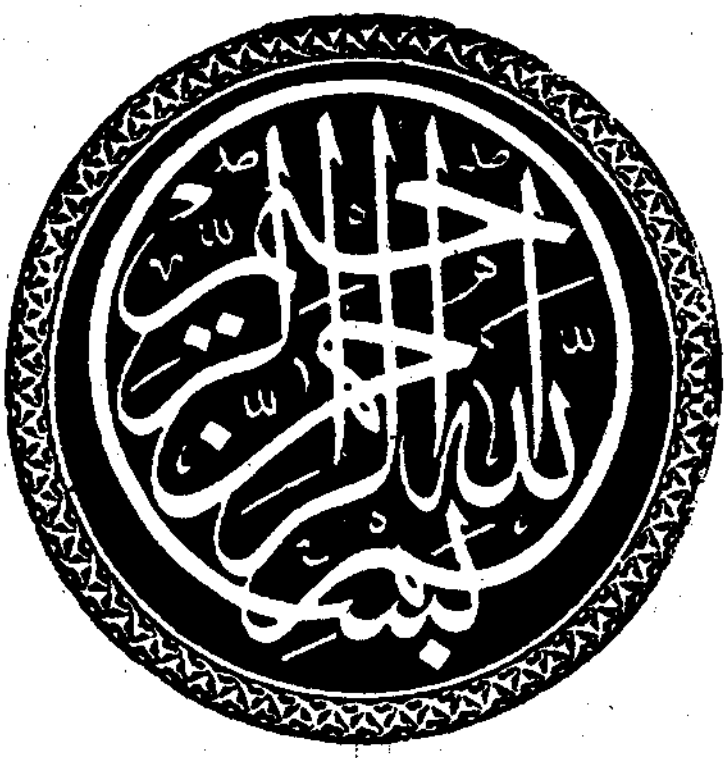
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

يحتل عبدالكريم الكرمي الملقب بأبي سلمى من تاريخ الشعر العربـــــي المعاصر مكانة بارزة ، فقد عاصر عدة اجيال قبل النكبة الفلسطينية وبعدهـــا ، وهو احد ثلاثة شعراء فلسطينيين كانوا علامات حضراً في الشعر الفلسطيني قبـــل نكبة ١٩٤٨م وهم : ابراهيم طوقان وعبدالرحيم محمود ، وأبو سلمى .

وقد كان عشقي بشعر ابي سلمى واضحا منذ الصغر ، فشعره صادق غاضـــب ، وقد كان ابو سلمى في طليعة الشعراء الواقفين مع الشعب في نضاله في زمـــن كان فيه الشعراء يدبجون القصائد الطوال في مدح الملوك والامراء ، فكان ذلـــك من الاسباب التي احتذبتني اليه ودفعتني الى الكتابة عنه .

كذلك ، من الدوافع التي حفزتني الى هذه الدراسة الأدبية حول أبي سلمى ، أن ما كتب عنه لا يعدو مجموعة من المقالات المتفرقة في المجلات الأدبية العربية المهجرية ، أو جزءا من دراسة شاملة للأدب والشعر الفلسطيني بعامة ، كدراســة الدكتور صالح الأشتر في شعر النكبة الفلسطينية ، ودراسة الدكتور عبدالرحمن ياغي عن حياة الأدب الفلسطيني ، ودراسة الدكتور كامل السوافيري عن الشـــعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ، والاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيـــني ، ودراسة الدكتور ناصر الدين الاسد في الشعر الحديث في فلسطين والاردن ، ودراسة الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي عن الشعر العربي الحديث .

لكن هذه الدراسات الجزئية المتفرقة ، لم تفه حقه ، ولا تغني عن دراســة منهجية تدرس لأبي سلمى الشاعر ، والأديب صورة واضحة متكاملة ، يمكن من خلالهـــا دراسة شعره وأدبه دراسة شاملة متئدة تمتد من اواخر العشرينات حين كان فـــتى يافعا ، وحتى الآن وهو في شيخوخته بعد أن تخطى السبعين .

ولعل العامل الأهم ، هو أن الشاعر الفلسطيني وهو صوت شعبه ، ولســـان أمته ، كان له دور فاعل في مقاومة الاستعمار والصهيونية منذ نكبت بـــــلاده

بالانتداب البريطاني ، فكان سلاحا فتاكا من أسلحة المقاومة ضد سياسة التهويد والقمع ، وأبو سلمى عاش مرحلة ما قبل النكبة ، وأسهم بالكلمة المقاتلة والكفاح الدائب ضد المدوين اللدودين : الصهيونية والاستعمار ، كما عاش مرحلة ما بعد النكبة كمثقف ثوري ملتزم بتطلعات الجماهير ، فقد ظل يحمل وطنه فلسطين في كل جارحة من شعره سواء أكان عن طريق التبعير بالثورة أم بالوصف أم بتخليد الشهداء ، أم بتصوير لواعج الحنين في نفسه الى حبيبته وصباه ووطنه ، أم بشعره الناقم الساخط ضد القيد ، وضد العبيد ، وضد محن الانكسارات واحتلال الأرض والوطن ، وقد انتبهت له اللجنة الخاصة بجائزة " اللوتس " الأدبية المنبثقة عن منظمة الأدباء الأفرو آسيوية ومنحته جائزتها لعام ١٩٧٨ .

من أجل ذلك ، فان دراسة شعره وأدبه بصورة متكاملة تفيد في القاء مزيد من الضوء على مراحل النضال الفلسطيني باعتباره جزءا من حركات التحرر على الصعيدين العربي والعالمي ، فضلا عما يمكن أن تفيده مثل هذه الدراسة في القاء الضوء على انسانيته وانسانية أشعاره وممارساته .

انطلاقا من هذه العوامل والافكار عولت على اعداد هذه الدراسة الاكاديمية .

وحين شرعت في تحديد أطر هذه الدراسة ، ورسم معالمها وأبعادها ، كان الموضوع يبدو شائكا ، ولا يخلو من مشكلات كثيرة ، وجوانب متعددة ، فدراسة أبي سلمى وشعره تعني التعرض لتجربة معاصرة ما تزال تنتج وتعطي ، وفي ذلك ما فيه من صعوبة في الاستقصاء والمتابعة .

وقد كان من بين الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة : فقد أبي سلمى للكثير من آثاره القلمية شعرا ونثرا ، وفي أن معظم قصائده غير مرتبة تاريخيا الأمر الذي يجد الباحث من العسير عليه تتبع تطور الشاعر عبر المراحل المختلفة ، وقد استطعت أن أحصل على كثير من قصائده التي لم تتضمنها مجموعاته الشعرية ، وديوانه الكامل بعد أن قضيت سنوات ثلاثا في البحث والاستقصاء والاطلاع على الصحف الفلسطينية والعربية اليومية التي كانت موجودة قبل النكبة ،

وتحملت كثيرا من العناء في سبيل الحصول على نسخ منها كما استطعت الحصول على عدد كاف من مقالاته ، ومحاضراته ذات القيمة الفنية والتراثية ، وقد استعنت بعدد من أصدقائي لتزويدي ببعض المصادر البعيدة عن متناول يدي والتي لا يتوافر وجودها في المكتبات .

ولم تكن هذه الصعوبات هي الوحيدة التي واجهتني ، بل كان للأحداث الدامية المؤسفة التي وقعت في لبنان العزيز تأثير على اتصالاتي بأستاذي المشرف على هذه الأطروحة ، وبخاصة ابان وجوده في لبنان .

وأمام مشكلة تحصيل المصادر ، والعثور عليها ، ومشكلة تنظيم الدراسات اللازمة للاعداد والبحث كان لا بد من تقسيمها الى فئات عمن اثبتها في مكانها من ثبت المصادر والمراجع .

الفئة الاولى : مصادر البحوث التاريخية والسياسية والاجتماعية في النكبة الفلسطينية .

الفئة الثانية : المجموعات الشعرية للشاعر ، ومؤلفاته ومجموعات الشعراء المعاصرين ودواوينهم .

الفئة الثالثة : مجموعة مختارة من كتب النقد والدراسات الأدبية أهمها التي تبحث في الأدب الفلسطيني ، فالكتب التي تبحث في الأدب والنقد العربي .

الفئة الرابعة : مجموعة من الصحف الفلسطينية والعربية والمجلات العربية الشهرية والاسبوعية .

الفئة الخامسة : الوثائق والمخطوطات التي حصلت عليها من الشاعر نفسه ومنها الرسائل التي تبادلها مع الادباء والشعراء مما تعتبر اكتشافا جديدا لم يسبق الاشارة اليه من قبل .

وقد قسمت هذه الدراسة الى أربعة فصول مهدت لها أولا بتمهيد يشتمل على البيئة العامة محاولا دراسة المجتمع الفلسطيني من سنة ١٩١٨ - ١٩٤٨ وهي المرحلة التي عاش فيها ابو سلمى طفولته وشبابه قبل النكبة " دراسة سياسية

واجتماعية وثقافية موجزة ، لم يكن الهدف منها اعطاء صورة تاريخية مجملة عن هذه المرحلة ، مستغلصة من دراسات الباحثين والمؤرخين بقدر ما كان الهدف هو الكشف عن العوامل الهامة التي أثرت في تفكير الشاعر الأديب وتكوينه النفسي منذ نشأته حتى الوقت الحاضر ، وهذا ما دفعني لاتناول في الفصل الاول من هذه الدراسة حياة الأديب الشاعر ، وقد كانت هذه الدراسة بمثابة أرض صلبة وقفت عليها خلال تناولي لأبي سلمى وشعره ، كما كانت عاملا قويا في فهم آرائه ومبادئه وسلوكه وعلاقاته بمعاصريه .

في الفصل الثاني من هذه الدراسة تناولت فيه موضوعات شعره بالعرض والتحليل ، وفي الفصل الثالث تناولت الخصائص الفنية لشعره محاولا من خلال هذه الدراسة أن أضع أبا سلمى في موضعه الصحيح من تاريخ الشعر الفلسطيني بخاصة والعربي بعامة .

وفي الفصل الرابع حاولت تسليط الاضواء على نثر ابي سلمى " الذي ما زال مجهولا لدى الكثيرين " فأثرت البحث فيه في مجالين : مجال النقد الأدبي ، ومجال النقد الاجتماعي ، كما عرضت وحللت آثاره القلمية المطبوعة منها والمخطوطة ، وبينت قيمتها الأدبية والتاريخية .

ثم ختمت هذا الفصل بخاتمة أوجزت فيها السمات العامة التي تلوح في أدبه شاعرا وناثرا .

أما منهجي في هذه الدراسة فهو المنهج الفني الذي يتخذ من النص موضوعا للدراسة يحدد خصائصه ، ويوضح قيمته ، ويضيء جوانبه ، واستعنت بالمنهج التاريخي في النقد الذي يعتمد على الصلة الوثيقة بين الأدب والتاريخ ، ويرى أن أدب الأمة تعبير صادق عن حياتها وبيئتها وأن فهمه وتفسيره يتوقفان على معرفة تاريخها .

وبعد ، فقد جهدت جهدي في محاولة دراسة الأديب الشاعر أبي سلمى ، وكل ما أرجوه أن أكون وفيته حقه وقمت بشيء من الواجب تجاه هذا الشاعر

والأديب الانسان ، وتجاه الأدب العربي .

وانني لأشكر لأستاذي الفاضل الدكتور أحمد احمد علي ما أسداه الي خلال اعدادي الأطروحة من ارشاد وعون ثمينين .

والله نسأل أن يبلغنا الغاية ويجنبنا الضلال .

مصطفى محمد الفار

تمهيـــد

تحتل فلسطين موقع القلب من الوطن العربي فهي الجسر الذي يعبر منـــه العرب في آسيا الى اخوانهم في افريقيا ، وهي الطريق الطبيعي الذي يصل البحر المتوسط بالسهول الداخلية وصحارى شبه الجزيرة العربية .

لقد لعب هذا المركز المتوسط أدوارا كبيرة في حياة الوطن العربـــي خلال الفترات التاريخية ، فقد كانت فلسطين معبرا لغزوات كثيرة أتتها مـــن الشرق ومن الغرب . ففي العصور القديمة غزاها الفراعنة ومن أشهرهم تحتمس . ومن العراق غزاها سرجون الثاني الأشوري في القرن الثامن قبل الميلاد . ومـــن العراق أيضا غزاها بختنصر في القرن السادس قبل الميلاد ، وخرب القدس وأزال دولة اليهوديين الجنوبية ، ومن الفاتحين المشهورين الذين اتخذوا من فلسطين جسرا لهم : كورش الفارسي في القرن السادس قبل الميلاد والاسكندر المقدونـــي في القرن الرابع قبل الميلاد .

وفي العصور الوسطى لعبت فلسطين دورا خطيرا مماثلا . فمنها نزل عمرو ابن العاص الى مصر وفتحها ، ومنها تسلل الصليبيون الى مصر ، وعلى أرضهـــا جرت معارك اشترك فيها جنود الشام ومصر وألحقوا بالصليبيين والمغول هزائـــم ساحقـة .

يضاف الى ذلك ، أن فلسطين كانت طريقا موصلا بين مراكز الحضارة الاسلامية في الشرق والغرب ونعني بذلك بغداد والكوفة والبصرة ودمشق من ناحيـــة ، والقاهرة وتونس والقيروان ومراكش من ناحية أخرى .

ولم تكن فلسطين في عهد العرب دولة منفصلة بل كانت جزءا من وحـــدة أكبر[1] ، وقد كانت كذلك في عهد الرومان والدول التي سبقتهم ، وعندمـــا انتقلت فلسطين وسائر سورية الى الحكم العثماني في القرن السادس عشـــر ، ظلت حياة الشعب سائرة على وتيرتها الأولى دون أن تتغير وفقا للتقاليد الموروثة ،

(١) محمود الدرقاوي - المجتمع العربي - سلسلة اقرأ - دار المعارف القاهرة ط ١ - ١٩٦١ ص ٤٧ .

العرب عن الصهيونيين أنفسهم ، هذا في الوقت الذى كانت فيه المدارس اليهودية مستقلة في ادارتها وتوجيهها وتعيين مناهجها وبرامجها الدراسية (١) .

ولم تكتف حكومة الانتداب بكل ذلك ، بل عملت على تمريد ألوف العمال والمزارعين العرب الذين كانوا يطردون بالقوة من أراضيهم وأعمالهم ، ويقابلون بالرصاص في كل هبة أو محاولة للمقاومة أو التذمر للتعبير بالطرق المشروعة عن أحاسيسهم المكبوتة ، فامتلأت سجون فلسطين بأحرار العرب وشبابهم المناضل وسيطر على المجتمع الفلسطيني جو فظيع من الحكم الارهابي البوليسي الذى يستهدف العرب وحدهم ، بينما نعم اليهود الصهيونيون في حرية لا مثيل لها لتمكين دعائم استعمارهم الاجرامي .

وفي ظل هذه السياسة الاستعمارية ، تم لليهود ما أرادوه ، فقفز عددهم في فلسطين من (٥٥) ألفا عام ١٩١٨ الى أكثر من (٤٠٠) ألف عام ١٩٤٦ ثم الى (٧٥٠) ألف يهودى عام ١٩٤٧ (٢) فسيطروا على مرافق البلاد ، وأقاموا مئات المستعمرات في جميع أنحاء فلسطين .

وفي هذه الفترة المشؤومة أزيلت اعشرات القرى العربية من الوجود وانتقلت مساحات شاسعة من الأراضي الى أيدى اليهود .

ولئن كان اليهود لم يستحوذوا - رغم جهودهم الحثيثة - الا على نحو (٧٪) من مجموع اراضي فلسطين ، الا أن ما تسرب من أيدى عرب فلسطين لا يزيد عن (٢٥٠,٠٠٠) دونم أى ثمن (١/٨) الأراضي التي تسربت الى أيدى اليهود (٣) ، وكان وقوع الكثير منها في ظروف قاهرة ، اذ على الرغم من أن البلاد كانت في حال بؤس وفقر ، فقد عملت حكومة الانتداب على تحصيل الضرائب من الفلاح العربي بصورة ترهق كاهله ، كما عملت على تنزيل أسعار غلات البلاد تنزيلا عظيما وذلك بمنع اصدار الغلال والزيت الى الخارج كما استعمل اليهود

---

(1) A.L. Tibawi. Arab Education in Mandatory- Palestine - London - W.C.I 1956 P. 13.

(٢) اميل الغورى - المؤامرة الكبرى - دار النيل للطباعة - القاهرة ط ١ ١٩٥٥ ص ٤٣

(٣) أمين الحسيني - حقائق عن قضية فلسطين - القاهرة - ط ١ ١٩٥٤ ص ١١ - ١٢

سلاح المقاطعة في قتل الزراعة العربية .

ونتيجة لهذه السياسة المتحيزة من جانب حكومة الانتداب ، قام العرب الفلسطينيون بهبات وانتفاضات ، وشهدت جبال فلسطين وسهولها ووديانها أكثر من ثورة عربية ضد الاستعمار البريطاني والمدو الصهيوني ، ولكن أسباب الفشل وعوامل الوعي والطاقات الكفاحية لم تكن متكافئة بين الطرفين(١).

ومع ذلك كله ، لم تتوقف الانتفاضات العربية ولم تستكن ، فمنها الاصطدام الدموى الاول في القدس سنة ١٩٢٠ فثورة يافا سنة ١٩٢١ وثورة البراق سنة ١٩٢٩ والانتفاضة سنة ١٩٣٣ وحركة القسام سنة ١٩٣٥ فالثورة الكبرى عام ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، وطوال هذه المراحل العنيفة ، كان الانجليز يلجأون الى ارسال اللجان لدراسة الحالة في فلسطين دون أن يأخذوا برأى هذه اللجان الذى كان دوما الى جانب العرب ، مما جعل العرب يوقنون بأن ارسال هذه اللجان انما هو لتخدير العرب وتمكين اليهود من انتزاع فلسطين من أصحابها الشرعيين ، وكان آخر هذه البيانات الكتاب الابيض عام ١٩٣٩ الذى حمل للعرب وعودا بوقف الهجرة اليهودية ووضع حد لاستملاك اليهود أراضي جديدة ، والتوقف عن الاستمرار في ترسيخ دعائم الوطن القومي اليهودى ، والعمل على انشاء مؤسسات للحكم الذاتي في البلاد ، وقد رفض عرب فلسطين الكتاب الابيض لعدم ثقتهم بوعود بريطانيا التي ثبت فعلا من قبل ومن بعد عدم جدية وعودها وجدواها ، ولأنهم أصلا رفضوا الحكم البريطاني والاستيطان الصهيوني الذى نشأ في ظله ... ورفض الصهيونيون أيضا الكتاب الأبيض ، لأنه لم يحقق لهم ما أرادوه في تلك المرحلة ، وبدأوا يمارسون اعمال عنف متفرقة ومفتعلة ضد الجنود البريطانيين والمؤسسات الحكومية ، وساعدهم على ذلك أنهم كانوا قد جندوا اعدادا كبيرة من الشباب الصهيوني في المنظمات العسكرية الارهابية ولا سيما (الهاجاناه) التي رعت الحكومة البريطانية نشأتها في ظل الوكالة اليهودية وأغفت عن نشاطها .

---

(1) Fayez A. Sayegh - Zionist Colonialism in Pal. Beirut-1965- P. 17.

وبعد الحرب العالمية الثانية ، خرجت بريطانيا متهدمة ، وعلى الرغم من انتصارها ، انتقل مركز الثقل الاستعماري الى الولايات المتحدة ، وفي الثاني من نيسان سنة ١٩٤٧ أحالت بريطانيا القضية الفلسطينية الى هيئة الامم المتحدة ، ووضعت لجان هيئة الأمم المتحدة مشروعا لتقسيم فلسطين خلافا للمنطق الذي تفرضه نسبة ملكية الاراضي وتوزيع السكان ، اذ رسم قرار التقسيم الذي قدم كتوصية ، فلسطين الى ستة اجزاء رئيسية ، ثلاثة منها تمثل ٥٦٪ من مجموع مساحة البلاد لاقامة دولة يهودية فيها ، وضمت الأجزاء الثلاثة الاخرى بما فيها جيب يافا وتمثل ٤٣٪ من مجموع المساحة لاقامة دولة عربية فيها ، أما القدس وما يحيط بها وتمثل ٥٪ فقد خصصت لتكون قطاعا دوليا تتولى ادارته الامم المتحدة (١) ، ونلاحظ في هذا التقسيم ان المناطق التي يملكها ويقطنها يهود، داخلة ضمن رقعة الدولة اليهودية ، ولكن أضيفت اليها مساحات بكاملها يملكها ويقطنها عرب. فقد أدخلت منطقة النقب وهي تشمل حوالي نصف مجموع أراضي البلاد ، ولم تكن ملكية اليهود فيها تتجاوز ٥و١٪ - أدخلت في المنطقة المخصصة للدولة اليهودية (٢) ، ونتيجة لهذا القرار الجائر فقد رفض العرب أن تتحكم الاقلية اليهودية بالاكثرية العربية ، كما رفضوا التقسيم لأنه تضمن انتقاصا على حقوقهم الطبيعية وخرقا لميثاق هيئة الامم المتحدة والاعراف الدولية وحق الشعوب في تقرير المصير .

وتبع اقرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٧ على مسرح هيئة الامم المتحدة أحداث دامية في فلسطين ، وقام اليهود بسلسلة من المذابح ضد السكان العرب الآمنين ، فكانت مذبحة دير ياسين أقسى هذه المذابح وأبشعها (٣) حدثت في ٩ نيسان سنة ١٩٤٨ .

---

(١) فخري صافيه - مجلة الثقافة العربية - عدد ممتاز عن فلسطين - السنة الثانية - العدد الثاني - أيار ، حزيران سنة ١٩٥٨ ص ١٧ .

(٢) اميل الغوري - المؤامرة الكبرى - اغتيال فلسطين - دار النيل - القاهرة ط ١ ١٩٥٥ ص ١٩٩

(٣) اميل الغوري - المؤامرة الكبرى - اغتيال فلسطين - دار النيل للطباعة - القاهرة ط ١ ١٩٥٥ ص ٢٣٠

وما أن أطل يوم ١٥ أيار سنة ١٩٤٨ حتى كانت القوات الصهيونية قد احتلت معظم الاراضي المخصصة لليهود في مشروع التقسيم بالاضافة الى مناطق أخرى مخصصة للعرب (١)، وقد تأزم الوضع في فلسطين بدخول جيوش الدول العربية الى جانب المتطوعين العرب في جيش الانقاذ .

وأعلنت دولة اسرائيل ، وبادرت الولايات المتحدة الامريكية والدول الكبرى الى الاعتراف بها ، ودلت المحاولات التي دارت رحاها أن الجيوش العربية لم تكن مستعدة للحرب ، كما أنها لم تكن مزودة بأوامر كافية ولا خطط عسكرية ولا بذخائر ... وهكذا أسفرت أحداث سنة ١٩٤٨ عن سقوط معظم أرض فلسطين بيد الصهيونيين ، ونزوح (٧٥٠) ألف عربي فلسطيني عن ديارهم وتحولهم الى لاجئين .

وفي الحق ، ومع كثير من الأسف ، فقد كان نضال عرب فلسطين ووقوفهم في وجه المؤامرات الانجليزية والصهيونية ، دون مستوى الاحداث التي كانت تعصف بهم وتهدد وجودهم . صحيح أن الشعب الفلسطيني لم يكن ينقصه الاقدام والحماس من أجل الدفاع عن وجوده ، ولكن كانت تنقصه القيادة الحكيمة القادرة على تمثيل الشعب والافادة من طاقاته النضالية .

وهكذا ، وبعد صراع دموي طويل لم تكن فيه القوى متكافئة ، انهار الحق الأعزل ، الحق العربي المريح أمام الباطل القوي ، باطل الامبريالية العالمية والصهيونية .

يتضح من هذا العرض الموجز أن فلسطين لم تنعم باستقرار سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي منذ الحرب العالمية الاولى حتى النكبة ، ففي الوقت الذي اتخذت فيه الحركة الوطنية في فلسطين طابعا قوميا ، فان الاقطار العربية كانت مستعمرة أو شبه مستعمرة ، وقد ساعد هذا الوضع الامبريالية العالمية والصهيونية على الانفراد بعرب فلسطين الذين لم تكن قوتهم - بأية حال - متوازية مع الاعداء .

---

(١) كرستوفر سايكس - ترجمة خيري حماد - مفارق الطرق الى اسرائيل - دار الكتاب العربي - بيروت ط ١ ١٩٦٦ ص ٥٢٢

تناقلتها الأجيال العربية منذ الثلاثينات ورددتها في انتفاضاتها ومظاهراتها .

أنثر على لهب القصيد شكوى العبيد الى العبيد

يتضح من هذا أن الشعراء الفلسطينيين أحسوا أن في جسم الوطن جرحا كبيرا أورثه ضعفا وعدم قدرة على الجسم لتبعثر قواه وقصور وسائله ، وأن هذا الموروث للشعر الفلسطيني من : ابراهيم طوقان وعبدالرحيم محمود وأبي سلمى قد تطور الى شعر مقاومة على أيدي محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وسالم جبران ورفاقهم ، ويكبر هذا الشعر لتشمل النسمة كل الأدب العربي الذي يقاوم الصهيونية وحليفتها الامبريالية العالمية ، ويصبح شعر المقاومة مع الأيام رافدا من روافد النضال القومي وسلاحا في معركة التحرر من الاستعمار واسترداد الحق السليب في فلسطين .

حيـــاتـــه

- مولده ونشأتـه
- مراحل دراســته ونشأتـــه
- لقبـــــــه
- موهبتـــــه
- ثقافتـــــه
- حياته الزوجيـــة
- ابو سلمى معلمـــا
- ابو سلمى في دار الاذاعـة
- ابو سلمى بعـد النكبـــة

جامعة أم القرى / مكة المكرمة

مولده ونشأته :

ولد عبدالكريم بن سعيد بن علي بن منصور الكرمي في مدينة طولكرم في فلسطين عام ١٩٠٩م.

وهذه المدينة تقع بين حيفا ويافا ، وتتوسط سهلاً خصبا وفير الاخضرار يمتد مسافات شاسعة ... ومن وراء ذلك يرسل البحر تحياته وسلامه من بعد .

وقد عظم شأن هذه المدينة عندما جعلها العثمانيون في أواخر القرن التاسع عشر مركزا لقضاء بني صعب ، وأصبح قضاء بني صعب مركزا ممتازا من العلم والتعليم بين سائر الأقضية في فلسطين في عهد العثمانيين وابان الانتداب البريطاني .

وقد ذكر طولكرم كثير من الشعراء ومن أبرزهم : شاعر القطرين (خليل مطران) عندما زارها سنة ١٩٢٥ واحتفى به شبابها فحياهم بقصيدة منها هذه الأبيات (١) :

انا وَجَدْنا وقد طَالَ المَطافُ بِنا ... في طُولكَرْمَ رِجالَ الطَّوْلِ والكَرَمِ
حيّاهُمُ اللهُ ما أحلى شمائِلَهُمْ ... وما أجَلَّ الذي فيهم من الشِّيَمِ
لا زالت القُدْوَةُ الحَسْناءُ قُدْوَتَهُمْ ... لِقَوْمِهِمْ بِثَباتِ الرأيِ والهِمَمِ

كما تشتهر هذه المدينة بأنها أعطت الحياة الفكرية والأدبية والدينية آل الكرمي وقد شهرت هذه الاسرة بالعلم والدين والأدب ، فنبغ عدد من أفرادها كعلماء وأدباء (٢) ، فلا غرو بعد ذلك انا رأينا هذه المدينة تجود على فتاها

---

(١) ديوان الخليل ج ٣ - نظم الخليل - دار الهلال - نشر دار المعارف - القاهرة ١٩٤٩ ص ٩٧ .

(٢) أصل آل الكرمي من اليمن ، فقد جاءوا من هذا الاقليم لفتح مصر مع عمرو بن العاص ولما تم فتح مصر وقسمت أرضها على الفاتحين بأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، خرج سهمهم في اقليم الشرقية الذي سكنته عدة قبائل ما زالت معروفة في هذا الاقليم حتى الآن ، ولا يزال أقرباء آل الكرمي يقيمون في قرية شنيارة الطنينات ويعرفون ببيت الدحار . خير الدين الزركلي - الاعلام ج ١ ط ٢ - بيروت ١٩٦٩م ص ١٣١ .

عبدالكريم بفطرة عجيبة وذكاء وقّـــاد .

أما والده فهو الشيخ سعيد بن علي بن منصور الكرمي (١٨٥٢ - ١٩٣٥) العالم المشهور وأحد طلائع رجال النهضة العربية المعاصرة ، لم يحن هامتـــه للاضطهاد والظلم ولم تحمل نفسه أو تعرف طريقا الى الخوف والتخاذل ، ولقـــد تحمل في سبيل ذلك النفي والسجن ، وكان ضمن القافلة الاولى التي حكم علـــى أفرادها بالاعدام في محكمة عاليه ، ثم أبدل بالسجن المؤبد نظرا لشيخوختـــه .

كان فقيها بالدين واللغة ، عالما بأسرارها ، أديبا يحسن الخطابـــة كما كان شاعرا مجيدا ، وله قصائد يحاكي فيها شعراء الجاهلية بالجزالـــة كما كان مرجعا يعتمد عليه ويستشهد بأقواله وآثاره .

عمل نائبا لرئيس المجمع العلمي بدمشق ، كما عمل من بعد قاضيا للقضاة في حكومة الشرق العربي " شرقي الاردن " ثم رئيسا لأول مجمع علمي في الأردن في عهد الأمير عبدالله بن الحسين .

تزوج الشيخ سعيد أربع نساء أنجب منهن ستة وعشرين ولدا وثلاث بنـــات (١) ويعكس بيت الشعر التالي الذي كتب على جدار ديوانه بطولكرم مدى اعتزازه بأولاده :

نِعَمُ الإله على العبادِ كثيرةٌ وأجلُّهنَّ نجابَةُ الأولادِ (٢)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - الشيخ سعيد الكرمي - سيرته العلمية والسياسية - دمشق - ط ١ ١٩٧٣ ص ٨ .

(٢) من أبناء الشيخ سعيد الذكور : يوسف ، (أحمد شاكر) ، محمود ، محمد ، حسن ، حسين ، عبدالغني ، عبدالكريم ، نبهان ، عبدالله ، نبيه ، ومـــن الاناث : صفاء ، سعاد وزبيده ، أما أبرز أبنائه فهم : ١) أحمد شاكـــر الذي وصفه الأستاذ اسعاف النشاشيبي بقوله : النابغ الناقد ، مازنـــي الشام وعقاده . ٢) محمود : وهو أديب شاعر عمل مدرسا ومفتشـــا للمعارف ، اتهمته السلطات البريطانية بنظم الاناشيد الحماســـية للطلاب . ٣) عبدالغني عمل سكرتيرا في صحيفة الجامعة الاسلاميـــة ببافا ثم رئيسا لديوان الملك عبدالله لفترة من الزمـــن .

٤) حسن : صاحب البرنامج الناجح المذاع من القسم العربي للاذاعـــة البريطانية بعنوان : قول على قول ، وله معجم المنار - انجليـــزي عربي - ويضم بين صفحاته البالغة ٩١٣ قرابة ٤٠٠٠٠ كلمـــة

٥) عبدالكريم وهو صاحب هذه الدراســـة .

فتح أبو سلمى عينيه على ظلامات مرة انتابت قومه في كافة أمصارهم على يد الأتراك العثمانيين الذين صبوا جام الويلات والمصائب على العرب.

وفزع وتألم لهذة العسف والظلم الذى حاق بشعبه وقومه ، ولا ينسى عبدالكريم وهو طفل صغير لا يتعدى الخمس سنوات ، حينما كان واقفا مع والدته أمام داره في طولكرم ، عندما جاء جنود من الأتراك ومعهم ضابط ودخلوا الى الديوان ثم خرجوا ومعهم والده ويقول عبدالكريم(١) : انه كلما سأل عن والده الذى طالت غيبته يجيبونه ، انه ذهب الى الشام ، ثم علم بعد ذلك أن الاتراك سجنوه مع رجالات البلاد لأنهم يطالبون بالاستقلال" وكان لوالده(٢) تأثير كبير على حياته ، فقد كان شديد العطف عليه ، ولعل خير دليل على شدة عطف المرحوم الشيخ سعيد الكرمي على ولده عبدالكريم وحرصه على أن ينشأ على أفضل الصفات وأكمل السجايا ، القصيدة التي نظمها وجعل عنوانها " الى ولدى عبدالكريم " ولم يكن عبدالكريم في هذا الوقت يتجاوز السبع سنوات ، وتشتمل القصيدة على جملة نصائح وتوجيهات الى ولده امتزجت فيها العاطفة الحانية بالحكمة الهادفة ، ومنها هذه الأبيات(٣):

عبدَالكَريمِ بنَ سعيدِ الكَرْمي ... زَيَّنَكَ اللّٰهُ بِفَهْمِ العلمِ
هذا كتابٌ كُلُّهُ فوائدُ ... فرائدٌ تناسَقَتْ في النَّظْمِ
فاقرأه يَوْماً واجتهد في فَهمِه ... فالعلمُ لا يأتي بِغَيْرِ فَهْمِ
واعمل بما فيه تنل حسن الثنا ... ومن جزيل الأجر أوفى سَهْمِ

وقد ترعرع عبدالكريم على هذا العطف ورباه على هذا التشجيع ، وتغذى بلبان العلم والأدب ، وازدهر تحت ظل مجلس والده الوارف ، ومن هنا تسرب الى نفسه وهو في سن الطفولة أمل في الحياة خاله محققا لما يراوده ازاء مستقبله .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - الشيخ سعيد الكرمي - سيرته العلمية والسياسية - دمشق - ط ١ ١٩٧٣ ص٢٤

(٢) تم الافراج عنه في شهر شباط ١٩١٨ بعد أن مكث في السجن مدة سنتين وسبعة أشهر .

(٣) عبد الكريم الكرمي - الشيخ سعيد الكرمي - سيرته العلمية والسياسية - دمشق - ط ١ ١٩٧٣ ص٢٠٩

مراحل دراسته ونشأته :

ابتدأت دراسته الابتدائية في مدرسة طولكرم الحكومية ، وفي السنة الأخيرة التي قضاها في هذه المدرسة كان في الصف الثاني الابتدائي ، وعندما تأسست الدولة العربية في سوريا في ١٩١٨/١٠/٥ برئاسة المغفور له الملك فيصل ابن الحسين ، دلف أحرار العرب من كل مكان الى دمشق ، وكان أول[(١)] بيت سكنه فيها البيت الملاصق للمجمع العلمي العربي في باب البريد ، وكان عبدالكريم يومئذ في الصف الثالث الابتدائي في مدرسة الملك الظاهر الابتدائية المقابلة للمجمع العلمي ، وفي هذه السنة انتقلت والدة عبد الكريم السيده فاطمة ابنة جميل سكر ، الى رحمة الله بعد مرض طويل ، وكان وقتئذ يناهز السابعة وعاش بعدها في كنف والده ورعايته ، وكان والده يعطف عليه كثيرا ، ويغدق عليه من حبه وحنانه الشيء الكثير ، وأصبح له بعد وفاة والدته كل شيء في حياته ، وعوضه عن فقدانها فلا عجب أن تعلق بوالده تعلقا شديداً وتأثر به أيما تأثر .

ويفتخر عبدالكريم بوالده ويمتز به أيما اعتزاز ويقول :"انه تأثر به جميع اخوانه ، بل كان أثره يمتد ليشمل مجتمعه ووطنه[(٢)]."

واستمر والده في تشجيعه وعطفه ، فكان يطلب منه بحضور رجال مجلسه - وهم أهل علم وأدب - أن يسمعهم آخر قصيدة نظمها في الغزل ، أو في غيره ويقول عبدالكريم[(٣)] : انه كان يستفيد كثيرا من مجالس العلم هذه ، بما اقتبسه من أحاديث ، وما جد فيها من ضالة للتعبير عن نفسه ، كما أصبح يقرأ الكتب الأدبية النافعة التي كانت تغص بها مكتبة والده الخاصة ، كما اعتاد العزلة والانفراد[(٤)] مقتديا في ذلك بالحكيم الفرنسي (روسو) هذا انا جاز

(١) عبد الكريم الكرمي - الشيخ سعيد الكرمي - سيرته العلمية والسياسية - دمشق ط ١ ١٩٧٣ ص ٨

(٢) المصدر السابق ص ٨

(٣) من مقابلة لي مع عبدالكريم الكرمي في بيته بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/١٢/٤

(٤) شهادة سماعية من شقيق عبد الكريم الأصغر السيد نبيه المتيم في عمان بتاريخ ١٩٧٦/١/١٨ وقد استقى هذه المعلومات بدوره من والدته أم عبدالله زوجة المرحوم الشيخ سعيد ، وقد عرضت هذه الشهادة على عبدالكريم في منزله بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/١٢/٤ فأيدها .

لنا أن نسمي الاحتجاب بين الكتب والدفاتر والأقلام وعدم اهتمامه باللعب كما كان يفعل رفاقه واخوانه ... أن نسمي ذلك عزلة .

الا أنه مع ميله الى اجتناب اللهو والانزواء عن رفاق اللعب ، لم يكن يهمل الفرص التي تمكنه من معرفة شؤون الاجتماع ، وأمور البيئة التي يعيش فيها ، كما أن فرصة الاجتماع مع أصدقاء أبيه في مجلسه كانت تتيح له تكوين خبرة اجتماعية واثراء ثقافته وتكامل شخصيته شيئا فشيئا .

وفي منتصف ١٩٢٢ غادر والده دمشق الى عمان حيث أصبح قاضيا للقضاة في حكومة الشرق العربي ورئيس مجلس معارفها ، وقد درس عبدالكريم سنة واحدة في مدرسة السلط الثانوية وكان من مدرسيه في هذه السنة أخوه محمود، ثم غادر الى دمشق ليلتحق بمدرسة التجهيز الاولى أو مكتب عنبر ، وعن هذه المدرسة يحمل عبدالكريم أجمل الذكريات ، فتراه يضفي لك ذكرياته مع زملائه وأساتذته وصفا يفيض حبا ووفاء واعجابا(١) . ومن أساتذته في هذه المدرسة سليم الجندي وكان حجة في النحو وأستاذ الأدب العربي لجيله ، وعبدالقادر المبارك وقد كان علما في اللغة ، ومحمد الداودي وكان من المربين الأعلام في عصره (٢) ومن زملائه : بشير العظمه وصلاح البيطار ، وجميل سلطان ، وزكي المحاسني ، وأنور العطار ، ومأمون البيطار وسليم البارودي .

لقبـــــه :

يرجع سبب تسميته بأبي سلمى وغلبة هذه الكنية على اسمه الى قصة طريفة حدثت معه وهو طالب في الصف الثامن بمدرسة عنبر عام ١٩٢٤ اذ كان قد نظم قصيدة غزلية في حسناء دمشقية مطلعها :

سلمى انظري نحوي فقلبي يخفق لما يشير اليّ طرفك أطرق (٣)

وسمعها استاذه محمد الداودي وهو أحد من تأثر بهم أبو سلمى فاعجب بهذه القصيدة وأطلق عليه اسم " ابو سلمى " وصار التلاميذ ينادونه بأبي سلمى وحبيب سلمى ، وكان يغضب من هذا الاسم في البداية ، ولكنه أصبح اسمه الادبي فيما بعد(٤).

---

(١) من مقابلة مع عبدالكريم الكرمي في منزله بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/٢/٤

(٢) سامي الدهان - الشعر الحديث في الاقليم السوري - القاهرة ط ١ - ١٩٦٠ ص ٣٩

(٣) من مقابلة مع عبدالكريم الكرمي في منزله بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/١٢/٤

(٤) المرجع السابق

موهبتـــــــه :

في ٤ تشرين الثاني ١٩٢٧ جرت مسابقة في حفل تكريم مكتب عنبر للطـــلاب الذين أظهروا في امتحان الشهادة العالية (البكالوريا) ذكاء وتفوقا ولا ســيما في الآداب العربية وعرض الشعراء وهم : أنور المطار ، أبو سلمى ، جميل سلطان ، وزكي المحاسني قصائدهم . وألقى أبو سلمى قصيدة بعنوان " تلة الرضـــوان " وهي عن تلة في طولكرم لها قصة رومانسية تقول : ان الراعي أحب ابنة شـــيخ القبيلة ، فأمر الشيخ بقص أصابع الراعي الذي كان يغوي الفاتنات بشبابتـــه ، فتوقفت الاغنام عن الرعي ، لكن الراعي صنع له أصابع من القصب واستمر بالغنـاء ، وقد لفتت هذه القصيدة الأنظار الى أبي سلمى ، ومنها هذه الأبيات :ـ

ناوليني الرباب قبل زيـــالي ... لست مذمومة ولست ببـــالي
وادعيني أسمك وجد ابنـــة الشـــيخ ، ورضوان وهو سر الجمال
قالها هاجر الطبيعة في الليل ... وسهوى الأشعار تلك الليالي
أسمك الشاعر الرباب فأنـــت ... أنة الواجدين في الأطـــلال (١)

فحذا مشفقا عليهـــا كـــأم ... حين تحنو على وحيد غالـي
وربوة يسكن الغرام اليهـــا ... يحتليها رضوان كـــل زوال
كان يرعى أنعام شيخ عجـــوز ... ساد قسما من قومه والآن

ثقافتـــــه :

هذا الأديب والشاعر والكاتب والناقد من أين استقى ثروته الأدبيـــــة واستمد ثقافته بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى واســع .

لقد بدت بواكير ثقافة شاعرنا تتفتح براعمها منذ كان ـ وهو صغـــير ـ يلقى التشجيع من والده على حفظ الشعر الجيد ، فكان كثيرا ما يطلب منه بحضور مجلسه ، وهو أهل علم وأدب ، أن يلقي على سامعيهم آخر قصيدة حفظها حـــتى انا نفرغ من القائها سأله والده عما أعجبه في هذه القصيدة ، وكأن الوالـــد العالم والأديب الشاعر وقد أحس أن ولده قد بدأ يستوي عوده ، أخذ اهتمامـــه يزداد بتشجيعه على ابراز مواهبه التي بدأت في الظهور في هذه السن المبكـرة ،

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ـ المجلد ٨ ص ١٠٨ .

وأخذ يوجهه الى حفظ الشعر الجيد تماما ، مثلما كان النقاد القدماء يوجهون الأدباء الناشئين ويحثونهم على حفظ الكثير ، حتى تنضج ملكتهم فيقوون على نظم الشعر الجيد .

ويحدثنا أبو سلمى عن هذه الذكرى فيقول[1]: كان الشعر هو دنياى التي لا أعدل بها مثيلا فكنت أردد من أعماقي القصيدة التي أفضلها ، وبين حين وآخر كان والدى وصحبه يطلبون مني أن ألقي آخر قصيدة نظمتها ... ويستطرد أبو سلمى في حديثه فيقول : ما اولعني اليوم بالشعر ،لأني وضعت لبانه في طفولتي ، ولعبت بأزهاره وأنا صبي ، تراقبني عين والدى لئلا تجرح يدى الاشواك عندما أقطفها .

نتبين مما سلف ، أنه قد أتيح لأبي سلمى ما أتيح لبعض الشعراء والأدباء الذين كان لآبائهم أثر بالغ في تكوينهم وتنشئتهم . وما أحسب هؤلاء كثيرين في الشرق .

كم من أديب وشاعر نشأ مهملا من والديه ، فلم يحظ عند تفتحه بمن يسقي غصنه الناشئ .

أما في الغرب ، فللشعراء والأدباء ذكريات طفولة يرويها المؤلفون باسهاب وكان لها الأثر الذى لا يبلى في بعث مواهبهم وتكوينهم الثقافي .

والشخصية الأخرى التي لا بد أن تكون قد أثرت في ثقافته الأدبية بالاضافة الى والده ، هي أخوه الناقد الفلسطيني " أحمد شاكر الكرمي " فقد تلقى أبو سلمى الدربة والصقل الأدبي على يديه ولقي منه التشجيع والدعم وعن طريقه تعرف إلى العديد من الكتاب والأدباء السوريين والعرب

وحين تأسست جمعية الرابطة الأدبية بدمشق في آذار ١٩٢١ والتي أسهم أحمد شاكر في تأسيسها ، أتيح لأبي سلمى أن يجتمع بنخبة

---

(١) من مقابلة لي مع أبي سلمى في بيته بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/٦/٢٧ وقد سردت المعنى والمضمون بأسلوبي ولغتي .

ممتازة من رجال العلم والأدب[١] وفي مجالات الأدب وآفاق الشعر هذه تأثـــر شاعرنا أيما تأثر ، وعن طريق هذه الرابطة تعرف الى الأستاذ محب الدين الخطيب الذى كان صديقا لأخيه أحمد شاكر ، فنشر له في مجلة الزهراء القاهرية عـــددا من قصائده .

ثم يجيء دور مدرسة عنبر ، هذه المدرسة التي خرّجت عدداً من الشـــعراء والأدباء السوريين والعرب ارتفعوا الى مستوى أندادهم في الشعر والأدب العالمي فكتبوا من رائع النظم وساحر القول ما يدفع الى الزهو والاعتزاز[٢] .

في هذا المعهد العلمي العتيد ، لقي أبو سلمى من معلميه الرعايـــة والتنشئة الصالحة والقدوة الحسنة ، فأخذوا يصبغون في نفسه روحا وثـــابـــة ويغرسون أملا باسما ، ويحملون في قلبه جذوة القومية والوطنية . ويحدثنـــا أبو سلمى عن هذه الذكرى فيقول[٣]:

كان بين هؤلاء المعلمين نفر ممن ينزعون نزعة التجديد في الفكر والتعبير ومنهم محمد الداودى وعبدالقادر المبارك وسليم الجندى ، فكان لهم الفضل فيمـا غرس في نفسي من حب للغة الأم ، وما قدموه لي من تشجيع وبخاصة في قرض الشعر . وفي هذه المدرسة تفتحت شاعريتي على مطالب الشباب ، ومباهج الحياة ، فشـدوت بأولى قصائد غزلي وحبي .

---

(١) تم انشاء هذه الرابطة عام ١٩٢١ على غرار الرابطة القلمية ، وكـــان من اعضائها عدد من أدباء سوريا وشعرائهم وفيهم: خليل مردم ، أحمد شاكر الكرمي ، محب الدين الخطيب ، محمد الشريقي ، أبيفانوس ، شفيق جبرى ، حيدر مردم ، سليم الجندى ، حليم دموس ، قبلان الرياشي ، عبدالله البجار ، جورج الريس ، نسيب شهاب ، ماري عجمي ، نجيب الريس ، فخري البارودى وغيرهم . وقد قامت هذه الرابطة بانشاء مجلة لها كانت تعنى بشـــؤون الفكر والأدب .
سامي الدهان - الشعر الحديث في الاقليم السوري - القاهرة - ١٩٦٠ ط ١ ص ١٠٣ .

(٢) من هؤلاء الأدباء والشعراء : مصطفى وهبي التل (عرار) ، جميل سلطـــان ، زكي المحاسني ، وأنور العطـــار .

(٣) من مقابلة مع أبي سلمى في بيته بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/٦/٢٧ وقـد أوردت مضمون الحديث بأسلوبي ولفتي .

ثقافته الفرنسية :

بدأت ثقافة أبي سلمى الفرنسية بأيام دراسته في مدرسة عنبر ، حيث كانت هذه المدرسة تولي تدريس اللغة الفرنسية وأدبها اهتماما كبيرا ، في هذه المدرسة عرف أبو سلمى الطريق الى الثقافة الفرنسية ، فتزود منها زادا وفيرا وسرعان ما تمكن من اللغة الفرنسية وراح يقبل على الأدب الفرنسي وخصوصا الشعر والقصة ، يقرأه باعجاب واستمتاع .

واننا لواجدون أدلة اقباله واعجابه بالشعر والأدب الفرنسي في ترجمته شعرا لقصيدة " اذكريني " (١) وهي قصيدة الألفرد ده موسيه Alfred De Musset وقد ترجمها بتصرف ونشرت له هذه القصيدة في صحيفة الميزان (٢) وكان وقتئذ في صف البكالوريا .

ولعل مما يدل على عظيم اعجابه وتأثره بالادب الفرنسي وشديد اقباله عليه أن تسمعه يقول (٣) " ذات يوم طلب مدرس اللغة الفرنسية في مدرسة عنبر من طلاب السنة النهائية " البكالوريا " أن يوازنوا بين الشاعر الرومانسي الكبير فيكتور هوجو Victor Hugo والشاعر الفرنسي الرومانسي المبدع لامرتين Lamartine فكنت ممن انحازوا الى لامرتين ."

ويستطرد أبو سلمى في حديثه عن هذه الذكرى فيقول : " انه بالاضافة الى اعجابه وتأثره بزعماء المدرسة الرومانسية ، فانه قد أعجب وتأثر بما قرأه للقاص الفرنسي " جي دي موباسان " وهو من زعماء المدرسة الواقعية (٤) التي انتجت انتاجا ضخما من خلال أقاصيصه .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - قصيدة " اذكريني " لألفرد ده موسيه - الميزان - ٢٢ آذار ١٩٣٦ .

(٢) أسس هذه الصحيفة أحمد شاكر الكرمي سنة ١٩٢٥ وهو حدث أدبي جليل في تاريخ سوريا وبها اوجدت حركة أدبية جديدة في دمشق حركت ما كان نائما من ملكات الادب والفن ، وما زالت هذه الصحيفة بما ضمت من أدب رفيع وشعر رائع موضع الرعاية والحفظ لدى الكثير من أدباء هذا البلد .
(احمد الجندي - مجلة العربي الكويتية - العدد التاسع أغسطس ١٩٥٩ ص ٩٣

(٣) من مقابلة مع أبي سلمى في بيته بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/٦/٢٧

(٤) احسان عباس - فن الشعر - بيروت ط ١ ١٩٥٥ ص ٢٩

وقد ترجم أحمد شاكر الكرمي له ست قصص [١] وهي : ماروكان ، القبلة ، في الغابة ، أحلم هنا ؟ ، الجنس اللطيف ، والجمال الخائن . ولعل أبا سلمى قد تأثر بهذا القاص الفرنسي وأعجب به اقتداء بالقصص التي ترجمها أخوه .

ومما يجدر ذكره أن زوجة أبي سلمى " رقيه توفيق حقي " تتقن الفرنسية اتقانا تاما ، فقد تخرجت من مدرسة راهبات الناصرة بحيفا وقضت طفولتها لا تغادر المدرسة الا في العطل الرسمية ، مما أكسبها اتقانا وطلاقة للفرنسية وشغفا بأدبها [٢] . ومن الطبيعي أن يؤثر ويتأثر كلا الزوجين أحدهما بالآخر .

صلة أبي سلمى بالأدباء المصريين :

يحدثنا ابو سلمى عن صلته بالأدباء المصريين ودور مصر كمركز للثقافة النشطة فيقول [٣] :كان ابراهيم المازني أكثر الأدباء المصريين معرفة بالقضية الفلسطينية ، وقد كان متعاطفا معنا ، وقد تعرفت اليه عن طريق أخي أحمد شاكر الذي كانت تربطه به صداقة قوية . وعن طريق الأستاذ المازني تعرفت الى الدكتور زكي مبارك ، وقد نشر الاستاذ المازني والدكتور زكي مبارك بعض الدراسات حول أبي سلمى في جريدة البلاغ القاهرة عام ١٩٣٥ [٤].

وقد نشر لأبي سلمى عدد من روائع قصائده في مجلة الرسالة القاهرية ابتداء من عام ١٩٣٦ [٥] وتوثقت الأواصر والصلات بين المازني وأبي سلمى خلال زيارات الأخير المتكررة لمصر وخلال زيارات المازني لفلسطين ، ومن خلال الرسائل المتبادلة فيما بينهما . فهل تأثر أبو سلمى بالمازني والأدباء المصريين كما تأثر بالشعراء والأدباء الفرنسيين ؟

---

(١) احمد شاكر الكرمي - مختارات من آثاره - دمشق - مكتبة أطلس - ط ١ ١٩٦٤ ص ٢٠٩ - ٢٤٤ .

(٢) أسمى طوبى - عبير ومجد - ط ١ ١٩٦٦ ص ١٥٣

(٣) من مقابلة لي مع أبي سلمى في منزله بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/٦/٢٧ .

(٤) نقلت جريدة الدفاع الفلسطينية مقال الأستاذ المازني عن أبي سلمى في عددها ٢٢٧ بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ١٩٣٥ .

(٥) يعقوب العودات - البدوي الملثم - أعلام الفكر والأدب في فلسطين ط ١ ١٩٧٦ ص ٥٣٨

أغلب الظن أن هذه الصلات التي عقدها مع الأدباء المصريين وبخاصة صلته بالمازني وجدت سبيلا الى يقظته الفكرية ، وكانت بالنسبة اليه غذاء ثقافيا كان لها أثرها في ثقافته ، وفي حياته من بعد .

دراسته العليا في معهد الحقوق بالقدس:

بعد حصوله على شهادة البكالوريا السورية عام ١٩٢٧ ، قصد بيت المقدس ، وهناك انتسب الى معهد الحقوق في القدس حيث نال منه شهادة المحاماة(١).

حياته الزوجية:

في السادس عشر من شهر كانون الثاني ١٩٣٦(٢) تزوج عبدالكريم (أبوسلمى) من رقية توفيق عبدالله حقي بعد قصة حب عنيفة وطريفه - تأتي في موقعها من هذه الدراسة - وقد أثمر هذا الزواج عن ولد وحيد رزق به الزوجان في التاسع والعشرين من شهر تشرين الاول لعام ١٩٣٧ أسمياه سعيدا وذلك تيمنا بوالد أبي سلمى " الشيخ سعيد" الذي يكن له أبو سلمى كل محبة وتقدير وعرفان(٣).

(١) يعقوب العودات - البدوي الملثم - اعلام الفكر والأدب في فلسطين ط ١ عمان ١٩٧٦ ص ٥٣٨

(٢) استقيت هذه المعلومات من أبي سلمى في مقابلتي له بمنزله بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/٦/٢٧م .

(٣) تخرج سعيد في الجامعة الامريكية في بيروت بتاريخ ١٩٦٤/٦/٢٢ بعد أن حصل على درجة البكالوريوس في الجراحة ، وبتاريخ ١٩٦٩/٣/٢٤ تخرج في جامعة وشنطن في الولايات المتحدة بعد أن حصل على درجة التخصص في جراحة الكلى والمسالك البولية وأصبح زميلا في الهيئة الأمريكية للجراحة العامة American Board of Surgey

وقد تزوج من فتاة أمريكية بعد أن اعتنقت الاسلام هي السيده ماري جين الكرمي وأنجبت له ولدا أسمياه عبدالكريم وابنة أسمياها رقية ، وقد عمل الدكتور سعيد في مستشفيات الاردن فترة من الزمن ولكنه استقال بتاريخ ١٩٧٤/١/٦ حيث هو الآن طبيب بارز في لجنة أطباء زرع الكلى في جامعة وشنطن وفي لجنة أطباء جراحة الكلى والمسالك البولية في جامعة " ماريلاند " بالولايات المتحدة .

" استقيت هذه المعلومات من أبي سلمى نفسه " .

ووالد رقية توفيق بك عبدالله حقي كان رئيسا لبلدية عكا فقاضيا في محكمة التمييز في عكا وقد كان لرقية الفضل في تأسيس الاتحاد النسائي الفلسطيني ، حيث عملت في منصب الرئيسة لهذا الاتحاد منذ عام ١٩٣٦ وحتى ١٩٤٤(١).

وتقول الأديبة الفلسطينية السيدة أسمى طوبى عن صديقتها السيدة رقية - وقد كانت أسمى طوبى سكرتيرة للاتحاد النسائي في عكا منذ تأسيسه ، ثم آلت اليها رئاسة الاتحاد بعد استقالة رقية من رئاسته - تقول : " كانت رقية من أكثر سيداتنا ثقافة ورقيا ووعيا ووطنية "(٢).

وبعد النكبة رئست رقية الاتحاد النسائي الفلسطيني بدمشق فترة من الوقت وقد توفيت يوم السبت في الثلاثين من رمضان ١٣٩٨هـ الموافق للثاني من أيلول ١٩٧٨م رحمها الله .

في ميدان الحياة :

أبو سلمى معلما

بعد أن أحرز أبو سلمى شهادة البكالوريا السورية في حزيران ١٩٢٧ م قصد مدينة القدس حيث عين معلما في المدرسة العمرية . ثم انتقل الى المدرسة البكرية ، ويقول أبو سلمى انه قد أحب هذه المهنة على الرغم من متاعبها .

وفي أوائل كانون الثاني ١٩٣٣م(٣) ساءت حالة ابراهيم طوقان صديق أبي سلمى وكان يعمل مدرسا في المدرسة الرشيدية الثانوية ، واضطر الى اجراء عملية جراحية في معدته فانتقل أبو سلمى ليعمل في المدرسة الرشيدية بديلا لابراهيم ، وفي شهر شباط ١٩٣٣ خرج ابراهيم من المستشفى ومنحته ادارة المعارف اجازة شهر ، لكن ابراهيم قدم استقالته من مهنة التعليم ، واستمر صديقه أبو سلمى يواصل عمله كمعلم في المدرسة الرشيدية ، وهنا يبرز عامل هام في حياته أدى الى اقالته من عمله الرسمي ، ذلك أنه نظم قصيدة نشرتها مجلة الرسالة القاهرية بعنوان " يا فلسطين " هاجم فيها السلطات البريطانية

---

(١) أسمى طوبى - عبير ومجد - مطبعة قلفاط - بيروت - ط ١ ١٩٦٦ ص ١٥٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٣ - ١٦١ .

(٣) د . عمر فروخ - شاعران معاصران - ط ١ - ١٩٥٤ ص ٤٤

لعزمها على انشاء قصر للمندوب السامي البريطاني على جبل المكبر الذى زاره الخليفة العادل[١] عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عندما هبط بيت المقدس وصلى فيه مع جماهير المصلين مكبرين ، وكان ذلك في أوائل عام ١٩٣٦ فاستدعاه مدير التعليم البريطاني " المعارف " - وكان يدعى مستر فرل - الى مكتبه وسأله قائلا : هل أنت ناظم قصيدة المكبر ؟ فرد أبو سلمى بالايجاب ، وهنا أبلغه المستر فرل قراره بفصله من العمل[٢].

وهذه أبيات من القصيدة التي روعت الحكومة البريطانية في ذلك الحين وتسببت في فقدان أبي سلمى لعمله الحكومي :

جبل المكبر طال نومك فانتبه ... قم واسمع التكبير والتهليلا
فكأنما الفاروق دوّى صوته ... فجلا لنا الدنيا وهز الجيلا
جبل المكبر لن تلين قناتنا ... ما لم نحطّم فوقك الباستيلا[٣]

أبو سلمى موظفا في دار الاذاعة الفلسطينية :

بعد أن فقد أبو سلمى وظيفته كمعلم في المدرسة الرشيدية الثانوية بالقدس همه صديقه ابراهيم طوقان الذى كان يتولى منصب مدير البرامج العربية في دار الاذاعة الفلسطينية . حيث أسند اليه وظيفة هامة ، واستمر أبو سلمى يعمل في هذا الجهاز الاعلامي الحساس الى أن استقال من عمله[٤].

أبو سلمى محاميا :

في عام ١٩٤٣[٥] قصد أبو سلمى مدينة حيفا حيث افتتح له مكتبا ليزاول مهنة المحاماة ، وبدأ عمله بالدفاع عن المناضلين العرب المتهمين في القضايا الناجمة عن الثورة الفلسطينية التي نشبت في فلسطين سنة ١٩٣٦ واستمرت

---

(١) يعقوب العودات - البدوى الملثم - مجلة الأديب اللبنانية - يناير ١٩٦٩ ص ٣٠
(٢) علمت تفاصيل هذه القصة الطريفة من أبي سلمى في مقابلة لي معه بمنزله بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/٢/٦ .
(٣) مجلة الرسالة - القاهرة - العدد ١٥٤ - السنة الرابعة ١٥ يونيو ١٩٣٦
(٤) يعقوب العودات - البدوى الملثم - مجلة الأديب اللبنانية يناير ١٩٦٩ ص ٣٠
(٥) أدهم آل الجندى - أعلام الأدب والفن ج ١ - مطبعة مجلة صور - سوريا ١٩٥٤ ص ٣٢٠ .

حتى سنة ١٩٣٩ ، ويقول عنه صديقاه القاضيان في حيفا خلال تلك الفترة والمحاميان فيما بعد النكبة بعمان في الأردن السيدان أحمد الخليل [١] ومحمد البرادعي العباسي : " لقد عرف أبو سلمى بذكائه وسرعة خاطره وبالنكتة البارعة التي يرسلها في سياق دفاعه " .

وأصبح في فترة قصيرة محاميا مرموقا في فلسطين ، وظل يعمل في حقل المحاماة حتى عام ١٩٤٨ حيث اضطر الى مغادرة حيفا نازحا الى دمشق .

أبو سلمى بعد النكبة :

نزح أبو سلمى الى وطنه الثاني دمشق الذي طالما انتقل إليه ، وهناك زاول مهنة المحاماة والتدريس في تجهيزاتها ، ثم عضوا في مجلس التأديب ثم التوجيه والتوعية في وزارة الاعلام السورية ، وأسهم في العديد من المؤتمرات العربية والآسيوية والافريقية والعالمية .

الشعر الوطني والقومي

يلاحظ الدارس للأدب العربي الحديث ، أن الأدب قد نهض في نهاية القرن التاسع عشر ، مع أحداث الأمة العربية ، وتطور معها وتنقل بين الكفاح ضد الاستعمار ، والدعوة الى التحرر ، فكان أن اتجه كثير من الكتاب والشعراء في أدبهم وشعرهم نحو غايات وطنية وقومية ، وراحوا يدعون الى المشاركة الوجدانية في أحداث الأمة وأمانيها وأهدافها .

أما الشعر الفلسطيني ، فقد كان يسير خلال هذه المرحلة في اتجاه الشعر العربي في الأقطار المجاورة ولا سيما سوريا (١). وقد كانت قضية التحرر من الحكم التركي شغله الشاغل وقتئذ . ولكن الخطر الصهيوني على فلسطين في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين ما لبث أن استأثر باهتمام الشعراء العرب بعامة والفلسطينيين بخاصة . بعد أن تبخرت الآمال بتحقيق الوجود القومي ، وتمزق الوطن العربي الى أقطار ودويلات خاضعة للاستعمار فأصبحت فلسطين جزءا منفصلا عن الكيان العربي ، خاضعا للانتداب الانجليزي ، وبدأ العمل منذ ذلك الحين على تنفيذ الاستعمار الانجليزي الصهيوني المزدوج على فلسطين . مما حدا بالانسان العربي الفلسطيني أن يبحث عن ذاته العربية ويعمل على اثباتها بنضاله الوطني خلال العقد الثاني والثالث والرابع من هذا القرن . وأصبحت مأساة فلسطين وما تزال الجرح القومي الذي لن يندمل في نفوس الشعراء جميعا .

وهب الشعراء الفلسطينيون ليأخذوا مكانهم الطليعي ، ودورهم النضالي في فضح وكشف التآمر والتلاحم العضوي بين الاستعمار والصهيونية ، فدقوا للناس نواقيس الخطر ، وفتحوا عيونهم على واقعهم السيء ، ووضعوهم أمام مسؤولياتهم .

وكان شاعرنا ابو سلمى واحدا من الشعراء الفلسطينيين الذين تصدوا

---

(١) د . عبدالرحمن الكيالي - الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين - بيروت - ط ١ ١٩٧٥ ص ٩ .

لحمل دور المرشدين لشعبهم وأمتهم ، فكانوا يحذرون الناس ويوقظونهم، ويفضحون أمامهم المؤامرات الشريرة على وطنهم . وبذلك غدا الشعر الفلسطيني معلما عن معالم الوعي العربي في فلسطين ، ومظهرا من مظاهر يقظة أهلها .

وبقدر ما كان الشعر الفلسطيني دعوة لانتصار الحق والعدل في فلسطين، فقد كان في الوقت نفسه ، تمجيدا لحركات التحرير في البلاد العربية واشادة بالبطولة والبسالة التي أبداها المناضلون من أبناء الوطن العربي وهم يقدمون أرواحهم في سبيل بلادهم (١).

ويجد الدارس لبواكير شعر أبي سلمى الوطني أنه كان تصويرا أمينا للحالة السيئة التي تردى اليها وطنه بعد أن بدأ تنفيذ المؤامرة الاستعمارية الصهيونية ضد بلاده فلسطين وشاركت عصبة الأمم (٢) في التغطية على الاستعمار واخفاء حقيقته ، حيث نصت المادة الثانية والعشرون من ميثاق العصبة على اخفاء الشرعية على الانتداب وممارساته .

ويتناول أبو سلمى عصبة الامم التي اقرت الانتداب البريطاني على فلسطين ، ويناقش سياستها المتناقضة ، ومبادئها المزيفة وأثرها في الشعوب فيقول :

قم تأمّلْ تَسَرِ الشعوبَ يَجُرّونَ ... قيوداً من الحديدِ المُثَلَّمْ
بينهم عُصْبَةُ الأراقِمِ تَسْعى ... كلما غابَ رَقْمٌ لاحَ أرْقَمْ
حرّموا الظلمَ بينهم واستراحوا ... ولدينا يُحَلّلون المُحَرَّمْ
ثم قالوا بيعُ العبيدِ حرامٌ ... انّ بيعَ الاحرارِ أنكى وأظْلَمْ
كلّ يومٍ لَجْنَةٌ فكتابٌ ... لا ترى فيه غيرَ ظُلمٍ مُنَظَّمْ
ان فَوْقَ القَفاهِ جَمْرا فَدَعْها اليومَ، واسمعْ قلوبَنا تَتَكَلَّمْ (٣).

في هذه الأبيات اشارة واضحة الى التحديات الخطيرة التي يواجهها الشعب العربي في فلسطين وسائر الوطن العربي من الاستعمار ، ولقد استطاع ابو سلمى ان يحقق التناظر والايجاز في علاقة الاستعمار بالشعوب ، وهي علاقة

---

(١) د . كامل السوافيري ـ الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ط ١ ـ ١٩٧٣ ص ٢٤٦

(٢) اميل الغوري ـ المؤامرة الكبرى ـ دار النيل للطباعة ـ القاهرة ـ ط ١ ١٩٥٥ ـ ص ٣٢

(٣) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ المشرد ـ دمشق ـ ط ٢ ـ ١٩٦٣ ص ٢٨

السيد بالتابع • ففي الوقت الذى يحرص فيه المستعمرون في بلادهم على تحقيق العدالة لشعوبهم تراهم يفتنون بهذا الحق على الشعوب التي ابتليت باستعمارهم وفي هذا تناقض واضح • ومن هنا فلا مجال للشعب الا أن يعتمد النضال طريقا للخلاص والتحرير ، وقد اثبتت الأيام صدق هذا الرأى بالوقائع والأدلة فلم يحسن دعاة التسوية والحلول الاستسلامية الا اضاعة الوقت • وكان ابو سلمى يدرك هذه النتيجة •

وأخذ ابو سلمى يوقظ الهمم ، وينبه الوجدان ويشحن النفوس بالنقمة على الانتداب البريطاني والصهيونية ، وعلى بعض الزعامات التي تولت دفة امور الشعب ، وفي سنة ١٩٣٤ نظم قصيدة حمام الوادى وفيها يحمل على تلك الزعامات ويحملها مسؤولية ضياع وادى الحوارث (١) الذى باعه الاقطاعيون اللبنانيون للحركة الصهيونية فيقول :

ما تملكون ؟ أفي النفوسِ حَمِيَّةٌ ... أبقيةُ الاسيافِ في الأغْمادِ
لو كان في تلك النُّفوسِ حَمِيَّةٌ ... عربيَّةٌ هُدَّت على الاصفادِ
لو كان في تلك الأنوفِ بَقِيَّةٌ ... لتَحطَّمتْ طَلقاتُ الاستِعْبادِ (٢)

نلاحظ في هذه الأبيات ان الشاعر يواصل عملية الربط بين تحرير فلسطين بالكفاح المسلح ، وبين تحرير الوطن العربي ، كما أنه يؤكد على الخصائص الطبقية للقضية الفلسطينية من خلال فضح دور الاقطاع العربي والزعامات التقليدية في فلسطين ، فهو في الوقت الذى يرثي الارض التي سلبت نراه يحرض الشعب على الثورة التي يرى فيها الحل الأمثل •

ويمجد أبو سلمى البذل والفداء في سبيل وطنه ، ويعبر عن رفض الشعب الفلسطيني للسياسة التي تتبعها حكومة الانتداب ، والرامية الى تهويد البلاد ،

---

(١) في عام ١٩٣٤ لجأت الحكومة البريطانية بقوة الحديد والنار وانظمة الطوارئ والقوانين الاستثنائية الى طرد العرب من ديارهم وأراضيهم حيث طرد ٥٠٠و١٥ عربي من اراضي وادى الحوارث ، وقد سقط عدد من الشهداء العرب برصاص الجنود والبوليس خلال هذه العمليات •
اميل الغورى - المؤامرة الكبرى - ص ٢٧ - "والحوارث" نسبة الى قبيلة حارثة القحطانية "
* مصطفى الدباغ - بلادنا فلسطين - ج ١ القسم الاول - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٣٦
(٢) عبدالكريم الكرمي - ديوان أبي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ١٤

ويحيي هبات الشعب الفلسطيني وانتفاضاته فيقول في قصيدة " يا بلادي " :

قولي لظالمةِ العصورِ ... ضَلَلتِ عَنْ سُبُلِ الرَّشادِ
لا تلجأي عندَ الحسابِ ... الى الحَفيظةِ والضَّمادِ
من ظُلْمِكِ اسْوَدَّ القَضاءُ ... وتدمّكا قلبُ الجَمادِ
والشعْبُ إن يَغْضَبْ عليكِ ... عَرَفْتِ أهوالَ الموادي (١)

نلمس في هذه الأبيات روح الشاعر المعبرة عن نقمته على سياسة القمع والظلم التي يعاني منها الشعب الفلسطيني .

وقد تركز هدف الشاعر على ايقاظ النفس الانسانية في هذا الشعب بكل حجمها من خلال دفعها الى التمرد على واقعها الرديء وفي نفس الوقت فهو ينذر الاستعمار باسم هذا الشعب بأن ثمن هذا الظلم سوف يكون فادحا .

ومنذ البداية يحدد ابو سلمى جبهة الأعداء مشيرا الى أنها تتمثل بالاحتلال البريطاني ، والحركة الصهيونية ، أما المسألة التي شغلت باله فهي الأحزاب المتصارعة على كراسي الحكم ومواقع الوجاهة .

يقول أبو سلمى في قصيدة عنوانها " هباب " نشرت في جريدة فلسطين اليافية بتاريخ ١٧ تشرين الثاني عام ١٩٣٥ أي قبل استشهاد الشيخ عز الدين القسام بثلاثة أيام .

انتدابان يَحْرِقان فلسطينَ ... وأَرْبَتْ عليهما الأحزابُ
مزّقوا قلبَها وهدّوا قِواها ... ويقولون في البلاد شبابُ
يتنادَوْنَ في الظلامِ ويَهْمُونَ ... اذا أسوَدَّ السَّنى الخلّابُ

.....

يا هباباً يَمْشونَ دونَ قلوبٍ ... وعقولٍ كأنّهمْ أنصابُ
امسحوا التُّربَ عن جباهِكمُ السودِ فقد عفّرَ الجباهَ التُّرابُ
ثم سيروا الى الكرامةِ والمَجْدِ ... ولو سارتِ الرُّبى والهِضابُ
ليت شعري متى يجيءُ زمانٌ في فِلَسْطينَ والشَّبابُ غِضابُ (٢)

---

(١) عصام عباسي — جريدة الاتحاد — حيفا — ليالي من اوراق ابي سلمى — ٣ نيسان ١٩٧٤

(٢) عبدالكريم الكرمي — ابو سلمى — ديوان ابي سلمى — دار العودة — بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ١٩

نلمح في هذه القصيدة الفهم الكلي والشامل للقضية الفلسطينية منذ بدايتها حيث الربط بين قضية التحرر الوطني الفلسطيني والتحرر العربي باعتبارهما كلا واحدا غير قابل للتجزؤ ، فتحرير فلسطين لا يتم بمعزل عن تحرير الوطن العربي والعكس صحيح .

والشاعر هنا يتوجه في خطابه الى شباب العرب ليهبوا من سباتهم ويستلهموا من التاريخ العربي اسمى معانيه وقيمه فيشعلوها ثورة تعيد الكرامة والمجد الى سالف عهدهما . ولقد كان توجه الشاعر نحو الشباب هو من واقع الرؤية النضالية حيث ثبت له بالدليل القاطع عقم الاعتماد على زعماء أعمتهم مطامعهم الشخصية عن النظر الى الأطار التي تحدق بالوطن .

والشعب وثورته هما الحقيقة الروحية التي التحم بهما ابو سلمى منذ آمن بأن هذا الشعب اكبر من واقعه يقول في قصيدة " الدماء تصيح "

اختَ صلاحِ الدينِ عشتِ حُرَّةً ... تأبى لكِ الحلياءُ أن تُهوَّدِي
نَعِي عصابَةَ اللصوصِ جانبـاً ... واعتمِدي على بَنيكِ اعتَمِدي
عَلّي انتدابَ القومِ أو إرشادَهُمْ ... فالثورةُ الحمراءُ خيرُ مُرشِدِ
تنفُرُ ما فوقَ الثرى قلوبُنا ... ليَنْبتَ استقلالُنا بَعْدَ غَدِ
فيا قلوبَ الثائرين!.. انْدي ... على المَدى ويا سفوحُ رَدِّدي (١)

يخاطب الشاعر في هذه الأبيات بلاده فلسطين في شخص ابنائها الشباب فهم معقد الآمال والرجاء وأصحاب الكلمة الحقيقية . والشاعر في هذه الأبيات يوقظ في الشعب روحه الثورية المناضلة مستعيدا ذكرى الأمجاد التاريخية لتكون حافزا للثورة التي لا تعرف المهادنة فالثورة الجماهيرية هي التي ستحقق الحرية للشعب .

وحين اشتعلت الثورة عام ١٩٣٦ وجاد ابناء البلاد بأرواحهم وامتد لهيب الثورة فوق سفوح الجبال ، عرع أبو سلمى في تمجيد الثورة والثوار بعد

---

(١) ابو سلمى - المفرد - دمشق - الطبعة الثانية - ١٩٦٣ - ص ٤٢

أن تحقق هدف من الأهداف التي كان يسعى لتحقيقها :

يقول أبو سلمى في قصيدة عنوانها "جبل النار"

جَبَلَ النارِ[١] يا أعزَّ الجبالِ ... أنت لا زِلتَ مَعْقِدَ الآمالِ

.....

أيها الثائرون في جبلِ النّارِ سَلاماً يا زينةَ الأبْطالِ
لَكُمُ اللّهُ يا حماةَ فلسطينَ زَحَمْتُمْ مصارعَ الأبْطالِ
تَحْمِلونَ الأرواحَ فوق أكُفٍّ وتبيعونَها ، ولكنْ غوالي
ورصاصُكم تمرُّ على الأيّامِ حُمْراً مضيئةً في اللّيالي
تَصْرَعُ الطائراتِ مثلَ طيورِ الجَوِّ تهوي ما فَوْقَ تلكَ التِّلالِ
يسمعُ الجندُ في صَداها لَظى الموتِ فلا يَثْبُتون يَوْمَ القِتالِ
أيها الثائرون ، قولوا فانَّ الكَوْنَ يُصْغي الى لهيبِ المَقالِ
والمِسُوا في غَياهِبِ الظُّلمِ تَجْلوها فانَّ الجِهادَ رَحْبُ المَجالِ
انَّما الحقُّ من بنادِقِكُمْ يَسْطَعُ ، والعدلُ من وراءِ المُوالي
جَبَلَ النارِ لم تخلّدكَ الا ثورةٌ في سبيلِ الاستقلالِ
جبلَ النّارِ ، اقْذِفِ النّارَ حتى نُبصِرَ النّورَ يا أعزَّ الجِبالِ[٢]

.....

يصور الشاعر في هذه الأبيات المعارك الطاحنة التي كان يخوضها ثوار فلسطين فوق الجبال ضد الجنود البريطانيين المجهزين بالطائرات والأسلحة الثقيلة ، لا يزيدهم لهيب المعارك وضراوتها الا استبسالا وصمودا .

وأبو سلمى الذي كان على صلة بثورة القسام "١٩٣٥" والذي كان يتتبع دروسه التي كان يلقيها في مسجد الاستقلال بحيفا ، يلهب المشاعر ، ويهز العواطف ، ويحدد الأماني وهو يرى ثوار فلسطين "١٩٣٦م" يفدون الوطن بالدماء والأرواح .

---

(١) جبل النار يقع في منطقة نابلس وقد حمل هذا اللقب بعد أن ضرب أروع الأمثال باستبسال مقاتليه واسترخاص أرواحهم في سبيل الوطن .

(٢) مجلة الرسالة القاهرية - قصيدة جبل النار - العدد ١٦١ - السنة الرابعة ص ١٢٦ (٣ آب ١٩٣٦).

(٣) مقابلة لي مع أبي سلمى في بيته بدمشق بتاريخ ١٩٧٨/٦/٧م .

وأوحى عزم حكومة الانتداب على انشاء قصر للمندوب السامي البريطاني على جبل المكبر الذى زاره الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما هبط بيت المقدس لأبي سلمى بهذه القصيدة الثائرة الحاقة :

ثوري ولو فوق الذين طغوا على ... طرق الجهاد أسنة ونصولا
لا بأس ان نضحت دما جنباتها ... فاليوم لا يغدو دم مطلولا
ايه فلسطين اغضبي وتحرري ... ضاعت حقوقك بين قال وقيلا
أمهلت ظالمك المدلّ وما درى ... أن التهاون يستحيل ضليلا

جبل المكبر طال نومك فانتبه ... قم واسمع التكبير والتهليلا
فكأنما الفاروق دوى صوته ... فجلا لنا الدنيا وعز الجيلا
جبل المكبر لن تلين قناتنا ... ما لم نحطم فوقك الباستيلا(١)

يربط ابو سلمى في هذه الأبيات من قصيدة " يا فلسطين " بين ظاهرتين هما ظاهرة الزحف الجماهيري العظيم على سجن الباستيل في فرنسا أثناء الثورة الفرنسية ، وبين الزحف الجماهيري الفلسطيني الباسل على قصر المندوب السامي البريطاني على جبل المكبر وهو ما يحوض عليه الشاعر بهذا الأسلوب الاستفزازى الحار معبرا فيه عن روح الشعب الثائرة .

.....

ان الظروف العصيبة التي أحاطت بفلسطين ، والخطوب الأليمة التي تتابعت عليها ، دفعت اعدادا كبيرة من الشباب العربي الى الانضمام الى اخوانهم في فلسطين ، يجاهدون جنبا الى جنب ويحققون وحدة النضال .

ويجد أبو سلمى هذه التضحيات بقصيدة تزخر بالحرارة والقوة والعاطفة الصادقة فيقول :

هذى فلسطين استحالت حرما ... مقدسا فقبلوا الترب الندى

---

(١) أبو سلمى - قصيدة يا فلسطين - مجلة الرسالة القاهرية - العدد ١٥٤ - السنة الرابعة ١٩٣٦ - ص ٩٨٩ .

من كل قطرٍ عربي فتيـــــةٌ ثائرةٌ ترعى أصولَ المَحْتِدِ
هبّت على الوادي وأجرت دَمهـــــا متحِدا (يا لَلدَّمِ المتّحِدِ

الى أن يقول :

أمّ العروبةِ اضحكي يا أمّنـــا فكُلُّنا اليومَ أبرُّ ولَـــدِ
يهفو الى بيضِ الصِّفاح باسمـا الحورُ قبلَ الشيخِ قبلَ الأمرد (١)

وهو في هذه الأبيات يؤكد على وحدة النضال العربي الذي هو جزء مـــن النضال العالمي من أجل الحرية ، وهو في هذا يعي حركة الواقع والتاريـــخ على مختلف مستوياتها هبوطا وارتفاعـا .

طريق واحد ، وهدف واحد لا بد منه لاستخلاص الحق ومحق الظلم ، فهي اللغـة الوحيدة التي يفهمها الاستعمار ، وقد أدرك أبو سلمى هذه المبدأ ووعاه جيـدا فقذف بنفسه في التيار الهادر لينشد الحياة بصوت جديد كان العهد الذي يمثلـه قد انقطع منذ زمن بعيد ، متخليا عن كل الأناشيد القديمة التي لم تكن لتزيـد النفوس الا ثقلا على ثقلها .

ايـه فلسطينُ ، اقحمي لُجَجَ اللّهيـبِ ولا تحيـــدي
لا يَقْهرُ الأغلالَ غيرُ جهنّمِ الهـولِ الشّديـــدِ
والثورةُ الحمـراءُ تُطْعِمُها الجُسومَ مع الكُبـــودِ
أيّان نسـألُ نارَهـا فتُجيبُنـا هـل من مَزيـــدِ
وَوَقودُهـا أهلُ الكرامـةِ من جَحاجحـةٍ وصيـــدِ
يا نارُ لا تتظلمـي وتقبّلـي شـرفَ الوَقـــودِ (٢)

.....

وفي هذه الأبيات تمتزج الحالة عنده بروح الثورة بل لعل أصالتـــه تتبدى من خلال الثورة وعبر الثورة . فهل اعلن ابو سلمى اكتفاءه التام بحمية

---

(١) ابو سلمى - من قصيدة عنوانها فلسطين - مجلة الرسالة القاهرية - العدد ١٦٨ - ٢١ ايلول ١٩٣٨ .

(٢) نقلت هذه الابيات عن ناظمها عبدالكريم الكرمي " ابو سلمى " قبل صدور الديوان الكامل عام ١٩٧٨ وقد وردت في الديوان الصادر عن دار العودة في بيروت - الطبعة الاولى عام ١٩٧٨ في صفحة ٢٥ .

مستمدا من روح هذا الشعب يقينه الثورى الذى أعرب عنه في الأبيات السالفة الذكر ؟ أحسب أن هذا هو المعنى الذى يقصده أبو سلمى في هذه الأبيات .

وتمضي الثورة في طريقها ، ويظل باب الاستشهاد مفتوحا على مصراعيه ، وتستعمل الحكومة البريطانية كل وسائل الارهاب والتنكيل لقمع الثورة واخمادها ، وتصدر محكمة حيفا العسكرية حكمها بالاعدام على المناضل الشيخ فرحان السعدى وهو أحد رفاق ومؤيدى الشيخ عز الدين القسام[1] وذلك في اليوم الحادى والعشرين من شهر رمضان عام ١٣٥٦هـ الموافق للرابع والعشرين من تشرين الثاني " نوفمبر " ١٩٣٧م وكانت التهمة الموجهة اليه ، هي حيازة أسلحة . وقد رفضت المحكمة الاستماع الى مرافعة المحامين كما رفضت شهود النفي ، لهذا امتنع الشيخ الصائم عن الكلام .

ويخلد أبو سلمى ذكرى استشهاد الشيخ المناضل في قصيدته المعروفة " بلهب القميد " نجتزئ منها هذه الأبيات :

قوموا اسمعوا من كلّ ناحيةٍ يصيحُ دمُ الشهيدِ
قوموا انظروا القسامَ يُشرِقُ نورُه فوقَ الصُّرودِ[2]
يومي الى الدُّنيا ومن فيها بأسرارِ الخلودِ
قوموا انظروا فَرْحانَ فوقَ جبينِه أثرُ السجودِ
يمشي الى حَبْلِ الشَّهادةِ صائما مِشْيَ الأُسودِ

---

(١) ولد الشيخ عز الدين القسام في قرية جبلة بسوريا عام ١٨٨٢ ولجأ الى فلسطين في منتصف عام ١٩٢١ بعد أن حكم عليه بالاعدام اثر اشتراكه في ثورة عشائر صهيون المعروفة ثورة الشيخ صالح العلي . وقد بدأ في دراسة ووضع اوضاع الجماهير العربية في فلسطين الى ان وجد الفرصة سانحة لتعبئة الجماهير فقادها في حركته التي عرفت باسمه حيث استشهد في معركة غير متكافئة مع أربعة من رفاقه في أحراش يعبد في قضاء جنين وذلك في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٣٥.
(عادل حسن غنيم - ثورة الشيخ عزالدين القسام - مجلة شؤون فلسطين - بيروت - كانون الثاني - ١٩٧٢م ص ١٨٢).

(٢) الصرود : جمع صرد وهو المكان المرتفع

سبعون عاما في سبيل الله والحق التليد
خجل الشبابُ من المَشيب بل السنون من العقودِ (١)

.....

في هذه الأبيات يقدم لنا أبو سلمى نموذجين ثوريين فلسطينيين ممثلين بالشيخ الشهيد عز الدين القسام ، والشيخ فرحان السعدي رجل السبعين عاما الذي أعدم شنقا وهو صائم ومكبل بالحديد .

.....

وقد عبر أبو سلمى عن خيبة أمله ونقمته على الحكام والزعماء العرب في هذه الأبيات :

انفُرْ على لهبِ القصيدِ شكوى العبيدِ الى العبيدِ
شكوى يرتّعها الزمانُ غداً الى الأبد الأبيدِ
ايهِ ملوكَ العرب لا ..... كُنتمْ ملوكاً في الوجودِ
يا من يَعزّون الحِمى ثوروا على الظلم المبيدِ
بل حرروه من الملوكِ وحرروه من العبيدِ
دكّت عروشَ زيّنوها بالسلاسلِ والوعيدِ
سُحقا لمن لا يَعرفون سوى التذلّلِ بالوعودِ
فأذلّهم وعدُ اليهودِ ولا أذلَّ من اليهودِ (٢)

.....

ويمضي الشاعر في ذم الاستعمار وأذنابه أمثال عبدالله فلبي الانجليزي والجنرال مود ، كما استمر في كيل الذم الى الحكام العرب معرضا شعوبهم على اسقاطهم مستعملا الهجاء اللاسع والسخرية اللاذعة .

اني لأرسلها مجلجلة الى الملك السعودي
أستار مكة كيف تسدلها على الغصم اللدود

---

(١) نقلت عن ناظمها عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - وهي كما جاءت في الديوان - دار العودة ط ١ ١٩٧٨ - ص ٢٤
(٢) المصدر السابق ص ٢١

لا تطهر الدنيا وفيها الانجليزُ على صعيد
لو كان ربّي انجليزياً دعوتُ الى الجُحودِ (١)

لقد أدرك أبو سلمى بوعي المناضل واحساس الشاعر حقيقة الواقع العربي الذي كان عليه عام ١٩٣٦ فكانت تلك الثورة التي بدأت في نفسه وأطلقها في الواقع السياسي العربي .

... ...

ويصور أبو سلمى جرائم الانجليز في فلسطين وما ارتكبوه من مظالم وهم يخمدون الثورة فيقول :

هل تشهدونَ محاكمَ التفتيشِ في العصرِ الجديدِ
قوموا انظروا الأهلينَ بينَ الوعدِ ضاعوا والوعيدِ
ما بين ملقىً في السجونِ وبين ملفىٍّ شريدِ
أو بينَ أرملةٍ تولول أو يتيمٍ أو فقيدِ
أو بين مجهول يَسرى عَفَ المنونِ من التّشيد
قوموا انظروا الوطنَ الذبيحَ من الوريدِ الى الوريدِ
تتزاحمُ الأجيالُ دامية النُطى حَوْلَ اللُّحودِ (٢)

....

يصور الشاعر في هذه الأبيات حالة الأهل الذين ضاعوا بين وعد بلفور والتهديد بالسحق والابادة . فهم بين سجين وأرملة ومنفي ويتيم وفقيد في وطن مذبوح من الوريد الى الوريد . ويحذر الشاعر من النتائج التي سوف يؤول اليها تقديم لواء الاسكندرونه هدية من فرنسا الى تركيا بعد سلخه من الوطن الأم سورية . مؤكدا على أن خلاص هذه الأمة هو على أيدي جماهيرها التي يجب ان تعلن الثورة كما في فلسطين . فالثورة هي الخلاص ، والحرية تشترى بالدم وطريق الثورة ليس نزهة ، ولكنه مليء بالمشقات والتضحيات .

---

(١) نقلت هذه الأبيات عن ناظمها وهي كما وردت في الديوان عن دار العودة في بيروت - ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٥

(٢) المرجع السابق

وفلسطين في عصر أبي سلمى ليست بقعة جغرافية فحسب ، بل هي أيضا طعم الثائرين كلهم لأن حالات الاحتلال والظلم والغزو القائمة في فلسطين يجب أن تكون بؤرة اهتمام كل الثوار . ففلسطين على الرغم من صغر مساحتها ، الا أنها محملة بتراث من النضال عبر سنوات مريرة طويلة ، وهنا هو شعبها يواصل زحفه على لهب انتفاضاته المتواصلة مصمما على تحقيق النصر على الغزوة الصهيونية والاحتلال . وفي ظروف صعبة وشاقة .

اما الجامعة العربية فهي كيان هزيل يضم دولا تابعة بشكل أو بآخر للاستعمار فالجامعة والحالة هذه ما هي الا دمية بيد الاستعمار في وقت يركب فيه أبناء الشعب الفلسطيني الصعاب مسلحين بالميراث الحضاري لشعبهم حيث كان نائما في طليعة وقلب كل الشعوب التي تؤمن بالحرية وتقدسها ،وممارسة الثورة على الظلم والجهل والفقر من أجل عالم واحد تتوفر فيه الحرية لكافة البشر .

فلسطينُ يا طُعمَ الثائرين فلسطينُ يا وطَنَ الحالدينْ

....

وشعبك يزحفُ فوقَ اللهيبِ ويُقسم باسمكِ أن لا يلينْ
لنا دولٌ ليتها لم تكن مطايا وأذنابَ مستعمرينْ
وجامعةٌ لم تَزلْ دميةً يَعِفُ اليها الرجيم اللعين

.....

وحرية الفكر نحن الذين رفضنا لواها كما تعلمين
ونحن الذين نثور على الظلم والجهل والفقر في كل حين
ومبدؤنا عالم واحد وتخليد حريةِ العالمينْ (١)

....

وانطلاقا من فهم أبي سلمى لقضية الوحدة العربية التي هي الوحدة

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة بيروت - ط ١ ١٩٧٨ ص ١١ - ١٢

بالثورة يمجد أبو سلمى الشهيد المجهول رمز هذه الوحدة فيقول على لسان الشهيد المجهول :

انـي أخ للثائرين ووالـــد للناشئين وللحياة رسـول
أنا في ديار العرب شارة مجدهم أنا رمز وحدتهم ... أنا المجهول (١)

وعندما بدأت الثورة تضعف ويستشهد قادتها واحدا بعد الآخر وقف أبو سلمى مطلا ومتسائلا عن أسباب ذلك ، وببساطة ووضوح وضع أبو سلمى يده على الجرح ، فقد كانت الثورة المضادة التي غرسها الاستعمار والصهيونية وساعد على وجودها ضعف وهزال القيادة السياسية الفلسطينية آنذاك وفي هذه الابيات من قصيدة « أرض الجهاد » حدد أبو سلمى المشكلة مؤكدا أن الثورة سوف تنفجر من جديد .

وطني ! .. أنت بقايا أمـــةٍ خضّبتهُ عَبَواتُ من فُؤادي
ما الذي جرّح جنبيكَ .. أجبْ كيدُ ابنائِك أم كيدُ الأعادي ؟
لا تقل هذا ترابٌ جامـــدٌ انما الأحياءُ في هذا الجمادِ
واحفظِ الأجيالَ في ناك الثّرى فالدّمُ الحرّ من التّربِ يُنادي (٢)

ويوعي من يدرك ما يدور حوله فهو يفضح الاستعمار الرازح فوق أرض الوطن العربي بوجهيه الفرنسي والبريطاني :

يا حادبينَ على الضعيف وويلكُم تاريخُكم في صفحتيه العـارُ
فهنا تجرّون القيودَ دوامِيـا وهناك في أيديكُمُ الأزهـارُ
وهذا الميامينُ استجارت منكـم وهناك أنتمْ قُبّـةٌ ومـزارُ
لا تذكروا حقّ الضعيفِ فكلُّكُـمْ مستعمَرون وكلُّه استعمـارُ (٣)

وعندما جاءت اللجنة الملكية البريطانية الى فلسطين عام ١٩٣٧ وأصدرت

---

(١) عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - ديوان أبي سلمى - دار العودة - بيروت - ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٩

(٢) عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - المشرد - دمشق - الطبعة الثانية ١٩٦٣ ص ٤٧ .

(٣) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - مطبعة العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٨

تقريرها الذى أوصت فيه بتقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق : عربية ، وصهيونيـــة ، وانجليزية . سخر ابو سلمى مما تضمنه التقرير ببيتين من الشعر قائلا :

أهـدوا بلادى لجنة ملكيـــة ... حتى تحلّ مشاكل المستقبـــل
درست فما وجدت سوى تقسيمهـا ... حلاً فكان الـحلّ اكبر مشـكل (١)

ولكنه يتابع بعد ذلك ليؤكد أن الشعب صاحب القرار فيما يتعلق بوطنـه فهو الذى يقاتل ، وهو صاحب المصلحة الحقيقية في التحرير والاستقلال وقيادتـه السياسية لا يحق لها أن تبصم على أى قرار يتعلق بمصيره أو مستقبله ، وهكـذا كان ، فقد رفضت اللجنة العربية العليا القرار بضغط من الجماهير التي كـان الشاعر واحدا من ابنائها :

ايـه فلسطينُ الجريـحُ ... قفـي على طُهرِ الأزارِ
لا تسألي المستعمريـنَ ... بل اسألي أهلَ الديارِ
يا أيُّها الشعبُ النبيلُ ... أمنتَ من شر الحِشارِ
أنتَ الذى تَهدى السبيلَ ... من اليمينِ الى اليسارِ
قرر مصيرَكَ أنتَ لا ... من يَبْصمونَ على القـــرارِ (٢)

وعندما صدر قرار تقسيم فلسطين بين العرب والصهاينة انفجر ابو سلمى في قصيدة لها سمات القنبلة والقلب في آن معا فبمقدار ما يحب أبو سلمى فلسطين ، بمقدار ما يناضل من أجل تحريرها وبمقدار ما يناضل من أجلها بمقدار ما يحبها أكثر ، انها فلسطين العربية الواحدة التي يهون عليها العذاب ، ويمدهـــا بمواصلة النضال حتى النصر .

ولـدي عِشْ أبا العروبةِ واسلـمْ ... وَطـني حِلْيةُ الزمانِ تبسّـــم
قسموا قلبك الموشح بالنـــور ... وتأبى العلى له أن يقسّـــم
قد نسجنا ثيابَ عرسِكَ خُمْـــراً ... إنها من قلوبنا ومن الـــدمْ
ورفعنا الراياتِ في جبلِ النـــار ... وسرنا الى القضاءِ المحـتّم
....
قد كفرنا بكم ، وبالعرب آمنـــا ... وانا بِكفرنا ليـومَ نأثـــم (٣)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - مطبعة العودة - بيروت - ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٩
(٢) المرجع السابق ص ٤٨
(٣) المرجع السابق ص ٥٧

وكانت النكبة ، وانا بشعب فلسطين يجد نفسه بلا وطن ! وانا بأدبـــاء فلسطين وشعرائها يهيمون في كل قطر يحملون جراحاتهم بين ضلوعهم ، وانا بالصورة تبدو واضحـــة .

شعب مشرد يقيم في بيوت وأكواخ في المدن والقرى أو الثكنات والمساجـــد والأديرة والمباني القديمة التي يمكن أن تدبر لهم في البلاد العربية المضيفة .

ومراجعة متأنية للشعر العربي والفلسطيني الذي أعقب النكبة مباشـــرة تطالعنا ملامح الذهول وعدم التصديق والحيرة . والسبب في هذا ، أن الأثـــر الحاد الذي خلفته النكبة في النفوس طغى على ما عداه ، وجعل الشاعر كغيره من بني قومه ، يفقد توازنه النفسي لتصبح مشاعره انعكاسا للواقع النفســـي الجماعـــي .

ولعل أهم ما يميز أبا سلمى عن غيره من الشعراء بعد النكبة ، أنه لـــم يقع أسيرا للذهول والحيرة اللذين وقع فيهما معظم الشعراء الفلسطينيـــين والعرب بعد النكبة . لأنه كان على وعي تام بما جرى قبل أن يجرى . فظـــل محافظا على توازن نفسي حال بينه وبين المشاعر السلبية ازاء هذا الحدث .

غير أن الألم الحاد والاحساس بالمأساة ، والنظر بعين دامعة مرة وغاضبـة مرة أخرى ، طبعت شعره بنغمات تبدو اكثر حدة مما كانت عليه قبل النكبـــة -كل ذلك من دون أن تحول بينه وبين الرؤية الصحيحة . وقد زاد من حدة هـــذا الألم ما جبل عليه ابو سلمى من عاطفة رقيقة لا تستطيع أن تمنع عنه البكـــاء - بكاء وليس ندبا يظهر في ايقاع رثائي مملوء بالمرارة والأسى والتحفز ، مـــع ما يصاحب ذلك من هجاء لاذع لأوضاع الوطن العربي التي تسير أموره بهذه الطريقة البعيدة عن قيمه وتاريخـــه .

يقول أبو سلمى في قصيدة " أين العواصـــم ؟! "

ما زال منديـــلُ الوَداعِ على عهدِ الهـوى والقلبُ ، لم يَجد
نديان .. من دمعي القديم وقد رويتـه بدموعـــيَ الجـــددِ

....

أين المواصم ؟! كدتُ أنكرها ... أخفى الذي أخفى على لُبَدِ
اني لأمسح خلفَ أدمعها ... عارَ الزمانِ وسُبَّةَ الأبدِ
تلك الشعاراتُ التي رفعت ... يا تَمْسَها في الساحِ من مددِ
حملت لنا الاوزارُ مثقلةً ... من يبتغي بيتاً بلا عَمَد ؟!

....

زعماءُ ساوى الذلُّ بينهم ... لا فَرق بين الصِيرِ والوَتِدِ
باسمِ العروبةِ يفتِكونَ بها ... ويقطّعون وشائجَ العَضُدِ
دولٌ .. وأجنادٌ .. وألويةٌ ... لا تلتقي .. الا على حَرَدِ(١)

وقد تناول أبو سلمى آلام اللاجئين المادية والنفسية . يقول أبو سلمى في قصيدته " النازحون "

لغة الدّمع أم بيانُ الجراح ... وَصدى اليتمِ أم أنينُ الأضاحي
يا فلسطينُ !.. اين تربتُك العذراءُ تفتضّها يدُ المجتاحِ
حرّ قلبي على التراب خضيباً ... بعظايا الأعراض والأرواحِ
أيها النازحون كيف تهاويتم نجوماً على غروبِ البطاحِ
أين أنتم !.. ان القلوبَ تنادى فيحول النداءُ رَجْعَ نُواحِ
ليتكم في ملاعبِ الحرب كنتم في فلسطين وحدكم في الساحِ
لو حملتم عِبءَ القضيةَ أنتم وكفرتُم بعصبةِ الأشباحِ
لجلوتم عرائسَ المجدِ فوق الأفق بين السَّنى وخفقِ الوِشاحِ
ودروبُ العلى اضاءت وقد سرتم وراءَ الظُّبى وخلفَ الرِّماحِ
لو دفنتم هناك طي تراب طهرته الدماءُ قبلَ السَبراح(٢)

لقد نال الاحباط السياسي والوطني من نفس أبي سلمى فأحس معه الألم والمرارة والغضب ، الا أنه مع هذا الشعور بالألم ، فانه لم يفقد روحه النضالية ، وان صدرت من شعره اشارات تنبئ بالمأساة وتصور الواقع

---

(١) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٣٨ - ٣٣٩

(٢) المصدر السابق ص ١٦٨

الذى آلى اليه قومه وشعبه .

وقد صور لنا في الأبيات السابقة تربة فلسطين فشبهها بالفتاة العذراء التي افتضتها يد المجتاح الغاصب ، وتخضب ترابها بخطايا الأغراض والارواح وتساقط اللاجئون نجوما على غريب البطاح .

وهو في الأبيات الأربعة الأخيرة يسخر من الدول العربية التي ابعدت الفلسطينيين عن ساحة المعركة في الوقت الذى لو سمح لهم بحمل عبء القضية أو المعاركة في واجب الدفاع عن وطنهم لحققوا النصر أو لنالوا شرف الشهادة وغسلوا بدمائهم عار الهزيمة .

ويواصل أبو سلمى بأسلوبه الساخر فضح تهاون زعماء البلاد وتآمر الحكام العرب فيقول في قصيدة المعركة :

يا رفاقَ الدهر هل شردكُم ... في الورى غدرُ عدوٍّ أمْ محبّ !!
زعماءُ ! .. دنّسوا تاريخكُم ... وملوكٌ ! .. شردوكم دونَ ذنب
وجيوشٌ غفر اللّهُ لهـا ... سلمت أوطانكم من غيرِ حرب
دولٌ تصبها شرقيةً ... وانا أمضت فالحاكم غربي
يوم هزّت للوغى راياتِها ... حكمت فيه على تمزيدِ شعب (١)

وبهذا ينفذ الشاعر الى ضمير الشعب الفلسطيني ليجوس في واقعها الاجتماعي والسياسي ليستلهم من هذا الحال مادة لشعره الغاضب .

ويمضي شاعرنا في سخريته اللاذعة من الحكام الذين كانوا سبب النكبة فيقول في قصيدة " درب الدموع "

وسألت عن وطني ومن أودى بـه ... هل كان أهلي الأقربون أم العِدا ؟
وبدا السراب على المدى وضاء مثلاً ... وأراه مثل اللاجئين مغرّبا
عجبا أفي دربي الأريجُ مضيّعـا ... والدمعُ في قلبِ الهوى وما اهتدى (٢)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المعركة - ط ٢ ١٩٦٣ ص٦
(٢) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت - ط ١ ١٩٧٨ ص٢٩٦

حميت ديار العرب ثم صهرتهـا ووحّدتها قلباً وسيفاً ومقصدا
وها هي ما بين الديار غريبة تـرى دولا شتّى وشملاً مبـدّدا
وعلمتنا أن نعبدَ الربَّ وحـدَه فما بال هذا الرب فينا تعددا
وحررتنا من كل قيد وذلـة وانا نرى من فوق أرضك أعبدا (١)

ورغم أن أبا سلمى كان واحدا ممن اكتوى بنار النكبة ، الا أنه استطاع ان يخرج من بين الركام ليكون النفير الذي يطلق اصوات الاستنفار ، ويثير في نفوس شعبه وأمته نبراس الأمل ، ويستنهضهم ليكونوا الزلزال الذي يهز واقع التمزق ، والديناميت الذي يدمر أوضاع التخلف والفساد . وهذه الوحدة الثورية ، هي مقدمة للوحدة العربية الشاملة التي هي الطريق الوحيد الى تحرير فلسطين .

ألا ثورة ملء الدنى عربيـة تطهرنا بالنار نفسا ومولـدا
تقلبنا معتزة فوق جمرهـا ولن يخبو الجمر النبيل ويخمدا
الى أن يغيب الليل أسود حالكا ويضمرنا فجر الفتوح مـوردا
هناك يتيه المصطفى عندما يرى لنا علما فردا وجيشا موحـدا
تطل علينا وحدة عربيـة وفي ظلها يحيا الزمان مغـردا
وتمضي فلسطين الحبيبة حـرة تحيي رسول الله والعرب أحمدا (٢)

وأبو سلمى يؤمن بالثورة ويحرض عليها ، ولا يرى أي مستقبل لقضيتـه وطنه الا بها ومن خلالها ، فالثورة عنده هي المستقبل ، وهي صوت الغد الـذي يجب أن يصدر من اعماق الحاضـر .

ان الحقيقة التي يستلهمها ابو سلمى ، حقيقة روح الشعب التي عرف أول ما عرف وهي التي تجعله لا يعرف غير هذا الطريـق .

يقول أبو سلمى في قصيدة " دم أهلي "

انه الشعب وحده يعقد الحـق على النصر ... راية للفخـار
وحده من يقود في طرقات الليل ، جيش الصباح والأنـوار
يرد الموت والمعارف ظمـآن ، ولا يستسيغ طعم الثمـار (٣)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت - ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٤٩
(٢) المرجع السابق ص ٣٥١
(٣) المرجع السابق ص ٣١٦

حميت ديار العرب ثم صهرتهـا ... ووحدتها قلباً وسيفاً ومقصدا
وها هي ما بين الديار غريبة ... ترى دولا شتى وشملاً مبددا
وعلمتنا أن نعبدَ الربَّ وحدَه ... فما بال هذا الرب فينا تعددا
وحررتنا من كل قيد وذلة ... وانا نرى من فوق أرضك أعبدا (١)

ورغم أن أبا سلمى كان واحدا ممن اكتوى بنار النكبة ، الا أنه استطاع ان يخرج من بين الركام ليكون النفير الذى يطلق اصوات الاستنفار ، ويثير في نفوس شعبه وأمته نبراس الأمل ، ويستنهضهم ليكونوا الزلزال الذى يهز واقع التمزق ، والديناميت الذى يدمر أوضاع التخلف والفساد . وهذه الوحدة الثورية ، هي مقدمة للوحدة العربية الشاملة التي هي الطريق الوحيد الى تحرير فلسطين .

ألا ثورة ملء الدنى عربية ... تطهرنا بالنار نفسا ومولدا
تقلبنا معتزة فوق جمرها ... ولن يخبو الجمر النبيل ويخمدا
الى أن يغيب الليل أسود حالكا ... ويضمرنا فجر الفتوح مورّدا
هناك يتيه المصطفى عندما يرى ... لنا علما فردا وجيشا موحدا
تطل علينا وحدة عربية ... وفي ظلها يحيا الزمان مغردا
وتمضي فلسطين الحبيبة حرة ... تحيي رسول الله والعرب أحمدا (٢)

وأبو سلمى يؤمن بالثورة ويحرض عليها ، ولا يرى أى مستقبل لقضيته وطنه الا بها ومن خلالها ، فالثورة عنده هي المستقبل ، وهي صوت الغد الذى يجب أن يصدر من اعماق الحاضر .

ان الحقيقة التي يستلهمها ابو سلمى ، حقيقة روح الشعب التي عرف أول ما عرف وهي التي تجعله لا يعرف غير هذا الطريق .

يقول أبو سلمى في قصيدة " دم أهلي "

انه الشعب وحده يعقد الحق ... على النصر ... راية للفخار
وحده من يقود في طرقات الليل ، جيش الصباح والأنوار
يرد الموت والمعارف ظمآن ، ولا يستسيغ طعم الغبار (٣)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت - ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٤٩
(٢) المرجع السابق ص ٣٥١
(٣) المرجع السابق ص ٣١٦

لا عجب أن يغني أبو سلمى أصدق الحان النكبة وأعمقها وجدانا وعاطفة لأنه صدر فيها عن واقع وطنه ، وحكى عن التجارب التي عاشها بنفسه، والمآسي التي رآها بعينيه وما وراء كمن سمع . ولقد كان الدكتور ماهر حسن فهمي محقا حين وصف هذه الحالة بأنها غربة شعب ممزوجة بعذاب لا نهاية له [1]، وهي غربة يستدعيها البعد عن الوطن والحنين اليه ، فيحمل التعبير عن الغربة في هذه الحالة اعترافا بواقع وادانة له ومحاولة للتخلص منه .

ولئن كانت الغربة تعني الضياع والشقاء ، فان الحنين للوطن والعودة الى ربوعه يعني الحياة والبهجة ، ولئن كان الماضي عزا ولى وبهجة تلاشت ، فلا أقل من أن يحن الشاعر الى دار طفولته وعهده فيها ويتذكر أمسياتها الضاحكة ، وملاعب صباه ورفاق عمره يوم كان ساكنا في وطنه .

أختاه لا تبكي على أوطاننا ... فالتربة السمراء في انتظارنا
تلثمها بالطل حتى تلتقي ... شفاهنا على سنى تذكارنا
تحملنا الأشواق كل ليلة ... الى ربانا والى انهارنا
طيوري معي الى ملاعب الصبا ... فانها تصبو الى جوارنا
كيف نظل في دروبها ومن ... قلوبنا النور ومن أبهارنا [2]

ومن حنين الأهل الى الأرض الى لهفة الأرض على لقاء الأهل المشردين ، وقد كان أبو سلمى موفقا في وصف هذه اللهفة المزدوجة التي يشترك بها الشعب ووطنه .

الى متى ! .. وأرضنا تنتظر ... طال السرى وما أطل القمر
مواكب النصر التي مرت بنا ... ليس لها على الدروب أثر
أسأل عن أهلي ومن يسمعني ... أين بقايا الأهل ! هل هم بشر
الغرباء في ربوع أهلهم ... يبكي على أهلي الدجى والحجر [3]

---

(١) د . ماهر حسن فهمي - الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث - معهد البحوث العربية القاهرة ١٩٧٠ ص٨٤

(٢) عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - اغنيات بلادي - الطبعة الاولى - دمشق - ١٩٥٩ . ص٥٤

(٣) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - الطبعة الثانية ١٩٦٣ دمشق ص٧١

ويصور أبو سلمى وطنه بالضحية ثم يسأل عن المخلص الذى سيأتي لانقـــاذ هذا الوطن المطعون فيقـول :

كيف أخفي الهوى وشوى جنـــاح كلما رفّ بالدمـوع تعـثر
كيف أنسى ؟! ..ألم تسر في فلسطين على ذلك التراب الأطهـــر
تتغنى نراته بالبطـــــولات فتطوى مع العصور وتنشـــر
وطني !.. يا ضحية الظلم مالـي لا ألاقي غير الجبين المعفّـر
من يواسي جرح الزمان انا كـــان المواسي في الحي طاعن خنجر(١)

وهذه صورة أخرى مملوءة بالحنين ، ولكنها مملوءة بالقوة أيضـــا ، اننا نجد روح الكآبة واليأس تختفي لتطل صور الأمل المشرقة في اســـترداد الحق المغتصب .

غدا سنعود والأجيال تعفـــي الى وقع الخطى عنـد الايـــاب
نعود مع الحواضن دامويـــات مع البرق المقدس والشـــهاب
مع الأمل المجنّح والأغانـــي مع النسر المطل والعقـــاب
مع الفجر الضحوك على الصحارى نعود مع الصباح على الضبـــاب
مع الرايات دامية الحواشـــي على وهج الأسنة والحـراب(٢)

وتتحول القصيدة الى سؤال ، علامة استفهام كبيرة على فم فتاة أبي سلمى وتمتزج مشاعر الحب بين المعشوقة الفتاة والمعشوقة الأرض ويتداخل احســـاس الشاعر بالغربة واحساسه بالوطن ، فهو في هذه الثنائية يفرغ شحنة من همومـــه ليطهر نفسه من كبت المشاعر وتأزمها .

هل تسألين النجم عـــن داري وأين أحبابي وســـاري
داري التي اغفت على ربـــوة حالمة بالمجد والفـــار

---

(١) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - المورد - الطبعة الثانية ١٩٦٣ - دمشق ص ١٩ .

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان أبي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ١٧٢

الحمس لا تضحك الا لهـــا تهدى اليها وشي أستار
الذبتة الغضراء في ظلهـا تاريخ اشواقي وآثـــاري
والكرم ما أرحم أفيـاءه أحلام عشاق وأطيـــار
من عرق الفلاح انـــداؤه أكرم من طل وأمطـــار
داري! .. وفي عيني بعد النوى الا ترى خيالها الساري؟!
ضحية الحسن! .. وكم فتنة تجني على حسناء معطـــار
جار عليها مدع بالهـوى جور عدو في الحمى ضـــار
داري لئن لم يبكها جاحـد فالعالم الحر بكـى داري(١)

ومن لهيب الشوق الى وطنه ينطلق الشاعر فيضرم النار في القلـــوب مستمدة من نار قلبـه .

كلما قلت أطلّ الفجر غابـا أترى تغدو فلسطين سـرابا
وانا الدمع روى عدها الهوى وجلا صورتها ذابت وذابـا
وانا ما الدم روّى أرضهـا حالت الارض به قفرا يبابـا
مسح الأهل وسومات الخطـى لم نجد خلف المنى الا ترابـا(٢)

والحق أن هذه الابيات تنطق بما يعتمل في نفسه من أسى وحسرة على وطنـه الذى لا يراه الا من خلال الدموع ، كأن صورته تتباعد أو تذوب .

ويستحيل كل شيء في وجدانه الملتهب شوقا الى بلاده الى نغم معطـــر يحمل أنفاس الوطن . فهو يتأمل سفوح بلاده وسهولها من بعيد مشيدا بشـعبه وأهله متساءلا عما اذا كان وطنه ما زال عربي السيماء والمرابع أم أنه قـــد تهود وأصبحت معالمه التاريخية وحضارته العربية أثرا بعد عين . يقول ابو سلمى في قصيدة « الأفق الحبيب »

طال دربي فهل تضيء جراحي وعلى السفح هل يرفّ جناحـي
قطرات الـدم المشعة من قلبي كانـت ، ولا تزال صباحـــي

---

(١) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - المفرد - الطبعة الثانية - دمشق ١٩٦٣ ص ٥٣ - ٥٦
(٢) المرجع السابق - قصيدة الدم المطلول - ص ٥٨

فمتى تلتقي مع الشام أرضي ومتى تلثم البطاح بطاحي
قد حدتنا الأشواق في المرجة الخضراء مزفوفة بأحلى صداح
عابقات بالطيب من عبد شمس مشرقات مع الوجوه الصباح
ليت شعري !.. رايات مروان تعلو أم ظبايا خيامنا في المراح
هل سرايا بني أمية في " الرملة " واللد أم طيوف أضاحي(١)

نلمس في هذه الأبيات ذلك التفاعل الحقيقي مع التراث ومن هنا يكتسبون ارتباط الهم الفلسطيني بالهم العربي ، ففلسطين بالنسبة للشاعر هم خاص لكنه هم عربي يعيش هذه القضية بكل جوارحه ويريد أن يعيشها كل عربي بكل جوارحه من هنا جاء اتكاؤه على التاريخ العربي الذي يتخذ منه منحنى واضحا وبهذا تصبح همومه بؤرة لهموم أكبر أعمق وأشمل .

وها هو بعد عشر سنوات من النكبة يمجد الوحدة التي قامت بين مصر وسوريا ولكنه يستلهم روح الانتفاضة التي هبت في جبل النار مؤكدا على أن النكبة الفلسطينية هي من أهم العوامل التي أدت الى تلك الوحدة التي لن تكتمل الا بفلسطين .

باسم أطفال بلادي زهقوا في الدروب الحمر تلا وهوانا
بالضحايا كتبوا تاريخنا بالخيام السود تبكيهم زمانا
وظبايا نا اللواتي وجدت بين أهلينا ولم يبق سوانا
لن تتم الوحدة الكبرى انا لم يلح في الوحدة الكبرى هنا(٢)

وكان الشاعر قبل ذلك قد تمنى تحرير قناة السويس مشيرا أن بعدها سوف تزحف الجماهير على طريق فلسطين .

اليوم حررت القناة وفي غد نمشي على صوت الشعوب الهادر
فترى فلسطين الحبيبة حرة تختال بين فوارس وحرائر (٣)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٥٦
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٥
(٣) المرجع السابق ص ٢٠٧

ويتصدى الشعب العربي المصري للعدوان الثلاثي الذي دبرته بريطانيا وفرنسا بالاشتراك مع اسرائيل في التاسع والعشرين من تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٥٦ وكانت معركة بورسعيد الخالدة ، وكانت انتفاضة الشعب العربي لا في مصر وحدها بل في الوطن العربي كله . وتجسيدا للبطولة التي أبداها شعب بورسعيد واشادة بكفاحه وتصديه للغزاة يحيي أبو سلمى أبطال بورسعيد مؤكدا أن انتصارهم على العدوان هو انتصار لقوى التحرر في الوطن العربي ، ومثلة في طريق تحرير فلسطين .

يا بور سعيد !.. تحية عربية ... تسمو اليك من العروق الثائر
وعشقت فيها من حجارتك الشذا ... والنور فيها من سواد الناظر
اليوم حررت القناة وفي غد ... نمشي على صوت الشعوب الهادر
فنرى فلسطين الحبيبة حرة ... تختال بين فوارس وحرائر (١)

ويتحرك المد الثوري من القاهرة الى أقطار أخرى من العالم العربي فيثور شعب العراق في ١٤ يوليو (تموز) ١٩٥٨ ويقف أبو سلمى من هذه الثورة وقفة تمجيد واشادة ، فمن قصيدة عنوانها : بغداد يقول :

شعبي هنا وهناك ثائر ... فجر اللهيب اليوم ساحر
شعبي أطل مع الصباح ... مخضب الجنبات هاجر
شعبي الذي نشر اللهيب ... من العراق الى الجزائر
بغداد قد مست يد ... الأبطال جيدك والذوائر
طيب البطولة لا تقل ... طيب الربيع أو الأزاهر (٢)

ووسط الضجيج الاعلامي والتعبئة المصورة والعاطفية التي لم تنجح الا في تفريخ شحنات التهديد والوعيد الثوغائي غير المخطط ، يقف شاعرنا متحطيا هذه التهويمات ليوقظ أبناء وطنه من غفوتهم موجها اياهم الى طريق

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - أغنيات بلادي - الطبعة الأولى - دمشق ١٩٥٩ ص ٧٥

(٢) المرجع السابق ص ١٣٥

الثورة المسلحة لأنه سبيل العودة ٠

يا فلسطين ! أعدت أنفاس شعبنا ... لم ينم ساعة على الاضطهاد
حارب الظلم منذ كان فيا للشعب يودى بالسيف والجلاد
لا تقولوا هذى بقايا فلسطين وفيها دنس من الأمجاد
سيعود المشردون اليها اسمعوها مع الضحايا تنادى (١)

ويستمر في التأكيد على هذا المعنى ، ويدعو الشعب الى الثورة فيقول :

يا فلسطين ! .. لا تراعي فانا ... لم نزل في الدنى نحوض العبابا
منا في نضالنا كل شعب ... عربي يرى الحياة غلابا
يخجلي الظلم والظلام اذا ما التهب ... الشعب في القتال التهابا
ويظل الفجر الحبيب ضحوكا ... ويضيء الدروب والأحبابا
وتنادى أرض البلاد بنيها ... فيكون المشردون الجوابا (٢)

ويتساءل عن موعد انفجار البركان الثورى الذى يفجره الشعب الفلسطيني ليحقق الانتصار على القوى الباغية ، ويتم التحرير ٠

اللاجئون والرماد فوقهم ... متى .. متى .. بركانهم ينفجر
هذى فلسطين تنادى شعبها ... السفح والربوة والمنحدر
وشعبها لو تعلمون جيشها ... عند اللقاء ٠ شعبها المنتصر (٣)

ويواصل دعوته الى الثورة مؤكدا أن المآسي التي عاناها الشعب الفلسطيني والدماء التي بذلها في كفاحه الطويل المرير قد وحدت بين الشعب قدرا ومصيرا ٠

وحدتنا دماؤنا في الميادين ... وماض دام لنا ومصير
داميات الحدود على حلل الدمع تنادى متى يكون المسير
ومتى يهزج التراب على وقع خطى اهلنا ويحلو النفير (٤)

وكانت الفجيعة بهزيمة حزيران (يونيو) سنة ٩٦٧ وقد كان من الممكن لهذا الايمان أن تزعزعه النكسة التي تعتبر افدح مأساة في تاريخ العرب

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادى - الطبعة الاولى - دمشق ١٩٥٩ ص ٩٧
(٢) المرجع السابق ص ١٢٩
(٣) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - من فلسطين وبيتي - الطبعة الاولى - دار الاداب - بيروت ١٩٧١ - ص ١٥
(٤) المرجع السابق ص ١٧

الحديث ، نظرا للتمزق النفسي الذي أصاب النفس العربية .

ولكن فكما كان عدوان حزيران وفجيعته بداية مرحلة بالغة الخطورة في الوجود الاستعماري الصهيوني في منطقة الوطن العربي ، فقد كان أيضا بداية مرحلة جديدة حاسمة في النضال العربي الفلسطيني ضد هذا الوجود .

ولقد كان ابو سلمى سباقا في استجلاء احباطات الواقع العربي مقررا أن على حاملي ألوية العار والهزيمة أن يتخلوا عن حومة الميدان ويسلموا الشعب أمره ، ويتساءل أبو سلمى عن موعد تفجير الثورة الفلسطينية التي يرى أنها البديل الوحيد لغسل عار الهزيمة وتحرير الأرض المغتصبة .

أيها الحاملون ألوية العار تخلوا عن حومة الميدان
سلموا الشعب أمره واستريحوا يا حماة الأصنام والأوثان
كل جيش يكون حربا على الشعب ذليل انا التقى الجمعان
عاصف بين أهله ونسيم للمغيرين شأن كل جبان
يوم هبت على حدودكم النار جثوتم أمام كل دخان
يأنف الترب أن تمروا عليه وتصاب الرمال بالغثيان
كل يوم تجدون الشعارات مزارا من أزمة الوجدان
بعد حرب التحرير ، قد أصبح اليوم شعارا ازالة العدوان (١)

ليت شعري ... متى يفجر شعبي في فلسطين ثورة البركان
وفلسطين لن تضيع وأهلوها يغوصون هول كل عنوان
ان جيش الشعب المشرد أقوى من جيوش التحرير والطيلسان
ان جيشا يرجى لتحرير شعب غير جيش الكرسي والصولجان (٢)

ويجد الفلسطيني أن لا مناص من حمل السلاح والنهوض للمقاومة مستمدا من جراحه العزم والقوة والصلابة ، فالشرارة التي كانت قد اندلعت ذات يوم من

---

(١) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - من فلسطين ويشتي - الطبعة الاولى - دار الآداب - بيروت ١٩٧١ ص١٩

(٢) المصدر السابق ص٢٠

عام ١٩٦٥ قد اتسعت لتأخذ شكل مقاومة منظمة داخل الأرض المحتلة .

هذه المقاومة الدامية هي التي تعطي دماء الضحايا معناها ودورها في اضاءة شعلة الحرية ، فالكفاح المسلح وحده هو الذي يصنع غد القضية الفلسطينية ، ويشيد صرح مستقبلها . ولطالما أريد لاسم فلسطين أن يطفأ ويبتعد أبناء فلسطين عن ميدان المعركة ، أما وقد تفجر بركان الثورة ، فسوف يمحى العار وتردد أغاني النصر .

دم أهلي مداعل من نار ... حملتها مواكب الثوار
فهي حينا تشب في جبل النار ... وحينا تشب في الأغوار
وعلى ضوئها تلوح فلسطين ... وتاريخ شعبها الجبار
يا فلسطين ! نحن باسمك في الساح ... وقوفاً نخوض كل غمار
كم أرادوا أن يطفئوا اسم فلسطين ... ولن يخمدوا خفوق الذرارى
كل حرف تضيء فيه شموس ... كل شمس تضيء ألف نهار
ان أهلي على اللهيب يسيرون ... ويمحون باللظى كل عار
ويمرون فوق جسر المنايا ... يهبون الحياة للأحرار
معهم في المعارك الحمر قلبي ... وجراحاتهم أكاليل غار
في فلسطين خالدون على الدهر ... خلود الجبال والأنهار
وأغاني اليرموك نحن وطين ... وذرات تربها المعطار
نحن زيتونها المؤثل فيها ... نحن فيها وراء كل اخضرار (١)

وتغدو المقاومة الفلسطينية التي يرمز لها أبو سلمى بالنسر ، الأمل المرجى بعد مراحل الذهول والحزن والحنين والاحساس بالتمزق والانطار ، ثم موجة اليأس التي غمرت النفس العربية بعد حزيران ، ويطلب شاعرنا من النسر أن يمد جناحيه على الكرمل واللد والرملة والمجدل ، وان ينطلق ليرف على أرض الوطن

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - من فلسطين ريشتي - الطبعة الاولى - دار الآداب - بيروت ١٩٧١ ص ٢٢

ويحمي أرض الحمى لتنجلي الظلمة ، ويعود الحق الى نصابه .

مد جناحيك على الكرمل ... واللد والرملة والمجدل
أيها النسر الحبيب انطلق ... وقف على موطننا الاول
تجددت فيك أمانينا ... فأنت دنيا بالمنى المخضل
أحلامنا الخضر على أرضنا ... مثل قلوب الأهل لم تذبل
حور فلسطين وأرض الحمى ... وقل لهذا الليل أن ينجلي (١)

ويستمر شاعرنا في اظهار اعتزازه وفخره بثورة شعبه التي وقفت تتحدى القمع والاضطهاد والاحتلال ، رغم التضحيات الجسيمة والضحايا الكثيرة .

يا فلسطين أتيناك على ... صهوة الجرح وعودا ورياحا
تقف السمراء في ساح الوغى ... تتحدى الأسر الندب كفاحا
حسبوا أن رماحي انكسرت ... ان لي في كل ميدان رماحا (٢)

وتجيء حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣م ليعبر فيها الجيش العربي المصري القنال ، ويحطم خط بارليف ويقتحم الجيش العربي السوري أرض الجولان وليصاب الجيش الاسرائيلي بغروره وغطرسته ، ولكن المون الامريكي لاسرائيل سرعان ما عمل على ايقاف المد العربي ، ويعبر أبو سلمى عن خيبة أمله في حرب تشرين التي لم تعد له وطنه ويتساءل عن نوع النصر الذى تحقق وهو ما زال يعيش مشردا ليس له وطن .

قالوا كتاب النصر جئنا به ... يكفي بأن تقرأ ما عنونوا
ماشهر (تشرين)! انا لم يعد ... لي بيدرى والكرم والمسكن
وأى نصر وأنا لم أزل ... مشردا وليس لي موطن (٣)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - من فلسطين ربيتي - دار الآداب - بيروت ط ١ ١٩٧١ ص ٣٢

(٢) عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - جراح فلسطين - جريدة الدستور الاردنية - ٢١ نيسان سنة ١٩٧٤ العدد ٢٤١٩ ص ٣ - ٤

(٣) عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - الخالدان الحب والوطن - الثقافة الجزائرية - السنة الخامسة - العدد ٢٧ يوليو ١٩٧٥ .

ويتساءل بسخرية لاذعة ونقد مرير عما اذا كان قومه قد تغيرت طبيعتهم وهمدت جذوتهم وهبت شعلة حماستهم ، أم قرت العيون ورضيت بما يمنحه الاعداء من أجزاء ضئيلة من الجولان وسيناء على موائد فك الارتباط .

أهلي هنا في الساح أم غيرهم ... حيرني الأغبر والأدكن
همهم التحرير عهدي بهم ... فهل تناءى الهم والديدن
ما بالهم هل اجبلت أرضهم ... وأطهرت غير الذي تبطن
هل همدت جذوتهم أم حبا ... لهيبها أم قرت الأعين
سيناء والجولان لن يقبلا ... فكهما والأصل مسترهن (١)

ويمزيد من الفخر والاعتزاز بالبطولة التي يبديها أبطال الفداء يحيي أبو سلمى فيهم هذا التسابق في طلب الموت لتوهب لشعبهم وأمتهم الحياة مؤكدا أن طريق الحرية لا تقحم الا بالشهداء وأن أشجارها لا تروى الا بالدماء.

ان فلسطين لأبنائها ... وانهم على الردى وطنوا
أعراسهم تسابق في الفداء ... قد انحنى الموت ولم ينحنوا
نزرع بالموت على أرضنا ... حياتنا نحن ، ومن يجبن ؟ !
وكيف يسقي الدم أرضي ولا ... تغضب والاشجار لا تغضن
على لظى احرارنا وحدهم ... تذوب الأغلال وتطحن (٢)

وينطلق شاعرنا مرة أخرى ليحيي بطولة شعبه في مقاومة الاحتلال وتحطيم الصلب ومواجهة القمع والارهاب بعزيمة لا تلين ، وتحد لا يقهر مقدمين من الضحايا والتضحيات على مذبح الحرية ما يعتبر بحق مثلا يحتذى في كفاح الشعوب ، ولم ينس أبو سلمى أن يفتخر ويشيد بالدور الباسل الذي أبداه أطفالنا في التصدى لجنود العدو ومقاومتهم .

من رأى الفتيان يمضون على ... لهب الموت رأى الأمر العجابا

---

(١) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - الخالدان الشعب والموطن - الثقافة الجزائرية - السنة الخامسة - العدد ٢٧ يوليو ١٩٧٥

(٢) المصدر السابق .

والبنيات على درب الـــردى ... في فلسطين يطمن الصعابـــا
ولد الابطال أبطالا علـــى ... وهج الثورة لم يحنوا الرقابا
شرفت دنيا فلسطين بهـــم ... وبها شرفوا الدنيا احتسابـــا
كلما ساروا على أرضهـــم ... نضروا بالدم والدمع الترابـــا
الحجار الصم في أيديهـــم ... تصرع الوحش المدمى والعقابـــا
رجموا النخوة فيما رجمـــوا ... والمروءات التي باءت كذابـــا
أشـرف الرايات أسما لهـــم ... وأعز الناس في الروع جنابـــا
والعصافير لدى أعشاشهـــا ... تتحدى كل ريح بالزغابـــي (١)

ويندد أبو سلمى باختلاف بني قومه وتفرق كلمتهم واراقة دماء بعضهـــم البعض مشيرا بذلك الى أحداث لبنان الدامية المؤسفة فيقول :

ما لقومي غفر الله لهـــم ... يقطعون الممر خلفا واحترابـــا
وأراقوا دمهم ما بينهـــم ... أتراهم حرروا أرضي غـــــلابا
وفلسطين بلادي الهبـــــت ... بنظاياها شعوبا وشعابـــا
وهم في كل واد هوّمـــــوا ... لا ترى الا كلاما وضبـــابا (٢)

وفي المهرجان التكريمي الذي أقيم لأبي سلمى في بغداد من الاتحـــاد العام للادباء العرب وبالتنسيق مع اتحاد الكتاب في العراق واتحاد الصحفيـين والكتاب الفلسطينيين في يومي ١٠ و ١١ كانون الثاني ١٩٧٩ استوحى أبو سلـمى من شاطئ دجلة قصيدته " التحدي " وهذه أبيات منها :

يتحدى المدى جناح القصيـــد ... أحرف الشوق فوق كل صعيـــد
حملتني شوارد المتنـــــبي ... فأرتني البعيد غير بعيـــد
تتخطى الزمان والصوت حـــتى ... يتخطى القديم عبر الجديـــد
كيف حال العراق بعد فلسطـين ... وبعد التمزيد والتهويـــد

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - حفلة تأبين المناضل العربي - صـبرى المصلي - تاريخ ١٩٧٦/٥/٢٩ نقلت عن ناظمهـا .

(٢) المصدر السابق .

ليلـه طال أم هوى النجـم في النهر فلم يبق غير ليل مديـــد

....

عصب بغداد أيها الحاطم الأغلال قل لي متى تذوب قيـــــودى
المنارات والمدائن بعـد القدس لاحت على السوح الســـود
ليت شعرى على الميادين جفت أو لم تلتهب دماء الصيـــد
لا المثنى يطوى على الهمة القعساء ما طال من فيافي البيـــد
لا ولا راية العقاب على غـزة خفاقة وفوق ســـــدود
لا بقايا السيوف في اللـد والرملـة ولا بقايـا الغمـــود
وانزوى الموج في البحيرة لا يلطم غير مـر الحـــــدود
وتوارى " معفو الليث بالسوط (١)" فلا من سوط ولا من أســـود
وغدا المنتمي لأرض فلسطين غريبـا كصالح في ثمـــود (٢)

....

يا أبا الطيب المعصب بالنار وقد أنبتته أرض الخلـــود
كل نفس شابت سوى نفسك الشماء ترقى الى سماء الصعـــود

....

كيف قل لي هل يفلح العرب والحاكم ما زال اعجمي العـود

....

ضحك كالبكاء والحكم ما انفك كما كان عهـده اخشـيدى (٣)
أى حرية هناك ولما يحرف الشعب غير عطن الحديـــد
أى سلم مع الذين أباحوا دم أهلي وقطعوا لي وريـــدى (٤)

---

(١) تضمين لشطر بيت من قصيدة المتنبي في بدر بن عمار "أمعفر الليـــث الهزبر بسوطه " .

(٢) تضمين لشطر بيت من قصيدة المتنبي الدالية " أنا في أمة تداركها اللـه غريب كصالح في ثمود " .

(٣) ربط بين كافور الاخشيدى الذى هجاه المتنبي اقذع هجاء والرئيس المصرى أنور السادات الذى عقد اتفاقية الصلح مع اسرائيل بعد أن سبق ذلـــك بخطوات مهدت له طريق هذه الاتفاقية .

(٤) حصلت على هذه القصيدة التي لم تنشر من أبي سلمى نفسه .

أي جيش هنا الذي يتغنى ببطولاته وأي جنود (١)
أي قومية وأشلاء قومي تتحدى الطغاة فوق الصمود
أي نصر على الحدود وأمن وعطايا أهلي وراء الحدود
أيبيعون أمتي ويلاذى بسمط الزمان عصر العبيد (٢)
وحدت بيننا الهزيمة والعار ولم نتحد على التصميد
ثم ثم الملوك حين بلونا رؤساء التسليم والتحييد (٣)

وفي ختام قصيدته يعود الشاعر الى أبي الطيب فيخاطبه قائلا :

يا أبا الطيب المضمخ بالتاريخ قم وادع من وراء الحدود
الهب العام والعراق ومصرا واصح بالنار ما لها من خدود
ان وضع الندى بديلا من السيف يضر الحمى وبالشعب يودى
لا تزال السيوف أصدق انباء (٥) كما جاء في أعز القصيد
عش عزيزا أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود (٦)

يعقد الشاعر الصلة بين عصرين : عصر المتنبي في القرن الرابع الهجرى وما كان عليه من اضطراب ، ودعوات مختلفة بين شتى الامارات التي كثر قيامها في ممتلكات الدولة العباسية ، والعصر الحاضر ، حيث الوجود العربي اليوم يتعرض لغزو استيطاني ، وتمزق وتناقض داخلي ، وحيث عوامل الفرقة تستشرى

---

(١) اشارة الى عبور المصريين للقناة في حرب اكتوبر ، تشرين الاول ١٩٧٣
(٢) اشارة الى مفاوضات الرئيس السادات باسم الشعب الفلسطيني واغفاله حق الشعب في تقرير مصيره .
(٣) يعقد ابو سلمى مقارنة بين الملوك الذين هجاهم عام ١٩٣٦ وعقب النكبة وبين الرؤساء الذين استسلموا وهنا تلميح بالرئيس السادات .
(٤) استعارة معنى بيت المتنبي " ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى " .
(٥) تضمين أحد مصراعي بيت " ابي تمام " في فتح عمورية السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب " .
(٦) تضمين كامل لبيت المتنبي عش عزيزا أو مت وأنت كريم ....

بين الحكام العرب وهم لا يستطيعون درء المعتدي ومع ذلك يكبلون شعوبهم بالقيود ويلجمون السنتهم ، ومع أنه يفصل بيننا وبين عهد المتنبي قرابة الف عام فما زال التاريخ يعيد نفسه دون اخذ العبرة والاتعاظ من الماضي .

من خلال قراءتنا لهذه القصيدة ، نجد الشاعر يسير على الخط التاريخي لانتصارات الأمة العربية ونجدتها عبر العصور ، فنجده يكرر الحوادث المهمة التي أعادت للعرب كرامتهم مثل انتصارات المثنى على الفرس ، انتصار العرب على الروم في عمورية . أما في زمننا الحاضر فلا يجد الشاعر ما يخاطب به أمته لكي يبعث فيهم الحمية والنخوة للجهاد . فيربط الشاعر بينه وبين المتنبي الذي حمل لواء المعارضة والثورة على واقع زمانه من حكام وشعوب أخذ ينفث فيهم بالكلمة لتغير من واقعهم ويرفع من شأن عروبتهم وقد هجا الملوك ولا سيما الحكام الاعاجم الذين لا تصلح العرب على أمثالهم ، حيث قال في قصيدة يمدح بها أحد الأمراء التنوخيين في اللاذقية :

وانما الناس بالملوك وما تصلح عرب ملوكها عجم
لا أدب عندهم ولا حسب ولا عهود لهم ولا ذمم
بكل أرض وطئتها أمم ترعى بعبد كأنها غنم (١)

وشاعرنا أبو سلمى يقود النقمة على الملوك والحكام الذين كانوا سببا مباشرا أو غير مباشر في نكبة فلسطين .

ان الشاعر حارس لقيم الأمة وحافظ لها ، محدد لشخصيتها وهو أداة عميقة الاتصال بوعي الجماعة التاريخي وارثها الأخلاقي .

ان الوجود العربي اليوم ، يواجه تحديات أخطر من التحديات التي واجهها عصر المتنبي فما أحوجنا والحالة هذه الى شاعر يبلور قيم العصر الحديث ، ورؤيا دولة العرب القومية الموحدة .

---

(١) عبدالرحمن البرقوقي - شرح ديوان المتنبي ج ٤ - دار الكتاب العربي - بيروت ط ٢ سنة ١٩٣٨ ص ١٧٩

المعمار الفني للقصيدة تاريخي نضالي يهدف الشاعر من ورائه الـــــى الثورة والتمرد على الواقع والاستفادة من عبر الماضـــي .

يكرر الشاعر معانيه السابقة ، وهذا ما يؤكد التزامه في مواقفه لأنه يتحرك ضمن الرؤيا الجماعية والتراث المشترك لأبناء أمته وعصـــره .

وفق الشاعر في استعاراته وتضميناته لعدد من القصائد المشهـــــورة لأبي تمام والمتنبي مما أكسبه روحا جديدة في هذه المعاني تتواءم وروح العصر .

الجانب الانساني في شعره

ان الالم الانساني المشترك الذي لا يعرف وطنا ولا قومية ولا حدودا، قد كان وما يزال مطمح كل شاعر في العصر الحديث، فهو يدرك أنه لن يحقق شيئا من طموحاته ما لم تتجاوز اهتماماته الانسانية القطر الذي نشأ فيه الى بقية أقطار الارض حيث تحتدم الصراعات اليومية، وتستشرى المواجهة بين الاستعمار وقوى التحرر، وبين سادة العصر وعبيده. وهذا لا يعني بحال أن الشعر وهو يدور في فلك المحلية والقومية بعيد عن النزعة الانسانية، فالعلاقة بين المحلية والانسانية، بين القومي والعالمي واسعة جدا والفوارق بينهما لا تكاد أحيانا تبين.(١)

ولقد كان أدبنا العربي القديم غنيا بالعناصر الانسانية، ويكفي أن نضرب المثل بأبي تمام الذي كان شعره مشبعا بتلك الروح. يقول أبو تمام وهو يبحث عن انسان مثال يفتقده في نفسه وفي معاصريه يفضي اليه بذات نفسه ويلقى منه كل تعاطف واهتمام.(٢)

من لي بانسان اذا اغضبته وجهلت، كان الحلم رد جوابه
وانا طربت الى المدام شربت من أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بقلبه وبسمعه ولعله أدرى به (٣)

والذي يهمنا، أن نبرز الجانب الانساني في شعر أبي سلمى وأن نتتبع مواقف الشاعر من قضايا النضال العالمي والحروب العدوانية العنصرية وأن نتلمس في بعض قصائده الانسانية شيئا من عناصر الوطنية والقومية.

---

(١) د. عز الدين اسماعيل - الشعر في اطار العصر الثوري - دار القلم بيروت ط ١ ١٩٧٤ ص ٦٢

(٢) د. اسعد احمد علي - الانسان في شعر أبي تمام - منشورات دار السؤال دمشق ط ٢ ١٩٧٩ ص ٢٣

(٣) بولس الموصلي - ديوان ابي تمام - مطبعة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني بيروت - ط ١ ١٩٦٨ ص ٢٦

ففي قصيدة " رمضان السمح الكريم " يذكر المسلمين في كافة بقاع الأرض بالمعاني السامية التي تستوحى من هذا الشهر الفضيل ، ففيه تجربة روحية يدرك الانسان عن طريقها ما بينه وبين الآخرين من ترابط لا فرق في ذلك بين أبيض وأسود وبين جنسية وأخرى . لقد وحد بينهم هذا الشهر وربط قلوبهم برباط مكين . يتلاقون فيه على طريق واحد وشعور واحد يرقى بهم الى أعلى مستويات المحبة الانسانية .

الأهازيج في السماء وفي الأرض تحيي شهر الهدى والنور
والسنا يملأ القلوب ويجلو عن محيا الدنيا ظلام الشرور
... ...
رمضان السمح الكريم يد الله على العالمين عذب النمير
ضمخ العرب بالطيوب فكانوا وحدة في صحيفة المقدور
ايه شهر الصيام طهرت روحي وفؤادي وما يحس ضميري
في ليالي أسمع النغم العلوي يسري مغلغلا في الدهور
كلما أصغت النفوس اليه طهرت من ضلالة وفجور(١)
أنت من علم المساواة فالناس سواء في بردك المنشور
أنت وحدتهم فلا فرق ما بين يتيم وبين رب سرير
سار في الدرب كل جنس ولون يتلاقون أمة في المسير
عالم أنت من صفاء وطهر وأمان وأنت دنيا شعور (٢)

ويوعي الانسان المناضل فهو يرى في ثورة شعبه على الاستعمار ثورة على الظلم والجهل والفقر من أجل عالم واحد تتوفر فيه الحرية لكافة بني البشر .

وحرية الفكر نحن الذين رفعنا لواها كما تعلمين
ونحن الذين نثور على الظلم والجهل والفقر في كل حين
ومبدأنا عالم واحد وتخليد حرية العالمين (٣)

---

(١) صحيفة الاتحاد - حيفا - ٥ تشرين الاول ١٩٧٣ - عدد ٤٣ - الديوان ص ٣٤ - ٣٥
(٢) المرجع السابق
(٣) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ١١

وهو يؤمن بدور الطبقة العاملة وبرنامجها الثوري، وفي تلاحمها مع حركة التحرر العالمي والاشتراكية . انه النضال الانساني المشترك ضد الفقر والجهل والاستعباد .

قالوا يساريون قلت أجلهم عملا ومبدا
وطن على أيديهم يجني مع الأيام سؤددا
حفت به أعرافهم ريا وبالأمجاد تندى
لم يعرفوا كيف المبادئ تشترى عدا ونقدا
هذي المطارق والمناجل تحصد الظلام حصدا
وتحرر الانسان حتى لا ترى في الكون عبدا (١)

وفي قصيدة " مرحبا بالرفاق " يشيد أبو سلمى بدور الحركة العمالية الموحدة . فكما أبصر طريق الخلاص لوطنه على يد الشعب فهو قد أبصر الخلاص للفقراء والمضطهدين في انحاء العالم ضمن هذه الحركة الموحدة ، يقول في قصيدة " مرحبا بالرفاق "

هتف القلب مرحبا بالرفاق ما أحيلى اللقاء بعد الفراق
يا رفاق التاريخ خلدتموه وهو تاريخ ثورة وانعتاق
بالبطولات والمروءة والدمع وحمر الفصال والأخلاق
ان حرية الشعب عروس تتجلى ليلا على العشاق
أيها الثائرون في العالم الرحب على الظالمين في الآفاق
حطموا النير فهو من أثر الوحش على الأرض واعصفوا بالوثاق
وامحوا الظلم والجهالة والفقر من الكون بالدم المهراق
أينما كنتم رفقتي رفاق وحدتنا حرية الأعناق
والتقينا على جناح الأعاصير وفوق اللظى وبيض الرقاق
في الميادين والمعامل اخوانا وفوق الربى وفي الاعماق
جمعتنا مبادئ وعهود فالتقينا من قبل يوم التلاقي (٢)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار المودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص٥٦

(٢) المرجع السابق ص٥٤

ونرى أن أبا سلمى في اتجاهه الانساني هذا قد دمج انسانيته في الدعوة الاشتراكية. فالوفاق من العمال الذين يصوتون الحرية قد جمعت بينهم مبادئ يلتزمون بها وعهود يتمسكون بتنفيذها . وهو هنا يعتبر تحرير فلسطين وجهها انسانيا قبل أن يكون قضية قومية لأن حرية الشعب الفلسطيني والأمة العربية هي جزء لا يتجزأ من الحرية في كل مكان .

ومن مظاهر التفاعل بين القضايا الوطنية والقومية وبين قضية تحرير المستعمرات حيث يمجد الكفاح المسلح في الهند يصور أبو سلمى العلاقات الانسانية التي تربط بين كفاح الهنود وكفاح الشعب العربي في فلسطين في قصيدة يحمل عنوانها اسم " فقير ايبي " وهو ثائر هندي أعلن الثورة المسلحة ضد الحكومة البريطانية في الهند . يقول ابو سلمى :

فقير ايبي يا منار الهند ، أفن الزمان في طلاب المجد
وادع جواهر لال ، واذكر غاندى واجعل " وزيرستان " دار الخلد
يضيء فيها وهج الفرند وقد جمع شيبها والمرد
الى الوغى واللهب الممتد زئيرهم يدوى دوى الرعد
مناديا : هذا جهاد العبد
لا بد للثورة أن تسودا نحن وأنتم نطلب الخلودا
الانكليز انكروا العهودا وخالفوا من بعدنا اليهودا
لاننا على طريق الهند (١)

ويقف العالم مروعا أمام الاجتياح النازى لأراضي الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية . وكان أبو سلمى يتلقى انباء المعارك والهزائم ويتابع زحف الجيوش الألمانية داخل الاتحاد السوفياتي ، ويستمع الى تبجحات هتلر ، لكن بغير يأس ، كان يقرأ أنباء بطولات الشعب السوفياتي ومفاداة الأنصار وراء خطوط الجبهة فيزيده ذلك اعجاباً بشجاعة الابطال وتقديرا لكفاحهم وكتب

---

(١) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٦

أبو سلمى قصيدة عنوانها " أبو الأحرار " يقول فيها :

مشيناها خطى حمـــرا	وشدنا عالما حـــــرا
وخضنا لجج الليـــل	وأطلعنا النّجى فجـرا
ابا الاحرار لا تلـــأس	على ابن الثورة الكبرى
مضى مثل رفاق الحـــق	والتاريخ والذكـــــرى
مضى لا يرتجي حمـــــدا	من الناس ولا شكـــــرا
فكنت المثل الأعلـــى	وكان الولـــد البكـــرا
أبا الأحـــرار أني سرت	سار اليمن والبشـــرى
ملأت الافق أمجـــــادا	وقدت الانجـــم الزهـــرا
ورحت تحرر الدنيـــــا	ولا زهوا ولا كـــــبرا
ألا أشرف على العالـــم	وامح الظلـــم والغـــدرا
وقل يا أيها الانسان	عش حرا ومت حـــــــرا (١)

في هذه الأبيات ، اشادة واضحة بصمود السوفيات وبطولات الأنصار خلـــف خطوط القتال كما تلمس عاطفة الشاعر تجاه الحركة اليسارية باعتبارهـــــا حركة طليعية تساند حرية الشعوب .

أما معركة ستالينغراد فهي معركة الانسانية في مواجهة المؤسسة النازية وفيها يقول أبو سلمى :

أيها الناشرون يوم البطولات ، بردا مخضبات الشعار
نسجتها يد الشعوب على الأيـام حفاقة على الأقطـــار
دافعوا عن حضارة الكون وامحوا عن جبين الاجيال ذل العار
ايها الرافعون اقلام نـار حطموا اليوم دولة الأشرار (٢)

وأبو سلمى الذي يعرف الأفراح الصغيرة والكبيرة ، والاعياد الزائفـــة والحقيقيـة ، يدرك أن العيد الحقيقي لأية أمـة من الأمـم انما هـــــو

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٤٩

(٢) الموجع السابق ص ٥٠

في حريتها السياسية والاجتماعيـة :

ما العيد الا أن ترى أمـــة خفاقة الأعـلام فوق النـــدى
تعيش في أوطانها حـــــرة ولا نرى الأبيض والأســـودا
تمحو الجهالات وأربابهـــا وتمسح الفقر وظلم العـــدا
والناس اخوان على أرضهـــا لا تعرف العبد ولا الســـيدا
العالم الحرّ لنا موطـــن يا موطن الأحـرار نحن الفـدا (١)

وبروح الفنان الذي يعاني مشاكل الانسان وقضاياه المصيرية في آســـيا وافريقيا وأجزاء العالم الأخرى الى جانب ما يشده الى قضاياه المحليـــة والعربية من مشاعر وهموم مشتركة . يعبر ابو سلمى عن هذه الاهتمامات والمشاعر الانسانية في قصيدة " ما وتسي تونغ " متخذا من هذا النموذج الثوري الـــذي نجح في توحيد الصين وخلصها من العبودية والاستعمار أساسا للرؤية التاريخيـة وللمبادئ والقيم التي تربط بين شعوب آسيا وافريقيا وكل القوى التقدميـــة والانسانية في العالم .

نحن والصين أمتان ... بعثنا للمروءات عزة وطمـــاح
وبعثنا الثورات في طلب الحـق وآلام شرقنـا والكفـاح
قلنا في بكين خفق جناح وعلى النيرين منهم جنـــاح
ولنا في مرابع الصين ساح ولهم في الجزائر ســـاح
وانا ما استوت على قمة التاريخ فيهـا فمن دمشق الوشاح
وهوانا هوى الشعوب قديم كيف نخفيه والهوى فضّـــاح
قبل ان نلتقي ... هناك التقينا جمعتنا القلوب والأرواح
... ...
ثم صاح المستعمرون مع الأذناب ه قلناه وهل يضير الصياح
وبعثنا أمجادنا فتراءت فوقها الفار والوجوه الصباح

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العـــودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٦٦

لن يخيف استعمارهم ولدينا الجيش والشعب اخوة والـــــلاح
معنا الشرق والشعوب جميعا وتلاقت مع الشعوب البطـــــاح
ها هو النير من بقايا وحوش الثاب ملقى قد حطمته الصفـــــاح (١)

والموقف الشعري لهذا البعد من قضايا التحرر العالمية - وهي قضايـــا انسانية بالدرجة الاولى - وهو في حقيقتـه موقف تمليه على الشاعر انسانيتـــه وانسانية هذه القضايا نفسها وهو ما يعبر عنه في أكثر نماذجه ، ونرى أن مـــا يميز أبا سلمى عن غيره ، أنه لا يكتفي بتناول هذه القضايا من الخارج شـــأن كثير من التجارب العمودية المعاصرة ، بل انه يصل بقصيدته الى درجة التأمـــل من أجل البشرية ويناقش جوهر القضية ، بهدف تحديد موقفه الواضح من هـــــذه القضايا . ومن هنا فقد كان أبو سلمى شاعر موقف لا شاعر مناسبة .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادي - ط ١ - دمشـــق - ١٩٥٩ ص ١٠٨ - ١٠٩

الجانب الاجتماعي في شعره

للشعر الاجتماعي رسالة أخلاقية تنبثق من رسالة الأديب في المعارك الوجدانية في أحداث الأمة وأمانيها وآمالها وهمومها في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهذه المجالات على تنوعها وتباينها وتداخلها تحتاج الى ذلك الشعر الذي يعيش الحياة وللحياة . وينفعل بالأحداث ، ويصور تلك الأحداث ... ومن هذا المفهوم الاجتماعي للكلمة يصبح الشعر الذي لا يحمل رسالة ولا يخدم هدفا اجتماعيا - يصبح نوعا من الأصوات المجردة .

وقد تأثر أبو سلمى كغيره من الشعراء الفلسطينيين قبل النكبة أيما تأثر بما يسود وطنه من قمع واستعباد ، وما تحسه الطبقات المسحوقة من استغلال وهوان فأودع كل ذلك في قصائد تفيض نقمة وسخطا وتتفجر اخلاصا وحماسا في معالجة المشكلات ولم يكتف بالتعبير عما يحسه من أوضاع وطنه وهمومه الاجتماعية . وربما كان أبو سلمى اكثر الشعراء الفلسطينيين التصاقا بواقع الشعب الاجتماعي ، وأجهرهم تعبيرا عن معاكله ، لقد آمن أبو سلمى بأن الصراع الوطني والقومي ضد الأعداء الخارجيين هو في الوقت نفسه صراع طبقي يهدف الى تحرير الانسان العربي من الاستغلال والاضطهاد فهو منذ أفتى بفساد الأنظمة الحاكمة في البلاد العربية عام ١٩٣٦ ومنذ أشار للدور الثوري الذي يمكن أن يقوم به الجيد منذ ذاك ، وأبو سلمى دائم الالحاح على هذين القطبين المتناقضين المتصارعين ، متخذا من الساحة القومية " مجالا " ومن الوطن الفلسطيني نموذجا .

يا من يعزون الحمى ، ثوروا على الظلم المبيد
بل حرروه من الملوك وحرروه من العبيد (١)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ - ١٩٧٨ ص ٢٥

وفي ظل مجتمع شبه بدائي يفتقر الى أبسط أنواع العدالة الاجتماعيـــة ويتفشى بين ابنائه ركام من الفقر والجهل والمرض لا بد أن يرتفع صوت أبي سلمى ليطالب شعب اليمن بالثورة على هذا الوضع وتحطيم الفوارق الاجتماعيـــة والنظم البالية التي كانوا يعيشون في ظلها . يقول أبو سلمى:

عرج على اليمن السعيد وليس باليمن السعيـــد
واذكر اماما لا يزال يعيش في دنيـــا ثمـــود
وسيوفه أثرية يا تصرها تيـــك الضمـــود
تغنى الحياة وقومـــه ما بين قات أو هجـــود (١)

.....

كان المجتمع العربي الفلسطيني قبل النكبة يعيش حالة من الصـــراع الطبقي بين أفراده شأنه في ذلك شأن المجتمعات العربية الأخرى. ففي حين كان التعالي والشعور بالسيادة يسود الطبقات العليا من الاقطاعيين والأثريـاء، فقد كانت الطبقات الفقيرة من العمال والفلاحين ، تقابل هذا الشعور بالمقـت والحقـد .

وقد ترتب على ذلك نشاط الانتهازية ، واستشراء الرغبات الفرديـــة واستغلال جهود الآخرين .(٢) من هنا ، فقد استأثرت قضية تحرير الانسان العربي الفلسطيني من الاستغلال والاضطهاد باهتمام ابي سلمى . فتراه في قصيدة " الشعب " يصف لنا مظاهر هذه القضية وصف الخبير الملتصق بواقع الشعب ، حيث الطبقـــات الاقطاعية تمتص دم الفقراء من العمال والفلاحين وتعيش على كدهم وتعبهم وتطـــوق أعناقهم بالعبودية والظلم والاستغلال ، كل ذلك يتم ، دون أن تنال الطبقـــات الفقيرة المسحوقة ما تستحقه من العيش الكريم .

يا أيها الشعب المفـــدى قل لي بربك كيـــف تهـــدا

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٢

(٢) د . عبدالرحمن الكيالي - الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ط ١ ١٩٧٥ ص ١٩٧

يتدفق الصنب الزلال ... فيرتوون وأنت تصدى
تكسوهم حلل الربيع ... وينكرون عليك بردا
أنت الذى تهب الخلود ... فيحملون اليك لحدا
وتحطم النير الرهيب ... فيجعلون النير عقدا (١)

والشاعر في الأبيات السابقة لا يكتفي بالصورة الخارجية ، بل انه ينفذ الى أعماق الانسان محاولا أن يربط الأسباب بالمسببات ويضع اصبعه على مكمن الداء قبل أن يصف لنا الدواء .

وهو يؤمن بدور الطبقة العاملة وبرنامجها الثوري وفي تلاحمها مع حركة التحرر العالمي والحركة الاشتراكية لأنه النضال المشترك ضد الفقر والجهل والاستعباد . يقول في قصيدة " نور ونار " (٢)

سيروا على وضح (٣) النهار ... فالحق من نور ونار (٤)
تأبى البطولة أن تبرى ... أبناءها خلف الستار
الحاسرون رؤوسهم ... يوم الكريهة والنفار
الحاطمون قيودهم ... الثائرون على الاسار
العاملون على جباههم ... تبرى زهر الدراوى
الناشرون قلوبهم ... فوق الأسنة والنفار
الراكزون على ربى التاريخ أعلام الفخار
الحاملون نفوسهم دنيا من الشرف النضار
قد وحدتهم فكرة مثلى على بعد المزار (٥)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - ط ٢ ١٩٦٣ ص ٣٠

(٢) القيت هذه القصيدة في الاجتماع الشعبي الذي عقدته عصبة التحرر الوطني في قاعة سينما نبيل بيافا وذلك صباح يوم الجمعة بتاريخ ٢٨ شباط ١٩٤٧ (جريدة الاتحاد - حيفا - عدد ٨٦)

(٣) وردت في نص القصيدة المنشورة في جريدة الاتحاد بتاريخ ٧٣/٣/٩ كلمة على وهج النهار بدلا من وضح النهار كما هو في ديوان أبي سلمى ويبدو أن الشاعر قد استبدلها هنا .

(٤) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت - ط ١ ١٩٧٨ ص ٤٨

(٥) وردت كلمة الديار في النص المنشور في جريدة الاتحاد بتاريخ ٧٣/٣/٩ بدلا من المزار وفي رأينا أن الكلمة المحذوفة تعطي معنى اشمل وأوضح من الكلمة البديلة .

ويستمر الشاعر في كيل المدح والثناء على أصحاب السواعد السمراء من العمال الذين يكدحون ويعرقون ليزيدوا من انتاج الوطن ويعملوا على تطويره.

وهو يحاول بهذه الاشادة أن يقدم للعرب بأن ينسى عناء الكدح ومرارته وما يعانيه من جهد وهو يكافح ويناضل في سبيل الحرية لأنه انما يقوم بدوره الطليعي في تحرير الوطن من العبودية والاستغلال وفي سبيل حياة حرة كريمة .

أهلا بعمال[1] البلاد تزفهم شيبا ومردا
انتم انا احمر الحديد حماتها سهلا ونجدا
تتألقون كواكب البطحاء لا تحصون عددا
من مثلكم عند اللقا أعلى يدا وأعز جندا ؟
عرق الجباه نحيله فوق الثرى مسكا وندا
شوك الجباة نرده في المنحنى قلا وورد
وذوائب الصحراء ننشرها مروءات ومجدا
أهلا بعمال البلاد يحاربون من استبدا
حمر الصحائف سطروها باللظى بندا فبندا
تعزوا الى الوطن المعذب من وراء الأفق أسدا
الفجر خلف ركابهم يهدى الورى والركب أهدى[2]

ويصور أبو سلمى باحساس الشاعر المرهف وعاطفته القوية وحدة اليتيم العربي ومشاعره وأحاسيسه ، فيعمد الى الأفكار المعبرة عن بؤس اليتيم وحاجته الى من يمد له يد العون والمساعدة . فيحيل هذه الأفكار من خلال وجدانه الى احساسات وانفعالات نفسية يلونها بشعوره ، فلا تلبث أن تنتفي عنها صفة الذهنية الخالصة ، وتتهل بعاطفته وانفعاله لتشحن القارئ بالعطف

---

(١) القيت هذه القصيدة في المؤتمر الثالث للعمال العرب الذي عقد بتاريخ ٦ أيلول عام ١٩٤٧ في قاعة سينما نبيل بيافا "جريدة الاتحاد - حيفا العدد ٨٦ بتاريخ ١٩٧٣/٣/٩ ".

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٥٥ - ٥٦

والرغبة في مد يد المساعدة والعون لبناء صرح قوي من الحياة الكريمة لليتيم .

يقول أبو سلمى في قصيدة " البنفسجة اليتيمة "

مررت على المرج قبل المغيب أعلل قلبي بحسن وطيبْ
رأيت الأزاهر من كل لون تميل على كل غصن وطيبْ
فمن نرجس لم يبح بالهوى وورد يغازله العندليبْ
ومن ياسمين حبيب النسيم وهذا اليتيم رسول الحبيبْ
وبت أسأل عن زهرة توارت فليس يراها الرقيبْ
سألت الطيور فأومت اليها ونمّ عليها نداها المجيبْ

.....

بنفسجة المرج أنت اليتيمة أخت اليتيمة فوق الدروبْ
أمال برأسك ذلّ السؤال ولا من سميع ولا من مجيبْ
تغيبين عن أعين العاذلين وطيفك عن خاطري لا يغيبْ
تعيشين وحدك في غربة فواحسرتا لليتيم الغريبْ

.....

تسيرين في طرقات الحياة كأنك في الكون حلم يهيمْ
تمدين واحر قلبي ، يديك الى كل صاحب قلب سليمْ
تطوفين والدمع في مقلتيك يضيء ولو في الظلام البهيمْ
يراه على البعد قلب الكريم فيكرمه بالعطاء الكريمْ
تحير في وجنتيك السنى فزين ذاك المحيا الوسيمْ
حملت عن الناس بؤس السنين ووجهك هفهافة كالنسيمْ
فلمي معي فهذا لجنة تداوي جراح الزمان اللئيمْ

.....

---

(١) القيت هذه القصيدة في الاحتفال الكبير الذي أقامته لجنة اليتيم العربي بحيفا في ١٥ حزيران ١٩٤٥ . وقد ذكر لي القاضي السابق والمحامي الاستاذ محمد البراديعي العباسي وهو رئيس لجنة اليتيم العربي بفلسطين قبل النكبة ورئيس لجنة اليتيم العربي في الاردن منذ عام النكبة وحتى الان ان هذه القصيدة قد لاقت استحسانا كبيرا وبلغ التأثر الى حد ان انهال الاغنياء بالتبرع بسخاء لصندوق اليتيم العربي بحيفا من أجل مشروعات اليتيم

تعالي أسر بك بين الزهور ترفين تحت ظلال النعيم
فأختك في المرج مشتاقة وحبكما في فؤادي قديم
هلمي امسحي الدمع من مقلتيك وسيري الى الدار دار اليتيم (١)

وهذه القصيدة تشتمل على قدر كبير من الحس الاجتماعي وبهذا النموذج تصل القصيدة الاجتماعية - فنيا - الى ذروة المعاصرة فلم يعد التناول مباشرا ونا صوت واحد ، فالشاعر هنا يمزج بين الطبيعة والانسان . فهو يرى في الطبيعة وجع الانسان اذ يعطي مجالا للتأمل في الانسان من خلال صور الطبيعة الحية ممثلة بالبنفسجة ، وهذا الاقتران بين الحية والتأملية بالرغم من بساطته وعذوبته ، جعل من القصيدة كيانا قائما بذاته يعتمد على الفكرة المنبثقة من الصور . وأرى أن الشاعر قد سما في صوره التي استحدثها في هذه القصيدة الى الأفق الانساني يطل منه على البنفسجة اليتيمة ليستجلي منها اغناء تجربته الشعرية في التعبير عن حركة الواقع والنفس. وقد نجح الشاعر في هذا أيما نجاح .

يقف الشاعر بعد النكبة حزينا يتضاءف أمام بصره وبصيرته صور من تشرد شعبه وتشتتهم فيصور حالهم الذي هم عليه ويطالب شعبه بأن يمسح دموعه ويعرف طريق مستقبله :

يا أخي ! . أنت معي في كل درب فاحمل الجرح وسر جنبا لجنب
سر معي في طريق العمر وقل اين من يحمي الحمى أو من يلبي !
فهنا الأيتام في أدمعهم وهنا .. تهوى العذارى مثل شهب
هم ضحايا الظلم هل تعرفهم ! انهم أهلي - على الدهر - وحبي
أيها الباكي وهل يجدي البكا بعدما أصبحت في كل مهب
كفكف الدمع وسر في أفق حافل بالامل الضاحك رحب (٢)

.....

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٥٢ - ٥٣

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - دمشق ط ٢ ١٩٦٣ ص ٦ - ٧

وها هم اولاء اللاجئون قد انكرتهم حتى القبور ، وها هي عظامهم تلفظهـــا كل أرض وحيامهم جريحة لا تستطيع حتى الشكوى . ولكن فحين يرى أنهم تركـــوا المتمرد في العراء وحيدا يراه هو أنه لم يهن " فالسيف أمضى ما يكون مجردا " .

أهلي وأين هم وأين ربوعهم ... عفّى الزمان وجال بينهم الـــردى
في كل درب من عظامهم لظى ... يسم الحياة معفرا ومســـودا

تركوا المتمرد في العراء فلم يهن والسيف أمضى ما يكون مجـردا (١)

وهذا نموذج من ملاحظاته النقدية لمواقف مختلفة في السلوك الاجتماعـــي والاخلاقي العام . فالنفاق - مثلا - اذا كان سلوكا شاذا بالقياس الى طبيعـــة الانسان السليمة فانه يصير السلوك المطرد في مجتمع تحكمه وسائل القمع ويستشرى فيه الفساد ، ويغرى نظام الحكم فيه بالتزلف اليه والخنوع له .

وتقدم الينا قصيدة "اجنحة الهدى" صورة من الواقع الاجتماعي الذي انحـــدر اليه بعض رجال الدين حيث أساءوا الى الدين الحنيف بنفاقهم وبالمتاجرة باســـم الدين ، كما تشير الى أى مدى أساء الحاكمون باسم الشعب حينما طمسوا الحقيقـــة فكانوا سيفا مسلطا على الشعب في الوقت الذى كانوا تبعا للاجنبي وقـد تجـــاوز أبو سلمى في هذه القصيدة العتاب الى الهجوم المر ، وتعدت السخرية الـــى التبكيت العنيف ، وربما كان المبرر للشاعر على ذلك الأسلوب أنه قصد مـــن وراء هذا التبكيت استفزاز أقصى درجات الاستجابة في المشاعر النائمة على مظاهـــر القهر والفساد الاجتماعي . يقول أبو سلمى :

فمن رجل يزهو بوشي ردائـــه ... ويختال ما بين الجماهير مزبـــدا
يتاجر باسم الدين الحنيف وهمه ... يضلل باسم الدين فينا من اهتـــدى
ومن حاكم للشعب يهتف باســـمه ... ويهمي دما من شعبه ذلك الغـــدا
اذا هدد المستعمرون بـــلاده ... تراه مع المستعمرين مهـــددا
عجبت لمن يسعى لتحرير أمـــة ... ويزحف خلف الاجنـــبي مقيـــدا (٢)

---

(١) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٩٦

(٢) المرجع السابق ص ٣٥٠

وتشتد وطأة الظلم على الشعب العربي الفلسطيني خلال الخمسينات فتكبت الحريات وتخرس الألسنة وتشل الأقلام . ويقف أبو سلمى يفضح هذه الوسائل القمعية ويتصدى لها فيقول :

قل لمن يرقصون في كل قطر علما خافق الجناح عجيبا
عربي السماء يبدو ولكن وراء السماء وجها غريبا
حكموا باسمه الشعوب وسادوا فأضلوا باسم الشعوب الشعوبا
نهبوا النير والقيود وتاهوا من تراه يمحو لنا التذهيبا
ثم عابوا على الشعوب سراها واستحثوا الخطى .. فكانوا العيوبا
ودعوا باسمنا فكنا الضحايا وأرونا التشريد والتعذيبا
دول كالدمى تمثل دورا رسموه لها وفصلا مريبا
تتثنى على المسارح والميسم يشوى وجوهها والجنوبا (١)

والشاعر في هذه الأبيات يختار الأسلوب الساخر الذي يكشف عن وعي كوميدي الى جانب الوعي السياسي والاجتماعي فهو يصف الحكام بالعبيد السادة . " سادة على شعوبهم " وعبيد للاستعمار وهم ليسو في الواقع سوى دمى على المسرح تمثل دورا رسمه لها المخرج في الوقت الذي تطوق ايديهم وأعناقهم بالنير والقيود وتشوى وجوههم وجنوبهم بمياسم السادة المستعمرين وبهذا يكشف دورهم المزيف بهذا الاسلوب الساخر العنيف .

ويستمر أبو سلمى في كشف الظلم الذي يتعرض له شعبه وفضح الدور الذي يمثله الحكام وهم يستخدمون الوسائل القمعية العنيفة ضد الشعب فيقول :

وطني .. يا ضحية الظلم مالي لا ألاقي غير الجبين المعفر
....
أيها الظالمون ما ذا جنى الشعب لتجنوا هل الضمير تحجر
أمن العرى تنسجون بردا ومن الدمع تصقلون الجوهر
ثورة الشعب طهرى كل أرض وطهري كل من طغى وتجبر
فيعيش الانسان حرا طليقا وينير الطريق شعب تحرر (٢)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - دمشق ط ٢ ١٩٦٣ ص ١٠
(٢) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان أبي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ١٦٦

والشاعر في البيت الاول يتحدث عن همه الذي يرتبط بهموم شعبه . انه دائم الالحاح على طرح حرية الشعب على الرغم مما يلاقي من متاعب في حياته اليومية . وهذا شأن المحبين الصادقين الذين يزداد حبهم في الصعوبات .

وأبو سلمى يقول عن الشعر :

شعري جسر يلتقي فوقه أهلي بما يحلو وما يشجن

يا وطني !.. لا تأس انا على عهدك ، مهما طالت الأزمن (١)

....

ما رؤيته لقضية الشعر الملتزم بقضية شعبه وما هو رأيه في الشعر المأجور ؟ . يضع أبو سلمى حدا فاصلا بين نوعين من الشعر والشعراء . انّ الشعر كالناس في الكون حرف حر وحرف ذليل وهو يثزه الشعر الحق أن لا يكون صادرا عن الشعور . ان الشعر الحق هو الشعر الملتزم بقضايا الجماهير وآلامها وآمالها .

كيف يمضي القلم المأجور في ساحة تجتاحها النار اجتياحا
يا رفاق الفكر حرائر ، ان في الحرية الفكر اصطلاحا
في صرير القلم الحر صدى ثورة الشعب هتافا وصداحا
فاصدعوا الليل بأقلامكم فعلى هاماتها الصبح استراحا
حاربوا الظلم مدى الدهر الى أن يرف الكون طهرا وسلاما
وانا المستعمرون انتشروا يملأون الأرض جورا واجتراحا
حرروا الدنيا من استعماركم شوف الانسان أن يقضي كفاحا (٢)

فهو في الأبيات السابقة يهاجم بأسلوبه المباشر تلك الاقلام المأجورة ويدعو الى حرية الفكر ، وتجنيد الاقلام للتعبير عن ثورة الشعب والالتزام بقضايا التحرير السياسي والاجتماعي .

ثم يخاطب رواد الشعر في العالم العربي فيدعوهم الى النهوض بمسؤولية

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٦٢

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادي - دمشق ط ١ ١٩٥٩ ص ١١٦

الشعر في الذود عن حقوق الانسان والترفع عن بيعه للحكام ويدعو الى انغراط الشعراء في قلب حركة الجماهير ونضالها وأن يهبطوا من أبراجهم العاجية ويتحملوا مسؤولياتهم بحماية شرف الحرف المضيء وراية الشعر المناضل.

أيها الحاملون ألوية الشعر تهاوى الستار والتمثيل
هي أسمالنا التي تحملون اليوم ربّا ... فيها الدم المطلول
ان تشريد شعبنا يخضب الشعر وتدمى حروفه والنصول
فاهبطوا لا ترابطوا في البروج البيض فالشعر كله مسؤول
وانسجوا الدرب بالشقاء فقد عزّ عليها بعد النوى التقبيل
شرف الحرف أن يذود عن الحق فان رمتم المقال فقولوا
واضيئوا باللظى ليبث النور فالليل عالم مجهول
انه الحرف جلّ أن يشتريه حاكم ظالم وعلج دخيل (١)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٨٦.

شعر الرثاء وقضية الموت والانسان

الانسان قطار يمر في محطات الحياة ، وتنتهي رحلته الى محطة الموت ، كل مرحلة في هذه الحياة تبدأ وتنتهي بكلمة اسمها " الموت " وهذه الكلمة بما فيها من معان وايحاءات تعتبر موضوعا خصبا في شعر الرثاء وقضية الموت ، وقد كان لبعض الشعراء ولع خاص بالموت نفسه ومن هؤلاء الشاعر الانجليزي " جون كيتس John Keats " الذي يقول في احدى قصائده : ان الشعر والمجد والجمال ، أشياء عميقة حقا ، ولكن الموت أعمق ، الموت مكافأة الحياة الكبرى .

The passion poesy, glories in-finite.
Haunt us till they become a cheering light.
Unto our souls, and bound to us so fast.
That, whether there be shine, or gloom O'ercast.
They always must be with us, or we die

ونجد مثل هذا الولع والاهتمام بالموت في شعرنا العربي المعاصر لدى كثيرين من الشعراء ومنهم : الشاعر العراقي بدر شاكر السياب الذي يجد في نفسه الجرأة ليرحب بالموت الذي يجد فيه راحة ونقاء وغدرا وارتقاء .

يا ويلتي ! ان يفتح الباب
فأبصر الأموات من فرجته
يدعونني مالك ترتاب
بالموت ، في هجمته
ما يعدل الدنيا وما فيها
نقاء ، نعاس ، غدر ، وارتقاء (٢)

ولئن كان الدكتور كامل السوافيري مغاليا بعض الشيء باعتباره

---

(1) A.A. Bushnaq. An Anthology of English verse Greek Convent press Jerusalem 1956 "Beauty" from Endymion. Page 74.

(٢) بدر شاكر السياب - قصيدة - اسمه يبكي - المجموعة الكاملة لديوان بدر شاكر السياب - دار العودة - بيروت ١٩٧١ ص ٢٨٨ .

الرثاء أخصب الأغراض التي تناولها الشعر الفلسطيني ، الا أن الرثاء يمكن اعتباره من الروافد الخصبة في شعرنا الفلسطيني التي تصب في الشعر العربي والانساني المعاصر .

وتتخذ قصائد الرثاء عند ابي سلمى اتجاهين اثنين :

١) رثاء الاحرار والوطنيين المخلصين الذين قدموا تضحيات وطنية ، وكانت لهم وقفات صلبة من المستعمر وعملائه .

٢) رثاء الأهل والأصدقاء الأوفياء .

والحقيقة أن أسلوب الشاعر وعواطفه ، وتناوله للموضوع يختلف بعضها عن بعض في الاتجاهين . ففي الاتجاه الاول يتناول المرثي وأعماله التي قدمها في سبيل وطنه ومواطنيه ، ويثني عليه ويفخر بوقفاته ، ويحاول أن يستغل المناسبة ليتعرض لوطنه فلسطين والاستعمار والسياسة حتى لتكاد تخرج القصيدة من مجال الرثاء الى مجال السياسة والوطنية ، وهذا ما يحدو بالدارس الى الاعتقاد بأن أبا سلمى يحاول أن يوحد في رثائه هذا بين آلام الأمة بفقد أبنائها الأحرار وبين القضايا الوطنية والآلام النفسية العامة ، التي يجسدها الشاعر على المستوى الفردي ، والمستوى القومي والمستوى الانساني وحيث يتوحد الألم تتساوى كل المستويات . يقول في رثاء البطل الشهيد محمد صالح الحمد المعروف " بأبي خالد " وهو أحد القادة القساميين استشهد في معركة مع القوات البريطانية في ١٨ أيار ١٩٣٨ .

فلسطين سارت خلف نعش محمد تشيع في الفارات من كان حاميا
وابناؤها الأحرار ردّوا دموعهم وساروا يجرون الطبى والموواليا
وهم من يخاف الموت من غمراتهم ويزور عنهم لا يريد التلاقيا
ويا لدم الأحرار كم يرخصونه فان سال ما فوق الثرى عاد غاليا
منالك مجهولون أعلم ربهم باسمائهم يأبون الا تواريا
هم حملوا الرايات في كل حومة وهم رفعوا رأس المروءات عاليا
هم حرروا العبدان في كل حومة وهم نسجوا ثوب العبادين قانيا

فيا أخوة التاريخ نادوا على المدى من الملأ الأعلى الرفاق الصواديا
ردوا الانكليز الشؤم لا كان يومهم وتاريخهم يهمي دما ومخازيـــا
عصابة قرصـان اذا ما عبرتهم رأيت وراء المنشآت أفاعيـــا
" ولندنهم" وكر الدسائس والخنا وفيها يرى الكون العدو المداجيـا
لهوا في دماء الثائرين ولا تذوافما كنتم الا الوحوش الضواريـا
سنثأر ما عشنا ويثأر بعدنا بنونا بثورات تشيب النواصيـا
فيا دهر لا تقلق على المجد واستمع الوف الضحايا تقرع الباب ثانيا (١)

يصور الشاعر في هذه الأبيات كيف شيع الشعب العربي الفلسطيني شهيده الى مثواه الأخير ، ولكن في موكب هو اشبه بزفة العرس منه بجنازة الموت ، فالموت نفسه يخشى من مواجهة الأحرار الذين يتحدونه وهم يحملون رايات الكفاح في كل الميادين .

والشاعر يجد في دماء الأحرار الذين يروون بها الثرى حياة جديدة لأبطال آخرين يعودون لمتابعة مسيرة العطاء للأوطان في حركة دائرية لا تنتهي . وهو في البيت الأخير يبشر بثورات متواصلة لا تتوقف قبل أن يتم التحرير .

ونجد أبا سلمى متأثرا في معنى البيت الرابع " بشوقي " الذي يقول في قصيدة " نكبة دمشق " :

دم الثوار تعرفه فرنسـا وتعلم أنه نور وحـــق
جرى في أرضها فيه حيـــاة كمنهل السماء وفيـــه رزق
بلاد مات فتيتها لتحيـــا وزالوا دون قومهم ليبقـوا
وحررت الشعوب على قناهـا فكيف على قناها تسـترق (٢)

فالصورة عند شوقي تبين أن دماء الثوار قد جرت غزيرة على أرضهـا لتروى شجرة الحرية فهي تتفق مع معنى الحياة للأوطان في كلتا الصورتين عند

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان أبي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٦٨

(٢) احمد شوقي - الشوقيات - ج ٢ - مطبعة الاستقامة - القاهرة - ط ١ ١٩٥٨ ص ٧٥

شوقي " وأبو سلمى " . ولكن الصورة عند أبي سلمى اكثر تكاملا حيث جعل من دماء الأحرار تكرار البداية في النهاية ، أو بما يشبه دورة الحياة في الكون وفي هذا معنى جديد وقيمة جديدة .

وعندما يرثي الشهيد " عدنان المالكي "(١) رئيس الشعبة الثالثة في الاركان العامة للجيش العربي السوري ترف صور وطنه وتتلاحق أشواقها ، يقول في قصيدة الشهيد العقيد عدنان المالكي :

يا شهيدا أطل من عالم الغيب وقد ضاق عن مداه الوجود
فكرة أنت حرة في بلادي ، هي ان لم تخلد ، فأين الخلود ؟
في حقق النجوم ، في الشفق الباكي على الشاطئ الحبيب تميد
شعل من دماك في كل قلب تتلظى والنار فيها وقود (٢)

.....

نلمس في هذه الأبيات استجابة الشاعر لضغط الذكرى على نفسه - ذكرى الوطن والدار - فتنبثق منها صور الطبيعة ممزوجة بصور التحدي والعذاب حيث

---

(١) قام عدنان المالكي خلال حرب فلسطين التي نشبت عام ١٩٤٨م باحتلال التل المشرف على مستعمرة (حضار هايرون) اليهودية ، والذي سمي بعد السيطرة عليه ، تل المالكي ، وفي الفترة التي تلت الهدنة الاولى التي فرضتها الأمم المتحدة على الحرب يوم الجمعة في ١١ حزيران ١٩٤٨ أصيب عدنان المالكي بجرح بليغ في رأسه خلال معركة " مشمار هايردن " التي حاول اليهود استردادها ، وحين برئ من جرحه اسندت له قيادة الفوج الثامن الذي قام هو نفسه بتشكيله وأسهم على رأسه في فك الحصار عن فوج الانقاذ في الجبهة اللبنانية ، وقد حوصر الفوج المذكور في تلك المعركة من قبل القوات اليهودية فتمكن العقيد المالكي ببراعته من فك الحصار دون أن يخسر في المعركة أي جندي من جنوده .
(منشورات الفرع الثقافي الفكري - مطبعة الأديب - دمشق ط ١ ١٩٥٦
المالكي " رجل وفقيه " ص ٧٩ "

(٢) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٣١

كان مزج صور النضال ممثلة بالشهيد ، والفكرة الحرة ، والدماء والثأر بصور الطبيعة ممثلة بنسيم الوادى وأغنية السفح وخفق النجوم ، يحمل زمنين في نفس الشاعر يقود أحدهما الى الآخر ، الماضي الفلسطيني قبل النكبة ، الذى يظل منطبعا في الذاكرة من خلال مظاهر الطبيعة ، والحاضر القومي الذى يجب أن يقوم على الشهادة لكي يتسق معنى الحياة بين الانسان والطبيعة دونما عوائق .

ان ميزة هذه الصورة أيضا في أنها تعبر عن التفتح في أشد حالات الظلمة ، وبمعنى آخر فان الحركة في الصورة تدفع بالقارئ الى أن يتجاوز الحالة المظلمة التي تعبر عنها .

وبعد هذه الصورة الجميلة العامرة بالحركة والانفعال ينتقل الشاعر الى الزمن الماضي قبل النكبة ليتحدث عن وطنه فيقول :

وطني هل سمعت من خفق قلبي أغنياتي وهل شجاك النشيد ؟
قد حملناك في القلوب فكنا نتأغى وانت دان بعيد
هل اغني على ملاعبك السمحة يوما وهل يغني "سعيد" (١)
عجبا بعدما تغرد أهلي ليس يخضر فوق أرضك عود (٢)

ونموذج آخر من قصائد أبي سلمى في الاتجاه الاول من شعره في الرثاء يمجد فيه استشهاد الطالبة رجاء حسن أبو عماشة ، ابنة الخمسة عشر ربيعا التي استشهدت وهي تشترك في احدى المظاهرات التي قادها الشعب في مدينة القدس العربية ضد حلف بغداد وورى جثمانها الطاهر في مدينة أريحا في الضفة الغربية لنهر الاردن .

في هذه القصيدة يمزج ابو سلمى تضحيات الشهداء الأغرار في سبيل بلادهم بتضحيات الشهيدة الأم فلسطين ، ففي حين أن رجاء قد دفنت في العراء بجانب خيمة باكية من خيام اللاجئين ، ولفها الليل بسكونه ، فقد أصبحت

---

(١) سعيد هنا هو ابن الشاعر

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٣٢

منسية مثل الشهيدة الكبرى فلسطين ، فكلاهما في المأساة سواء ، وكلاهما قد لفه نسيان الأهل والعشيرة . ولكن فلئن تنكر لرجاء الأهل وجفاها منهم كل قلب ، فقد حنا عليها قلب فلسطين فغمرها بالحب والوفاء .

منسية - مثل بلادي - رجاء ... مرّت كما مرّ شعاع الضياء
أغفت على سفح أريحا ولا ... من أدمع الا دموع السماء
ولفها الليل برفق وما ... من مؤنس الا النجوم الوضاء
لما جفاها كل قلب حنا ... قلب فلسطين كما الحب شاء
وضمها بل ضم تاريخه ... قلبان ظلا ينزفان الدماء
يا قطرات طهرت موطنا ... يا معملا قلوب شعبي أضاء
يا عبقا يا نفح ريحانه ... لما يزل في أرضنا والفضاء
نحن على عهدك لما نزل ... نرفع في ساح الجهاد اللواء (١)

وفي مقطوعة انسانية من تسعة أبيات ، يجسد الشاعر فيها عناصر الطبيعة فيجعل روح رجاء تناجي شاطئ يافا الذي لم ينسها كما نسيها الأهل ، بل كان وفيا حافظا للجميل وافتقدها البحر ، وأجهش الموج بالبكاء ، وهاجت به عواطف الشوق ، وأخذ الشاطئ يسأل عنها فلا يجيبه الا رجع الصدى والهواء . ويختتم الشاعر المقطوعة بأن مزج بين الماديات والمعنويات حينما جعل روحها تهوى على شكل نجم صغير وريت بدماء الأبرياء أمثال الشهيدة رجاء .

لم ينسها شاطئ يافا فقد ... كانت تناجيه انا الليل جاء
وكلما سارت وأترابها ... شوقا على تلك الرمال الظماء
مال على أمواجه هامسا ... فقد درجت فوق الرمال الظباء
والتفت البحر ولم يلقها ... ذات ماء .. أين غابت رجاء !
وأجهش الموج وهاجت به ... عواصف الشوق ولا من لقاء
ويسأل الشاطئ عنها فلا ... يجيبه الا الصدى والهواء

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - الطبعة الثانية - دمشق ١٩٦٣ ص ٩٢

ما حملت رجاء يوم النـــوى الا عظايا روحهـــا والدمـــاء
مدت لها القدس جناح الهدى على جناح القدس كانت رجـــاء
ثم هوت نجما صغيرا علـــى أرض تروت بدم الأبريـــــاء (١)

وهو في قصيدة أخرى يحيي قوافل الشهداء من أبناء بلاده الذين تهـــاووا كالنجوم في دروب الجهاد بعد أن حطموا قيود الاستعباد ، وعصفوا بطغـــاة بغـــداد الذى وقف وراءه الانجليز الذين لعبوا دورا في تشريد الأهل والأحبـــاب .

ولكن فهل ينسى الشعب هذه الاساءة ، بينما اللاجئون قد شتتوا في أنحـــاء المعمورة وشردوا تحت كل سماء ؟ !

لقد ظن الانجليز وعملاؤهم أن اللاجئين قد استحالوا رمادا ، فـــاذا بالجحيم يتقد ويستعر تحت هذا الرماد ، معبرا بذلك الى هبة الشعب وانتفاضتـــه ضد حلف بغداد .

يا رفاقي المرابطين تها وبتم نجومـــا تضيء للآبـــــاد
وتهادى الزمان لما رآكـــم تتهاوون في دروب الجهـــــاد
يوم حطمتم القيود ثقـــالا وتحررتم من الأصفـــــــاد
وعصفتم بالحلف حين تبـــدت زرقة الناب من وراء السـواد
كيف ننسى وتحت كل ســـماء لاجيء يشتكي من العـــــوّاد
حسبوا اللاجئين حالوا رمادا واذا بالجحيم تحت الرمـــــاد (٢)

وبعد هذه المقدمة ينتقل إلى رثاء " رجاء " وتمجيد بطولتها وامتـــداح وطنيتها ، مقررا أن شعبه لم يبك رجاء بكاء الحزين الملتاع كما هي العـــادة مع الموتى العاديين ، ولكن ليستثير في ذكراها كامن الاحقاد ويفجرها عواطـــف ثائرة على من تسببوا في آلام الشعب وعذابه ، فتراه يمزج الألم بالحقد ، وعاطفة

---

(١) عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - المعبد - الطبعة الثانية - دمشق ١٩٦٣ ص ٩٢

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادي - الطبعة الاولى - دمشق ٢٩٥٩ قصيدة " رجاء " ص ٩٤ ، ٩٧

الحزن التي تخفق في قلوب الشعب بالثورة على الظلم والاستعباد .

يا رفاقي الذين زفتم شباب الخلد كنتم طلائع استشهاد
الدماء التي جرت .. من دمائي والجراح التي بكت .. من فؤادي
ما بكينا ، رجاء .. ولكننا اثرنا عواطف الأحقاد
خفقة قد غدت لدى كل قلب ثائر في الورى على استعباد
واسمها المنتب نغمة الشعب يغني بها ، وحبل الشادي (١)

ويعود بعد هذا الرثاء الممزوج بالثورة والحقد ليربط بين عطاء الأرض والانسان فلقد تربى ابن فلسطين على العزة ، ووضع حليب البطولة ، حتى شب لا ينام على ضيم أو اضطهاد ، فلا بدع والحالة هذه أن يعود المشردون الى أرضهم فهي أسباب وجودهم ، ورمز عزتهم وكرامتهم .

يا فلسطين أنت أنشأت شعبا لم ينم ساعة على الاضطهاد
حارب الظلم منذ كان فيا للشعب يودى بالسيف والجلاد
ولهيب الأردن شب فهل يبقى على ضفتيه رجع الأغادي ؟ !
لا تقولوا هذى بقايا فلسطين وفيها دنس من الاجتياد
سيعود المشردون اليها ، اسمعوها مع الضحايا تنادي (٢)

ومن بواكير شعر أبي سلمى قصيدة يرثي فيها الشهيد البطل " أحمد مريود " (٣) الذى استشهد عام ١٩٢٦ ومن الملاحظ أن هذه القصيدة قد نظمت في سن مبكرة ، فنحن نعرف أن ميلاد الشاعر كان في عام ١٩٠٩ ولما كان نظم

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - أغنيات بلادي - الطبعة الاولى - دمشق ١٩٥٩ قصيدة " رجاء " ص٩٤ ، ٩٧

(٢) المرجع السابق

(٣) احمد بن موسى بن حيدر مريود شهيد من رجالات النهضة القومية في سورية ، ثار على الفرنسيين عام ١٩٢٥ وقد فاجأ الفرنسيون احمد في بيته بحيانة الغيب فقاومهم الى أن استشهد فحمل الفرنسيون جثته الى دمشق فعرضوها على الاطار ثم دفن في جهة قبر عاتكة وقد سمي أحد شوارع دمشق باسمه .
(اعلام الزركلي - ج ١ ط ٣ بيروت ١٩٦٩ ص٦٨٧).

هذه القصيدة يحمل تاريخ ١٩٢٦ فمعنى ذلك أن سنه عند انشائها كان يقارب السابعة عشر وكان ما يزال طالبا في مركز عنبر بدمشق ، يقول ابو سلمى :

أأحمد تبكيك هذى الجموع ... فقد كنت في قومنا الأوحدا
قضيت تدافع عن جلق ... وأنت تروم لها السؤددا
رأيت بعينيها تسام العذاب ... وتطلب من بينهم منجدا
يساقون للقتل من غير ذنب ... بطعن الحراب وضرب المدى
فكنت بذلك فخر الأماجد ... أبطال قحطان طول المدا
لئن كنت غيبت طي الثرى ... ووسدت بعد الهنا جلمدا
فروحك خالدة في السما ... كأني بها قد غدت فرقدا
تنير لقومي طريق الحياة ... كأنك بدر الدجا قد بدا
تهيب بنا لامتشاق الصارم ... وخوض المطامع كي تسعدا
فقم بهدوء وروح فؤادك ... ان المعارك لن تخمدا
ستنظرنا نحطي نارها ... ونودي بمن جاء مستنجدا
فينظر طعنا يقد المنون وضربا يقض شؤون الصدا
فاما حياة لذا حسرة والا .... فهيا لكي نلحدا (١)

في الأبيات السابقة نلاحظ اعجاب الشاعر بالبطل وتخليد كفاحه واتخاذه قدوة ، ونحس في هذه المرثية وحدة العاطفة وحرارة الاحساس بالفجيعة ولئن كان فيها كثير من المعاني العامة الا أن الشاعر قد وحد في رثائه بين آلام الأمة بفقد أبطالها وبين القضايا الوطنية وهو ما يبدو اتجاها جديدا على المستوى القومي والانساني .

ولكن عواطفه تجاه المرثي في هذا الاتجاه كما سنلاحظ في النماذج التالية لا تبدو فيها حرارة الفراق ولوعته وهذا في رأيي يعود الى أن العاطفة الوطنية والتألم لحال الوطن ، والواقع القومي الذي يعاني منه يستحوذان عليه ليستحيل

---

(١) ياسين عرفه الدمشقي - ديوان الثورة - المطبعة العربية بمصر ط ١ ١٩٢٦م ص ١٢٨

معه المرثي جزءا من الوطن والآلام التي يشعر بها نحو المرثي هي بعض الآلام التي خلفتها في نفسه مأساة وطنه والواقع القومي لأمته لذا تكون العاطفة الوطنية هي الغالبة والملونة لهذا الشعر .

أما أسلوبه فيبرز في الأجزاء الاولى من القصيدة حين يتحدث عن مأساة شعبه وخاصة حينما يتطرق الى خيانة الحكام وخذلانهم للشعب ولا عجب في ذلك فالأسلوب يتجاوب مع حالة الشاعر النفسية ، ويتلاءم مع الغرض والاتجاه الذي يكتب فيه .

ونحن نشير هنا الى مرثيته للمناضل العربي "صبري العسلي" التي ألقيت في حفلة تأبينه بدمشق ولعل اشارتنا الى هذه المرثية بعد مرثية أحمد مريود فلأنها هي آخر ما نظمه ابو سلمى من شعر الرثاء (١) :

يبدأ ابو سلمى القصيدة بقوله :

صوح الحرف هوانا واغترابا ... أتراه يصف اليوم مصابا
ليس في قلبي ما يرفده ... غرس الأهلون في قلبي حرابا
حاربوا بالخطب البيض العدى ... والمواضي لم تزل أمضى عطابا
عبق الريحان والورد لهم ... وعلى أهليهم كانوا ذئابا (٢)

فهو منذ البداية يعتذر للمرثي على ما له من المكانة الوطنية والمنزلة القومية بأن الحرف لم يعد قادرا على وصف شيء سوى المصاب بسبب ما لاقاه من الهوان والغربة أما قلبه فلم يعد يملك في حناياه ما يرفده من عواطف ومشاعر بعد أن غاصت حراب الأهلين في شعاب هذا القلب .

وينتقل من هذه المقدمة ذات الأسلوب الساخر والانتقاد المرير للواقع القومي والتلفت الى حال وطنه وآلام شعبه الى التلفت الى رجال الثورة الكبرى من الأحرار " والمرثي كان واحدا منهم " فيأخذ في تعداد مناقبهم ويصفهم

---

(١) القيت هذه القصيدة في حفلة تأبين صبري العسلي في قاعة نقابة المحامين بدمشق بتاريخ ١٩٧٨/٤/٢٨ .

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٦٩

اكرم وصف فيقول :

يا بقايا الصيد من مثلكم ... عند هول الخطب شيبا وشبابا
كنتم حربا على الغصم ولم ... تهدوا حتى جلا الغصم وغابا
وزحفتم للوغى في وحدة ... صهرتها النار فكرا ولهابا
وخططتم بالظبى النصر لها ... ومحوتم بالدم الحر انتدابا
يوم فجرتم من الدجن سنى ... ومن الرمل الينابيع العذابا
ونشرتم في الميادين اللظى ... وتهاويتم لهابا فلهابا
طلع الفجر على راحاتكم ... بعدما ألقت عن الليل الحجابا (١)

ثم يلتفت الى المرثي فيتناول بطولاته التي قدمها لوطنه ، ويثني على وطنيته مظهرا تقدير الشعب له ، وعرفانه بالجميل لأبنائه الأحرار .

يا فتى الثورة خضبت الصبا ... بالبطولات فأغليت الخضابا
ودمشق الشام شقت صدرها ... ثم ضمتك حنايا وحبابا
يا فتى الفتيان أيام اللقا ... سألت عنك والفتك الجوابا (٢)

ويكتفي بهذا القدر من الثناء والتقدير ليعاوده الحنين الى وطنه ثم ليؤكد بصورة قاطعة وحازمة أن أى قطر عربي يتخلف عن الركب في معركة التحرير والحرية لن يكون له من وجوده سوى الاسم الذى يحمله .

أيها الغائب انا لم نزل ... من فلسطين الهوى نشكو الغيابا
كلما طال المدى زدنا هوى ... كلما زاد الهوى زادوا عذابا
كل مصر عربي لم يكن ... دون تحرير الحمى الا سرابا
لا رعى الله ربوعا لا ترى ... في سماها من فلسطين الغيابا (٣)

وبعد خمسة أبيات يصف فيها واقع الوطن العربي ، وما هو عليه من التخلف والتفكك والاضراب يلمح لدور الأمل يطل على وطنه من خلال ثورة ابنائه ،

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٦٩
(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - في حفلة تأبين المناضل صبرى العسلي - نقلت عن ناظمها .
(٣) المرجع السابق

ومن خلال المقاومة التي يبديها الشعب داخل الارض المحتلة فيشيد ببطولة الشعب ، ويحيي بسالة فتيانه وبناتيه الذين وقفوا يصارعون الطغيان لا يحملون في أيديهم سلاحا سوى الحجار الصم يرجمون بها حلف العدو وغروره ، ويرجمون معها النخوة العربية والمروءات القومية الجوفاء بعد أن نفضوا أيديهم من كل أمل بالنجدة والانقاذ على أيدي زعماء العرب .

من رأى الفتيان يمشون على ... لهب الموت رأى الموت العجابا
والبنيات على درب الهوى ... في فلسطين يحطمن الصعابا
الحجار الصم في أيديهم ... تصرع الوحش المدمى والعقابا
رجموا النخوة فيما رجموا ... والمروءات التي باعت كذابا (١)

وهكذا ففي أبيات تسعة من الفخر والاشادة والاعتزاز ببطولة الشعب والتفاؤل والأمل بانتفاع الغمة يسترسل أبو سلمى بكل عاطفته ومشاعره مع أبناء شعبه الأبطال قبل أن يلتفت ثانية الى المرثي ليختتم القصيدة بالاعتذار اليه مرة أخرى مبررا عدم استجابة دموعه وهو يرثيه بأن وطنه فلسطين لم يترك لديه دموعا يبكي بها أحدا من الأصحاب بعد أن استنفذ من عينيه كل الدموع .

يا فتى الثورة عفوا لا تلم ... كيف أرثيك ودمعي ما استجابا
لم يعد بعد فلسطين لنا ... من دموع أين من يبكي الصحابا (٢)

وهذه قصيدة أخرى في رثاء المناضل " عمر فاخوري " قال عنها الشاعر العراقي بدر شاكر السياب في رسالة بعث بها الى أبي سلمى " بين يدي الآن قصيدتك في رفيق النار والنور " عمر فاخوري " فماذا اقول عنها .. هي " الكلمة التي تستحيل الى ملايين من السواعد المفتولة " كما قال واحد من معلمي البشرية الخالدين ، هي الجمال الذي يصبح قوة والقوة التي تصبح جمالا (٣) . "

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - في حفلة تأبين المناضل صبري العسلي - نقلت عن ناظمها .
(٢) المرجع السابق .
(٣) عصام العباسي - جريدة الاتحاد - حيفا - تاريخ ١٩٧٤/٤/٣٠

يخاطب ابو سلمى في هذه القصيدة المرثي ، فيبدى اعجابه وتقديره للفقيد ويقول عنه : " انه عالم من المكرمات والآداب بالاضافة الى كونه ، رفيقا للتاريخ والأجيال ، والأحقاب ويستكمل رسم الصورة الجميلة التي انطبعت في شـــــعوره واحساسه عنه ، فيصفه بالنسر الذى يطير في الأفق الرحب فوق كل سماء ، ولـــــه جناحان يحملان المروءات ويرفان فوق كل سحاب ، وكأن الشاعر لم يكتف بكل هـــذا الوصف الذى أطلقه على صديقه بل جعل منه روضا نضيرا يتحلى بالزهر والأطيـــاب كناية عن أدبه وفنه

عالم المكرمات والآداب ... يا رفيق الأجيال والأحقاب
يا رفيق التاريخ والثورة الحمراء من للخصوم والأصحـــاب
كنت نسرا يطير في الافق الرحب ... فتهمي الأمجاد فوق الرحاب
الجناحان يحملان المروءات ... يرفان فوق كل ســـحاب
كنت روضا من الحياة نضيرا ... يتحلى بالزهر والأطيـــاب (١)

ثم ينتقل بعد ذلك ليحيي بلد الفقيد " لبنان " ويصف حنينه وأشواقه الـــى جبله الأشم وبساتينه الخضر ودواليه وسواقيه .

ايه لبنان والخطى داميات ... قد زحفنا على خضيب التراب
وحملنا على الأكف قلوبنـــا ... ظامئات الى لهيب الشـراب
جبل فوق رفرف الخلق يغفـــو ... في ذراه عرائس الاربـــاب
الق الخالدين فوق صباحيـــه ... وغرس الجهاد فوق الروابي
الأغاني على السفوح مشرودات ... وتاه العبير بين الشـعاب
والدوالي على الدروب سكارى ... والسواقي ارتمت على الاعناب (٢)

ثم يعود الى المرثي ، مخاطبا اياه تحت التراب ، مبديا حيرته وتساؤلاتـه ، فتراه يوحد بين بني الانسان الذين يئنون تحت وطأة الظلم والضنى والاضطهـــاد ، وتراه يبث من خلال هذه النقلة لواعجه وآلامه مبينا مدى ما يتعرض له الأحـــرار

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - نقلت عن ناظمها .
(٢) المرجع السابق .

من قمع ، ويبقي مذكرا بنضال الفقيد من أجل تحطيم القيود والأغلال التي تطوق أعناق الرفاق من كل جنس ولون في جميع أنحاء المعمورة ، معبرا عن عميق الفراغ الذى تركه " عمر " بعد وفاته ، مشبها حال الناس التي كانت عليه حين وفاة "عمر" بأنها كحال الطير الذى يكون في دائرة الصيد الضيقة ، ويصف نير الطغاة وبطشهم بأنه يشبه السهام المسددة الى الفريسة بعد أن يدركها الصياد . ويختتم القصيدة باستنهاض المرثي ليقوم فينادى الرفاق من كل لون وجنس بأن يهبوا للنضال الذى يوحد بين جميع الاجناس وليحرروا العالم من الظلم والاضطهاد .

وفي غمرة هذا النداء الانساني لا ينسى الشاعر أن يلتفت الى فلسطين ملهمته الأولى ، وأمه الرؤوم ، فيصفها بالحلم الذى أدماه زرق الأنياب كناية عن الانجليز الذين تحبر عبقريتهم عن الاجرام والظلم ، ويطالبها بان تفتح صدرها الجريح وتنادى أحرار العالم بأن يتحدوا ويهبوا لرفع الظلم وتحرير العالم من الطغاة والمستعمرين .

عمر الخير والكرامة والمبدأ ، ماذا رأيت خلف الحجاب
هل رأيت العبيد كيف يجرون ، قيودا من الحديد المذاب ؟
أم رأيت القيود يصهرها الأحرار ، بالنار قبل يوم الحساب
أيها الحامل الشعاع الالهي ، شعاع القلوب والألباب
أوحشت بعدك المحافل والساح ، ودور الرفاق والأحباب
والمنى غاب من عيون الغمامى ، وظلال الدموع في الأهداب
أيها الضارع اليراعة تنقض على الظالم انقضاض الشهاب
كيف تمضي ونحن في حلق الصيد ، ونير الطغاة فوق الرقاب
لم يرعنا الا مصابك في اليوم المرجّى ، يا هول ذاك المصاب
أقبل الثائرون يلثمون الركن قبل الصلاة في المحراب
يحشدون الآمال في وهج الغمرة حشد المنى على القرضاب
قم وناد الرفاق من كل لون ، لا رفاق الأصاب والأنساب

بل رفاق الآلام والدم والدمع ، رفاق الضنى ، رفاق العذاب
يا فلسطين ، أيها الحلم الدامي وأدماه أزرق الأثيـــاب
عبقرى الاجرام والظلم لا يشرب الا من الدم المنســـاب
افتحي صدرك الجريح ونادي يسمع الكون كيف رجع الجـــواب
عندما نلتقي على قمة التاريخ ، بيض الوجوه حمر الثيـــاب (١)

وعن الأحبة المناضلين في سبيل الحرية والكلمة المقاتلة يقول أبو سلمى في مقدمة قصيدة أحبة يتساقطون :

" في كل يوم يغيب فرسان عن الميدان .... وهكذا تهاوى رشيد الحـــاج ابراهيم ، صبحي الخضراء ، درويش المقدادى ، مخلص عمرو ، عبدالرحمن الحـــاج ابراهيم ، وكثير غيرهم بعيدين عن أرض المعركة ... فلسطين "(٢)

كيف تبكي ؟ وحل هناك جمـــوع ذهب الصحب والهوى والربيـــع
كل يـوم أحبة تتهـــاوى وقبور غريبـــة وجمـــوع
لا التراب الذى يضم شظاياهـــم تراب ولا الجموع جمـــوع
لا يريدون غير أرض فلسطـــين ؟ حيام سود وعرى وجـــوع ؟!
ودماء مطلولة وجبـــاه عفرتها مذلة وخنـــوع ؟!
اننا لاجئون في كل قطـــر وبقايا الشعب الشريد تطيـــع
ليتنا لم نفارق الدار حـــتى تتلاقى أصولنـــا والفـــروع
قد رأينا الهجان في الساح تجرى ، وحدها والحقاق لا تســـتطيـــع (٣)

يقول أبو سلمى ، في كل يوم يموت نفر من ابناء فلسطين بعيدين عنهـــا ، ويدفنون خارجها في غير بلدهم ، يدفنهم غير أهلهم ، ويتحسر الشاعر على هـــذا الشعب الذى أصبح يقيم في خيام سود ، ويتمنى لو لم يفارق الدار أهلها ليصونوا

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - نقلت عن اوراق ناظمها .
(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - دمشق - الطبعة الثانيـــة ١٩٦٣ ص ١٠٧
(٣) المرجع السابق

عروبتهم وتراثهم بدلا من أن تترك للدخلاء يصولون ويجولون فيها كيفما شاءوا .

ويستمر الشاعر في وصف الحال الذي كان عليه أهل فلسطين ، والأمر الذي آلوا اليه بعد أن أصبحوا بلا وطن ، فيقول :

نحن كنا طليعة الثورة الكبرى ... ومالت اعناقنا والجذوع
ووصلنا المعارك امجادا ... ولا نشترى بها أو نبيع
ان عكا وعسقلان وطين علي ... أرضنا ... فكيف تضيع
ووكزنا راياتها في جبال النار ... مخضلة الذيول تروع
ورفعنا تاريخنا تشرق الأحرف ... فيه ويستفيض السطوع
وأطلت شمس العروبة من بين ... ربانا وقد زهاها الطلوع
مالنا اليوم .. لا نعد من الحرب ... وغاب التأهيل والتوديع
كل هلو على ثرى عربي ... أجنبي ينز منه النجيع (١)

يقول الشاعر في هذه الأبيات اننا حاربنا بشرف ، ولم نساوم على وطننا أو نخن الأمانة فقد شهدت بلادنا أروع المعارك في الماضي ، أيام الحروب الصليبية ، وأيام غزو نابليون وقد دعيت جبال نابلس وقراها بجبل النار ، لأنها مخضلة بدماء الاعداء الذين كانت أرض فلسطين مقبرة لهم . هذا هو الحال الذي كان عليه أهل فلسطين قبل أن يغادروها ، أما بعد رحيلهم فلم يعد يهتم بهم أحد وقد غدا ابناء فلسطين يموتون بعيدين عن وطنهم . ومن الملاحظ في هذه القصيدة ، أن الشاعر قد جعل من موت عدد من اصدقائه مناسبة ليستنهض بها همم العرب دون أن يقتصر على رثاء اصدقائه ، بل اخذ يبث آلامه وهمومه التي هي آلام وهموم شعب فلسطين . واستطاع أن يصور كفاح الشعب العربي في فلسطين بأسلوب واضح وكلمات معبرة .

ونموذج آخر من قصائد أبي سلمى في الاتجاه الأول من شعر الرثاء ، هذه القصيدة التي القاها في ذكرى الشاعر العربي الكبير " عزيز أباظه " يستهل

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - دمشق - الطبعة الثانية ١٩٦٣ ص ١٠٧

الشاعر القصيدة بثمانية أبيات يحمل فيها شجونه وآلامه وهمومه التي هي آلام وهموم شعبه ، فيقول :

وحملنا من فلسطين الجراحا ... ألسنا في المهرجانات فصاحا
وبظايانا اللواتي انتشرت ... قد عصبناها وشاحا فوشاحا
جلت الثورة ايام اللقا ... جبهات تفضح الشمس صباحا
وغدت أشعارنا صامتة ... انها في صمتها أمضى سلاحا
يا فلسطين اتيناك على ... صهوة الجرح رعودا ورياحا
تقف السمراء في ساح الوغى ... تتحدى الأسمر الذئب كفاحا (١)

وبعد هذه المقدمة التي يحمل فيها جراح شعبه وتصميمه على الكفاح يصل الشاعر بين هذه الآلام النفسية العامة وبين آلامه وآلام الشعب المصري بفقد فارس من فرسان الشعر العربي المعاصر ، ففي حين يتغلغل الألم الى أعماق ذاته ، وهو يحمل جراح الفلسطيني ، وهموم مأساته ، تراه ينقل أحاسيسه ومشاعره بفقد " عزيز " صديقه الوفي ، فتراه يرق وتتحول العبارات الثائرة وهو يصف آلام شعبه ، الى نغمات حزينة وهادئة فيما هو يتحدث عن صديقه الراحل ، وبعد أن يعدد مناقبه ، يصف الفراغ الذي تركته وفاته بعد أن انطوت صفحة من صفحات الشعر الأصيلة المشرقة .

شيع الشعر " عزيزا " وبكى ... خلقا فيه ونبلا وسماحا
لا عروس النيل في موكبها ... لا ولا موكبها زف الملاحا
لا الليالي حافقات بالسنى ... لا ولا النجم على الموج استراحا
لا الرياحين على الغط زهت لا ... ولا الورد بسر العطر باحا
وانثنى الفارس على رايته ... وارتمت تملأ الدنيا نواحا
يا عزيز الشعر من بعد النوى ... لم نجد للشعر فرسانا وساحا
الحروف العربيات انطوت ... والهجينات تعدون المراحا
هانت الانفس فالشعر غدا ... مرتعا مثل بلادي مستباحا (٢)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - جريدة الدستور الأردنية عدد ٢٤١٩ ، ٢١ نيسان ١٩٧٤ .
(٢) المرجع السابق .

ويستمر في وصف وقع الفاجعة على نفسه واحساسه بالألم بفقد عزيز غال ، فيقول : " انه في كل يوم يموت نفر من الأصدقاء الأحباء الذين يعتبرهم الشاعر قطعا من كبده ، كما أن اخوانه الذين يموتون بعيدين عن أهلهم وأصدقائهم كثيرون ، ويتأسف ويتحسر لكونه لم يكن موجودا ساعة وفاة " عزيز " وتشييع جنازته ، الا أن أمثال هذا الفقيد من شهداء الشعر ، هم مشعل على طريق الحرية يضيء لشعبه طريق الخلود " :

كل يوم قطعة من كبدي ... تتخطى وبها الموت أطاحا
لي في كل المناحات أخ ... لم يجد قبرا ولم يلق أقاحا
وهوى السيف المدمى عاريا ... دون غمد والردى ردّ الجماحا
لم تشيّعه بقايا أدمعي ... لا ولا توديعه كان متاحا
والرفاق المستجيرات ألم ... يسمعوا منها عويلا وصياحا
شهداء قد كساهم ربهم ... نضروا روحا وردنا وصفاحا
وهم في كل درب مشعل ... أطلعت من ظلمة الليل صباحا (١)

ويلتفت مرة أخرى الى صديقه الفقيد ، فيصف الفراغ الكبير الذي تركه بعد وفاته ، مبديا بعض التساؤلات الموحية بالجواب .

أيها الحر الذي فارقتنا ... ان للقيد على الأرض اجتياحا
أيها الصداح ما الروض اذا ... كنت لا تملأ جنبيه صداحا
أيها الشاعر ما الحفل اذا ... كنت لا تسقيه من شعرك راحا
لا يضيء النور في الجمع اذا ... لم يكن منك الجبين الطلق لاحا
مثل زيتون بلادي خالد ... شعرك الغض اخضرارا واتشاحا
يا عزيز الشعر ما زلنا على ... عهده نعتنق الود الصراحا
أينما سرنا على أعطافنا ... عبق من شعرك المعطار فاحا (٢)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة الدستور الاردنية عدد ٢٤١٩ ، ٢١ نيسان ١٩٧٤ .

(٢) المرجع السابق .

أما الاتجاه الثاني ، فيدخل في مجاله رثاء أخيه " أحمد شاكر الكرمي " والشعراء الكبار الذين طواهم الردى والأصدقاء الأوفياء .

ويمتاز هذا الاتجاه بحرارة العاطفة ولوعة الفراق . اذ كان أبو سلمى يشعر بيد الموت الباردة تمتد لتختطف منه أناسا أعزاء عليه على حين لا يستطيع أن يأتي بأي عمل فيتضاءل الألم الى أعماق ذاته ، ويلتمس شغاف قلبه فينطقه شعرا يفيض ألما ومرارة منعكسا على تلك النفس الملتاعة ، ويقف أمام الموت ، هذا المصير النهائي والقدر المحتوم ويتناول بتفكيره مأساة الحياة وعجز الانسان أمام الموت ومصيره الذي يؤول اليه بعد هذه الرحلة في قطار الحياة .

يقول في رثاء أخيه الكاتب والأديب الكبير أحمد شاكر الكرمي ، وكان ابو سلمى في ذلك الحين لا يتعدى سنه الثامنة عشر .

لئن هاج ذكر الراحلين رسيسي ... فقد حطم الدهر الحؤون كؤوسي

كؤوس الأماني وهي مفعمة هوى ... وتحنان نفس لم تقس بنفوس

هبطت الى الفيحاء والقلب واجف ... يظلّله وجدى بها ونسيسي

وقلت لأصحاب الصبا بتفجع ... ودمع جوى الأكباد غير حبيس

قفوا بي على الذكرى فهذي حشاشة ... سقتها بنات الدهر خمرة بوس

فأنفاسها الأنات في هيكل الأسى ... يردده مزمار كل بؤوس

وعجنا على رمس الحبيب وكلنا ... يلملم روحا أدرجت برموس

...وكان شهيق وانتحاب ولوعة ... ترجعها الأجواء مثل دروس (١)

حتى انا ما انتهى من التعبير عن الفاجعة التي المت به بفقد أخ عزيز كان له تأثير على مجريات حياته ، وتشكيل شخصيته ، أخذ يصف حالته النفسية ، وما آلت اليه بعد فقده أخاه فيختتم قصيدته بالمزج بين فقيد قضى لم يلق مؤنسا ، وفقيد حي هو الشاعر ، فارق كل أنيس بعد فراقه لأخيه " أحمد "

---

(١) ابو سلمى - الى روح أخي - مجلة الزهراء - القاهرة جـ ١ - مجلد ٥ - ربيع الاول ١٣٤٧هـ ص ٢٣

فكأنه بهذا الفراق قد فارق سعده ، وطموح شبابه ، وولى عنه كل أنس وسرور .

أخي والردى أغنى عليك فجاءه ... وقد كنت فينا تفتدى بنفوس
أأرثيك لا أدرى الرثاء وانما ... أذيل نجيع القلب فوق طروس
ولو أن دهرى قد تناسى كمشفق ... قوى عضدي وافتر بعد عبوس
لكنت أرجيها لعل مصيبة ... محي وأمام الرزء شبه تروس
ولكنما أشقى البقايا بخطبه ... وأتبع أذناب القوى برؤوس
فلا زمني ليل من اليأس مظلم ... وآذن نجمي يا أخي بطموس
كلانا فقيد: أنت لم تلق مؤنسا ... وما أنا قد فارقت كل أنيس(١)

ومن الرثاء للأخ الى رثاء الشعراء الكبار الذين طواهم الردى ، وكان لهم فضل كبير على نهضة الشعر العربي المعاصر وقد صور أبو سلمى عاطفته ومشاعره بفقد أمير الشعراء " أحمد شوقي " فألقى قصيدته المشهورة " ليلى على جبال التوباد باكية " في حفلة التأبين لشوقي التي اقامتها جمعية الشبان المسلمين في قاعة مدرسة النجاح الثانوية الوطنية بنابلس عام ١٩٣٢ وهي تتألف من تسعة وعشرين بيتا وهي في الوزن والقافية والروى تتفق كما يقول الدكتور كامل السوافيرى مع أندلسية شوقي التي نظمها في منفاه باسبانيا(٢) والتي مطلعها :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا ... نشجى لواديك أم نأسى لوادينا (٣)

ومنه بعض أبيات من قصيدة أبي سلمى في رثاء أمير الشعراء :

تحير الدمع في أرجاء وادينا ... وحيرة الأيك ناحت في روابينا
فالدمع في مقل الأزهار لؤلؤة ... والنوح في الدوح قد هاج الأغانيدا
يا وادى النيل ان الجرح يجمعنا ... ونحن في الشرق أشباه عوادينا
ما رد النيل أنّات الشكاة جوى ... الا انثنى بردى يروى فيشجينا

---

(١) ابو سلمى - الى روح أخي - مجلة الزهراء - القاهرة ج ١ مجلد ٥ ربيع الاول ١٣٤٧ هـ ص ٢٣ .

(٢) الدكتور كامل السوافيرى - الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر - الطبعة الاولى ١٩٧٣ مكتبة الاتحاد المصرية ص ١٣٨ .

(٣) احمد شوقي - الشوقيات - الجزء الثاني - مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥٨ ص ١٠٣

تلفت المسجد المحزون ثم نعى ... شوقي أمير القوافي للمصلينا
وقال محرابه يشكو لمنبره ... هل شعره الحي في الدنيا معزينا
ياشاعر العرب والاسلام معذرة ... جل المصاب وما جلت مراثينا
يا بلبل الشرق يشدو في خمائله ... فيملأ الكون ترجيعا وتلحينا
غالتك كف الردى يا نور طلعته ... فارتاع سامرنا ، واهتز نادينا
بغداد خلف ستار الدمع نادبة ... والرزء هدّ فلم يرحم فلسطينا
والشام تبكي أمير الشعر آونة ... بعد الفراق وتبكي مجدها حينا
ليلى على جبل التوباد باكية ... تهدي الى قيسها وردا ونسرينا (١)
وكليوبا ترا غدت ثكلى وواحدها ... أنسى قياصر روما والمحبينا

أما ما يقوله الدكتور كامل السوافيري عن استعمال ابي سلمى لكثير من عبارات ومفردات قصيدة شوقي في الاندلس (٢) ، ففي رأيي أنه آثر استعمالها قصدا وذلك زيادة في التعبير عن عميق الفراغ الذي تركه شوقي في الشعر العربي المعاصر ، ومدى تقدير ابي سلمى لأصالة فنه وللابداع في شعره ، يدلّ على ذلك أنه لم يكتف بايراد عبارات ومفردات من أندلسية شوقي فحسب بل واستعمل بعض معاني وعبارات شوقي في قصائد أخرى ، فهو حينما يقول في البيت الثالث من القصيدة :

يا وادي النيل ان الجرح يجمعنا ... ونحن في الشرق أشباه عواديا

فهذا المعنى هو تضمين للمعنى في البيت الحادي والاربعين من قصيدة شوقي في نكبة دمشق والذي يقول فيه :

نحن ونحن مختلفون دارا ... ولكن كلنا في الهم شرق (٣)

---

(١) محمد خورشيد الحدناني - أمير الشعراء شوقي بين العاطفة والتاريخ - الطبعة الاولى - القدس ١٩٣٢ ص ٢٢٨

(٢) الدكتور كامل السوافيري - الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر - الطبعة الاولى ١٩٧٣ مكتبة الانجلو المصرية ص ١٣٨ .

(٣) أحمد شوقي - الشوقيات - الجزء الثاني - مطبعة الاستقامة بالقاهرة - الطبعة الاولى ١٩٥٨ ص ٧٥

وكذلك في البيت الأخير والبيت الذي يليه :

ليلى على جبل التوباد باكية تهدي الى قيسها وردا ونسرينا
وكليوباترا غدت ثكلى وواحدها انسى قياصر روما والمحبينا (١)

فيهما اشارة واضحة الى آثار شوقي وفنه فتراه يتعمد في أن يذكر ذلك ليؤكد على رسوخ هذه المعاني والعبارات في نفس الشاعر ، وفي شعوره الداخلي .

ولسنا بسبيل احصاء من رثاهم ابو سلمى من الشعراء والأدباء الأصدقاء فليس هنا مجاله ولكننا نستطيع أن نصل الى روح أبي سلمى الشعرية من خلال هذا النوع من قصائده ولنلتقط الجوهر الذي ما زال يسطع منه ، نشير الى مرثيته لصديقه الشاعر مطلق (٢) عبد الخالق يقول فيها :

يا دمعة الشعر على مطلق على الشباب الناضر المشرق
عمر كعمر الزهر يا ليته مر على الروض ولم يعبق
حتى بكى الليل في عشه بكى مع الريحان والزنبق
أمسك قلبي كلما يفتدي أخ وراء الأفق كالمشفق
لا أمل يرجى ولا عودة الا الرؤى في الافق الازرق

....

مطلق ما المرء سوى تائه يجول في اليم على زورق
المرج من جانبه غاضب والريح ان تلعب به يغرق
انت تحررت ولكننا في العيد يا مطلق لم نطلق
الوطن الغالي على تربه دم يرويه ولم نعتق
والدم والنار سبيلا هدى منارتا عز لمن يرتقي
اما حياة مثلما نشتهي أو في ربى الخلد غدا نلتقي (٣)

---

(١) محمد خورشيد العدناني - أمير الشعراء شوقي - بين العاطفة والتاريخ - الطبعة الاولى - القدس ١٩٣٢ ص ٢٢٨ .

(٢) مطلق عبد الخالق - شاعر فلسطيني ولد عام ١٩٠٩ وتوفي عام ١٩٣٧ في ريعان شبابه حيث صرعه القطار وهو في طريقه الى منزل الاستاذ وديع البستاني لشؤون تتعلق بالمعتقلين في مخيم المزرعة بالقرب من عكا .

(٣) مطلق عبد الخالق - ديوان الرحيل - المنشور في حيفا عام ١٩٣٨ والمطبوع بدار الاحد - بيروت - ص ٢٢٣ - ٢٢٤

في المقطع الثاني من القصيدة يتأمل الشاعر في حقيقة الموت ويتناول ببساطة ووضوح ومعاعرطالنا ردها مطلق نفسه في معظم شعره كما يقول في قصيدة " طلاسم "

وازداد علما بجهلي ومـا أراني سوى ذرة هابيه
يسيرها كيف شاء القضاء فتذعن مخطرة .. راهيه
كما موجة تتقى صخرة فتكسرها صخرة ثانيه (١)

غير أن ابا سلمى كان أكثر وعيا لهذه الجبرية التي تنطق بها أبيات مطلق ، فانا كان التيه حكما لا راد له هنا . ولا يستطيع الانسان الا ان يذعن له فانه عند ابي سلمى محكوم بقدرة الانسان ووعيه له ! فانا كان الموت الفردى ، للخلاص من " عبودية التيه " فانه لا يصح طريقا للجماعة .. من هنا يبدأ الفعل الانساني في التحرر ، فالتيه هو العبودية ، والدم والنار هما السبيل لاختراقه لأن معنى الحياة كامن في هذه السبيل ... وبدون ذلك

لا أمل يرجى ولا عودة الا الرؤى في الأفق الازرق

وحين يحدد أبو سلمى هذا الموقف فانه لا يحدده استنادا الى افكار مجردة أو رغبة في التأمل فحسب ، بل يحدده استنادا الى دواعي الواقع نفسه وما يتطلبه من وعي اجتماعي ومعاناة ذاتية لادراك كنه القوى التي تتحكم في مصيره .

---

(١) مطلق عبدالخالق - ديوان الرحيل - المنشور في حيفا عام ١٩٣٨ والمطبوع بدار الاتحاد - بيروت - قصيدة الطلاسم - ص ٣٣ - ٣٤

أغاني وأناشيد الأطفال (١)

الأطفال يميلون الى التنغيم والايقاع والكلام الموسيقي المقفى منذ نعومة أظفارهم فالطفل منذ أيامه الأولى يستمع الى هدهدات أمه في المهد . فالغناء والتنغيم هما أول صور الفن التي يواجهها بين ذراعي أمه . ولا يكون تأثير ذلك في نفس الطفل نابعا من استيعابه لمعانيه ، لأن الطفل لا يكون قد امتلك اللغة بعد ، ولا استوعب دلالات الألفاظ . ان انفعاله يقع بتأثير الايقاع واللحن وصوت أمه الذي يثير في نفسه الطمأنينة والسكينة(٢). وكلنا يذكر أغاني الأطفال التي يتوارثونها من الفلوكلور الشعبي جيلا بعد جيل في العابهم ومرحهم التي كثيرا ما تبدو لنا بلا معنى ، ولكن بايقاع موسيقي وتنغيم مقفى (٣).

هذا الغناء الملحن المنغم المقفى ذو الايقاع الموسيقي الذي يغلب الباب الأطفال في طفولتهم المبكرة ، جزء لا ينفصل من ثقافتهم(٤) الشعبية المتوارثة جيلا بعد جيل وهو يشير الى طبيعتهم الغنائية الشاعرة التي تظهر في مرحهم (٥) وألعابهم الحرة الطليقة .

ومن هنا ، كانت الحاجة الى شعر يصور رغباتهم ويعبر عن أحلامهم ، ويلبي حاجاتهم ، وبهذا لا يغدو اهتمام الأطفال بالغناء في طفولتهم الباكرة اهتماما موقوتا قاصرا على هذه المرحلة من مراحل النمو .

---

(١) الفرق الأساسي بين الأغنية والنشيد أن الاولى يتغنى بها ، على حين أن الثاني يغلب عليه طابع الانشاد وفي النماذج المختارة لأبي سلمى نرى أنها تجمع بين النوعين ، وبهذا فقد اخترت لها هذا العنوان المشترك .

(٢) عبدالرحمن النحلاوي - التربية الخاصة وأصول التدريس - مطبعة الجمهورية دمشق - ط ١ ١٩٦١ ص ١٧٠ .

(٣) المرجع السابق ص ١٧٠

(٤) محمد عطية الابراشي - الموجز في الطرق التربوية لتدريس اللغة القومية مكتبة النهضة - القاهرة ط ١ ١٩٥٥ ص ١٨٣

(٥) المرجع السابق ص ١٨٣

ولعل أول من أدرك أهمية شعر الأطفال هو الشاعر أحمد شوقي الذي أدرك وعرف أدب الأطفال في فرنسا اثناء وجوده هناك فكتب شعرا للاطفال على ألسنة الحيوانات والطيور ونشرها في الجزء الرابع من ديوانه (الشوقيات) ولكنه لم يوفق بها كل التوفيق لأن كلماتها لم تكن في مستوى لغة الأطفال.(١)

واستمرت محاولات كتابة شعر الأطفال بعد شوقي ، ومع هذا لم يأخذ هذا الاتجاه مكانته الحقيقية في العالم العربي اذ أن هذه المحاولات كانت أقرب الى الانشاد منها الى أدب الأطفال.(٢)

ويقول الناقد السوري "عيسى فتوح" انه باستثناء ديوان اغاني الأطفال لأبي سلمى ومسرحية الفصل الجميل "لعادل أبو شنب" فان تماذج المحاولات السابقة كانت تخاطب الصغار بلغة الكبار (٣).

أما ديوان أغاني الأطفال فهو كما يرى الناقد السوري عيسى فتوح قد كان أول لبنة في بناء شعر الأطفال الحقيقي الصحيح في سورية (٤).

وعن الدوافع التي حملت أبا سلمى على الكتابة للأطفال (٥) يقول ابو سلمى في مقدمة ديوانه "أغاني الأطفال" : "ان المكتبة العربية في حاجة قصوى الى

---

(١) عادل ابو شنب - مجلة الموقف الأدبي - سنة ٣ عدد ١١ - آذار - مارس ١٩٧٤ ص ٩٨ .

(٢) عيسى فتوح - مجلة الموقف الأدبي - سنة ٨ عدد ٩٥ آذار - مارس ١٩٧٩ ص ٤٩

(٣) المرجع السابق ص ٤٩

(٤) المرجع السابق ص ٤٩

(٥) كان ابو سلمى قد اشترك مع صديقه الشاعر ابراهيم طوقان في كتابه "محفوظات للأطفال" تقدم به ابراهيم طوقان الى لجنة اختيار الكتب في معارف فلسطين - ذلك في بداية عام ١٩٣٥ ولكن رئيس اللجنة وهو الاستاذ أحمد سامح الخالدي وقف في وجه ابراهيم طوقان وقاوم تقرير الكتاب بسبب سوء العلاقات في ذلك الحين بين ابراهيم طوقان والاستاذ الخالدي.
(د . عمر فروخ - شاعران معاصران - ط ١ بيروت ١٩٥٤ ص ٤٧)
ولم اعثر لدى أبي سلمى على نسخة من هذا الكتاب المخطوط ويبدو أنه قد فقد قبل الكتابة .

أغاني الأطفال ، وهذا السبب هو الذي حدا بنا الى اصدار هذه المجموعة من الأغاني لهم ، وقد توخينا أن تكون ألفاظها سهلة ، وأوزانها خفيفة مشوقة ، وأن تحمل أفكارا بسيطة ونبيلة ، وأن تحبب أطفالنا بالطبيعة والوصف ، وعمل الخير ..... وقد جاءت هذه الالحان منسجمة ومتسقة تتماون مع الكلمات والموضوعات على توجيه وتهذيب النفوس الصغيرة التي أهملها أدبنا العربي طويلا (١)... "

ونلاحظ من هذه المقدمة وعي أبي سلمى وادراكه لحاجات الأطفال ومتطلباتهم فهو قد توخى في اختيار نصوصه أن تكون ملائمة لمدارك الأطفال وميولهم ورغباتهم، من حيث ألفاظها وأساليبها ومعانيها وأخيلتها ، ومتصلة بحياتهم وبيئتهم ... وهو قد تابع تجارب غيره من الشعراء . واستفاد منها بحيث عمل على استكمال هذه التجارب .

ومن أغانيه التي يحبب فيها الأطفال بالطبيعة الساحرة

١. اغنية راعي الغنم

هل تنظرون راعي الغنم
وتسمعون ... طو النغم
يدعو القطيع الى المياه
الى الربيع الى الحياة
....
ان رحت يا راعي الغنم
الى السهول أو الأكم
... ...
سلم على كل الزهور
سلم ولا تنس الطيور (٢)

بهذا الاسلوب اللطيف الرشيق ، يحاول أبو سلمى أن يكحل عيون الأطفال بالسهول الخضراء ، والمياه الجارية وسط السهول فيحدثهم عن راعي الغنم وهو ينطلق مع غنمه بين المراعي الخضراء في مرح ونشاط ومحبة ، وهي معان يفهمها

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبة أطلس ط ١ ١٩٦٤ ص ٣

(٢) المرجع السابق ص ٤

الأطفال وتتسح لها نفوسهم البريئة العامرة بالخير والمحبة .

٢. نشيد الببغاء

الببغاء الببغا ترطن في كل اللغى
لكنها لا تعلم بأنها لا تفهم

فلا تكن كالببغا

.....

الببغا مقلدة ولا ترى مجددة
تعجم في بيانها والعقل في لسانها
تقول ما قيل لها فلا تكن كالببغا

.....

منقارها محدّب وريشها محبب
أحبسها في غرفتي وذاك من محبتي
تؤنسني في وحشتي الببغا ، الببغا

.....

لسانها ما أطوله وشكلها ما أجمله !
قمرة تحبني وتارة تسبني
تقول ما قيل لها فلا تكن كالببغا (١)

والشاعر يغرس في نفوس الصغار روح الابداع وينفرهم من التقليد ضاربا المثل بالببغاء المشهورة بتقليدها الأعمى . ويعلم أبو سلمى بولع الأطفال بالطيور فتراه يرسم لهم هذه اللوحة للببغاء فيصفها لهم وصفاً جميلا محببا . والعبارات سهلة واضحة والأغنية مما يستسيغ الطلاب انشاده فهي من وزن شطري قصير . وقد اعتمدت على التكرار لابراز الهدف من هذه الأغنية .

٣. يا قطتي

هيا اكتبي ، ... درسك يا ليلى
ثم العبي وقطتي ليلا
وها نرى أن تغضبي
مياو .. مياو .. مياو

.....

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغاني الأطفال - نشر وتوزيع مكتبة أطلس - دمشق - ط ١ ١٩٦٤ ص ٩ - ١٠

يا قطـتي لا تأكلـي عصفورتي
يا قطتي عصفورتي حبوبـــتي
تنشد لي في ملعبي
.....

يا قطـتي انتظري غرســـي
أنا التي أسير للـــدرس
الا ترين كتبي
.....

يا قطتي عندك أمي وأبـي
ولعبـــتي لا تعتبي لا تعتبي
أحسن منك مكتبي (١)
.....

وهو في هذه الأغنية يرشد الأطفال الى القيام بواجباتهم ويحثهـــم على الدرس والجد والاجتهاد موجها خطابه الى ليلى بأسلوب عذب وعبارات محببـة .

ثم يتحدث بلسان ليلى الى القطة طالبا منها ألا تأكل عصفورتها حبيبتهـا وان تنتظر لترى المستقبل الباهر الذى توقعه لها ما دامت تسير في دروســـها سيرا حسنا ، وترجو القطة الا تشعر بالضجر والملل . اذا لم تستطع أن تتصـرف اليها وتلاعبها ، ففي البيت أمها وأبوها وهي تؤثر كتبها على كل شيء .

والأغنية سهلة العبارة ، واضحة المعنى ، تتمثل فيها الحركة . تتصـل بنشاط الأطفال واهتماماتهم داخل المدرسة وخارجها .

٤. العندليب ينادى

العندليب ينادى هذا ربيع بـــلادي
يا مرحبا بالربيع
.....

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - أغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبـة أطلس - دمشق ١٩٦٤ ص ١٢ - ١٤

الزهر من كل لـون والطير في كل غصـن
هذا يتيه بحسـن وذاك يزهو بلحـن
.....
والعندليب ينـادى هذا ربيع بـلادى
يا مرحبا بالربيع
في الأفق أحلى الاغاني في الروض وشي الحنان
وفي الفؤاد الأماني هذا شباب الزمـان
.....
والعندليب ينادى هذا ربيع بـلادى
يا مرحبا بالربيع
العطر في كل وادى والنور فوق البـلاد
ملء الربى والوهاد ومنه نـور فـؤادى
.....
والعندليب ينادى هذا ربيع بـلادى
يا مرحبا بالربيع (١)

ويقبل الربيع بأزهاره الجميلة ، البديعة الألوان . ويعتلي البلبـل أغصان الشجر فيغرد أعذب الأغاني ويعزف أحلى الألحان وتزدهي البساتين فتبـدو بأروع زينتها وزكي عطرهـا ... ويستمر البلبل في صداحه وتغريده ويشـارك في فرحة الربيع وأعياده الجميلة . بهذا الاسلوب الجميل يحاول أبو سـلمى أن يفتح عيون أطفاله على جمال الطبيعة في بلادهم ليتفتحوا على كل جميل ورائع .

ولكي يحب الأطفال لغتهم ، ولكي يحبوا وطنهم ، ويحبوا الزهر والربيـع والحياة فهو يعلمهم الأناشيد الجميلة الحلوة .

٥. نشيد يلبلبلـي

يا بلبلي ! يا بلبلـي مالك لم تغـنّ لـي ؟!

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - أغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبـة أطلس - دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص ١٦ - ١٨

تنام ما بين الزهـر غطاك من نور القمـر
ومن حواليك النسيم يرعى محياك الوسـيم
يا بلبلي يا بلبلي! تعال عندي وانـزل
مالك لم تغن لي ؟ !
مرآتك النهر الضحوك ما مثلها عند الملوك
عطرك أنفاس الزهـور تاهت على كل العطـور
يا بلبلي ! يا بلبلي تعال عندي وانـزل
مالك لم تغن لي ؟ !
انت تغني للربـى وللربيع والصبـا
وصوتك الحلو الجميل يسير من جيل لجيـل
يا بلبلي يا بلبلي! تعال عندي وانـزل
وغن لي ، وغن لي (١)

وهو في هذه الأبيات ينمي عواطف الاطفال السامية ويطلعهم على مفاتـن الطبيعة ويبصرهم بمحاسنها ويجعلهم يشدون مع البلبل متنقلين منه من غصـن الى غصن ومن خميلة الى أخرى ، يغنون مع البلبل للربيع وللصبا ويمتعون عيونهم بالزهور الجميلة الألوان ويستمتعون برائحة الزهور وشذاها العطر ويغنـون ويغنون في مرح وطرب وسرور .

والشاعر هنا يختار اللقطة الموسيقية الموحية التي تحمل ظلالا وألوانـا بعيدة . وهو يختار الصور البصرية الجميلة كي تبقى مع الطفل تشع وتضـيء باستمرار . تأمل في الأبيات : الثاني والثالث ، والخامس والسادس مـن القصيـدة .

لقد أحب أبو سلمى بلاده وهام بها فأعطاها حنايا قلبه وطوايا وجدانـه واستجلى جمالها ، ووقف على روابيها وعلى ضفاف أنهارها ، فلا عجب أن يغـني

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبـة اطلس - دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص ٣٢

لأطفاله هذه الالحان التي تشيد بطبيعة بلاده ويتغنى بهذه المفاتن :

هنا نسيم الربـــى ينقل شـــدو الطيـــور
ياما أحيلى الغنـــا وفي ليالـي الهنـــا
أما ترى الكوكبـــا يقول يا مرحبـــا
هنا نســيم الربـــى
هنا نسيم الربـــى مر بأرض الوطـــن
فكيف اشكو الضنـــى ولا يزول المـــنا
وجاد لي بالنبـــا ينشره طيبـــا
هـذا نســيم الربـــى
فيا نسيم الربـــى لا تخش غـدر الزمـــن
تعال عرج بنـــا واعتنق الموطنـــا
انت رفيق الصبـــا فقل له مرحبـــا

أنا نســيم الربى (١)

أدرك أبو سلمى أنه بالموسيقى ، والحركة والغناء يتفتح الأطفـــال على كل ما هو جميل ورائع ، والكلمة الحلوة التي نضعها على شفتي طفل هـــي أثمن هدية نقدمها له فتراه هنا يقدم لأطفاله صورا من طبيعة بلاده الحلـــوة ليتعلق الطفل بالفن ويرتبط الفن بالحرية وحب الوطن وهذه الصور الجميلـــة التي يقدمها ابو سلمى تفتح عيني الطفل على جمال بلاده .

وفي أنشودة " النهر " يشدو أبو سلمى بهذه الألحان ويرسم بريشته هـــذه اللوحة الجميلة لمعلم من معالم بلاده .

النهـــر

يا أيها النهر الجميـــل كيف تسير بلا ســـمير
انت الذى تشفي الغليـــل ولا تدري
ألا تجر مركـــبي ؟ خذني معك ، فأتبعـــك
الى المكان الطيـــب الى البحـــر (٢)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبـــة اطلس - دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص ٢٦

(٢) المرجع السابق ص ٢٨

تطلّ من أعلى الجبـــل مع القمر ، على البشـــر
وتوحيان بالأمـــــل وبالشـــمر
تنساب ما بين الحقـول تحيي الزرعاء تسقي المرعى
ثم تمر كالخجـــول الى البحـــر

.....

يا أيها النهر الكبير حول الأشجار تغدو الأطيـار
لمائك العذب النمير وللزهـــر
تأوى الى الظل الظليل عند الهجير ثم تطير
مسرعة عند الأصيـــل الى البحـــر

.....

في ضفتيك ذكريـــات عن الأجداد ، عن الأمجـاد
عن العصـور الخاليات عن النصـــر
يا نهر لا تخش المحـن لك الأمان ! من الزمان
ما دمت في أرض الوطـن دومـا تجـــرى (١)

.....

ويروى أبو سلمى للأطفال تاريخ النهر ، لا شك أنه نهر الأردن هذا النهر الجميل ذو التاريخ الحافل بالأمجـاد .

في ضفتيك ذكريـــات عن الأجـداد ، عن الامجاد

لهذا النهر في نفس الشاعر ذكريات جميلة وهو يصفه للاطفال من خـــلال الصور التي تنساب اليه من هذه الذكريات وكأنه في حديثه عن النهر يوحـــي للاطفال بأن هذا النهر الموجود بضفتيه هو رمز للوحدة العربية ... ولكنـــه هنا يستعمل أسلوب الايحاء لا التقرير فيثير في الطفل عامل الاهتمام . والشاعر يقدم هذه الأنشودة لجيل الغد ليضخ في صدورهم ومضة الأمل واشراقة الحياة .

وفي انشودة الولد الأعمى يقدم لنا أبو سلمى وصف صبي أعمى للطبيعـــة من منظار خياله :

يقولون : بأن الشمس زانت قبة الفلـــك
تطيّ بنورها الكـون وتمحو آية الحلـــك
يقولون ! ...

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - اغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبة أطلس - دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص ٢٨

يقولون عبير الزهر أطيب منه ألوانه
ترق العين والقلب نتنأى عنه أحزانه
يقولون بأن البحر مرآة السماوات
وأن النجم كاللؤلؤ يبدو في العشيات
وأن الغاب يستيقظ والوادي مع الفجر
على أغرودة الطير على النور ، على المطر

يقولون ! ...

دعوا الكون وما يحيى به من زهر ومن نجم
فما في الكون من نغم تساوي رؤيتي أمي (١)

لنتأمل كيف كانت هذه الصورة التي يعطيها أبو سلمى عن الصبي الاعمى اكثر جذبا لقلوب الأطفال من الحكم المجردة ، فهو يجسد في أنغامهم المعاني الانسانية والعواطف السامية ويهيء في نفوسهم الصغيرة الى التعاطف مع اخوتهم من بني الانسان الذين فقدوا نعمة البصر .

وفي أنشودة لا أحد يحكي لنا أبو سلمى هذه الحكاية :

لا أحد

شخص يسمى لا أحد كان يطوف في البلد
ويختفي وراءه كل فتاة وولد
من كسر الزجاجا وأطفأ السراجا
هل أنت يا زياد أم أنت يا سعاد
كل يقول ... لا أحد
وان أتى يوم الأحد فأنت ضيعت الرشد
اذ تختفي فاكهة ما مثلها عند أحد
من أخذ المفتاحا وأكل التفاحا
من خطف العنقودا وأنكر العهودا
كل يقول ... لا أحد

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - أغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبة أطلس دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص ٣٦

يا من يسمى لا أحـــد ارحل وغب عن البلـــد
حتى يرى كل امـــرئ ما ضاع منه وافتقـــد
لا أحد ... مسكـــين وما له معـــــين
يظلمه الانســـان وما له لســـان
ولا أحـد ... ولا أحـد (١)

في هذه القصيدة يتوجه أبو سلمى الى الأطفال بنفس الحماسة الـــتي يتوجه بها الى الكبار مخاطبا اياهم بحب ومصورا الوطن وطبيعته الغنيـــة ، حاملا اليهم أفكارا بسيطة ونبيلة تجعل الطفل في قلب وطنـه وطبيعتـه .

لقد كان أبو سلمى سباقا في الالتفات الى القيم التربوية الصحيحة مـن خلال هذه العواطف النبيلة التي يحملها الى الأطفال ليربي فيهم روح المســؤولية ويوجههم الى انكار الذات .

.....

تأمل في هذه اللوحة الجميلة التي يرسمها ويلونها للوحدة العربيـــة ذلك الحلم الجميل الذي يداعب خيال الشاعر فيترجمه الى عواطف حلوة تحمـــل عذوبتها وجمالها الى كل طفل من أطفال بـلاده .

الوحـدة العربيـة

سوريـة :
أنا الفجر منير الكـون قلب العرب سوريـــة
وتاريخي . بطـــولات وأمجاد وحريـــة
العراق :
أنا العراق الأبـــي الفـــارس العربـــي
تاريخ بغداد يـــروى أني المحـــب الوفـي
الأردن :
أنا الشباب الصاعـــد الأردن المجـــاهد
أنا الذي يقـــول : انّ العرب شعب واحـــد

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبة أطلس دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص ٣٨

لبنـان :

النسيم العذب والمـاء ... الذي يعفـي الظليـل
كل ما يفتن عنـدي ... أنـا لبنـان الجميـل

مصـر :

أنـا والنيل كـلانـا ... رمز عـز وحميـة
سائل الأجيال عنّـا ... أنا مصر العربيـة

السودان :

أنا السودان يا صحـب ... وعندي المنبع العـذب
ترابي كله ذهـب ... وأهلي كلهم عـرب (١)

الحجـاز :

أنا الحجاز لي وطـن ... ما أرخص الروح ثمـن
قد علم الناس الهـدى ... وكيف تحطيم الوثـن

اليمـن :

أنصت إليّ أنا سمراء اليمن ... حرة عشت على طول الزمن
أنا أسقي قهوتي كل فتى ... عربي هام في حب الوطن

ليبيـا :

أنا التي تاهت بهـا ... على المدى افريقيـا
فهل عرفتم من أنا ؟! ... أنا فتاة ليبيـا

تونـس :

تونس الخضراء داري ... دار عز وفخـار
في ظلال المجد نحيا ... من صغار وكبـار

الجزائـر :

اني هوى كل ثائـر ... أنا ربوع الجزائـر
وللمروءة يحيـا ... أحرارها والحرائـر

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبة أطلس دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص٦٠ - ٦١

مراكـــش :

أنا بـلاد الحميـــة مراكش العربيـــــة
ولم تزل في سمائـي أعـلام جيش أميـــــة

فلسطين :

أين يا قومي بـــلادى انها عنـــد الأعـــادى
ليس للعرب حيـــــاة وفلسطين تنـــــادى

.....

الوحدة العربيـــة

دعوا كل الذى قلـــتم وجـدّوا اليوم في طلـــبي
فاني الوحدة الكـــبرى سأحميكم من النـــــوب
وعندى راية خفقـــــت سأرفعها على الحقـــب
فقولوا : رايتي عاشـت وعاشـت وحدة العـــــرب (١)

فهو في هذا الحوار الدرامي يؤمن بأن وحدة الأمة العربية قدرها فتراه ينقل هذا الحلم الضخم الذى عاش من أجله ومن أجله عاش الآباء والأجداد وقاتل الشهداء وسقطوا في الطريق الوعر الطويل انه حلم الوحدة العربية الكبرى من الخليج الى المحيط . والشاعر يؤمن بأن الأجيال القادمة هي وحدها القادرة على تحقيق هذا الحلم انه يتوجه الى الأطفال ليحملوا هذه المهمة التي عجز عن حملها آباؤهم .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبة أطلس دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص ٦٢ - ٦٣

حبيبه للأطفال

وأبو سلمى يجيد تصوير براءة الطفولة وأحاسيسها الساذجة . وما أجمل هذه اللوحة التي يصف فيها ولده سعيدا ويعبر عن سعادته بولادته .

يقول عنها الناقد الفلسطيني عارف العزوني [1]: " .... لقد وصل ابو سلمى في أبياته التي وصف فيها ولده الذروة في التضحية والمفاداة ، ورحمة العاطفة المشبوبة وانتزع أنبل ما في العالم الأكبر من أماني الحياة وأضفاه على عالمه الأصغر .... "

انت الهوى يا ولدى ... يا نفحة الزهر الندى
لا تخش من خفوقه ... هذا الغرام الأبدى
نزعت عن دربك أشواك الزمان الانكد
حتى تروح فوق أزهار الربى وتغتدى
يا ليتني أطوى الدجى طي الغمار الأسود
واقيس النور من الصباح حتى تهتدى
يا ليتني ادفن آلام الحياة بيدى
حتى تعيش لا ترى غير النعيم السرمدى
بني أنت من دمي وقطعة من كبدى
أعدت قلبي ناضرا بالعمر المجدد [2]

....

وقد صادف وجود أبي سلمى في طشقند بالاتحاد السوفياتي في شهر تشرين أول ١٩٧٢ أن تلقى برقية تزف اليه خبرا سعيدا هو ولادة حفيده عبدالكريم فتفتحت شاعريته عن قصيدة أهداها الى حفيده الصغير وهي تفيض عاطفة ورقة

---

(١) عارف العزوني - شعراء ثائرون - مجلة الطريق اللبنانية - أيلول ١٩٧٤ العدد التاسع السنة السادسة ص ١٣

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٠

وتصور أدق الأحاسيس وأصدق وأنبل المشاعر الانسانية وهذه بعض أبياتها :

رسالتي لو يستطيع النسيم ... تسليمها الى حبيبي كريم
حمّلتها ما لم يقل شاعر ... أو عاشق من الزمان القديم
أحرفها من نور عيني وفي ... نقاطها خفق فؤادي الكليم
والشوق في أسطرها عاصف ... شوقي الذي يملأ هذا السديم
دمعي وراء الحرف أخفيته ... كي لا ترى فيه عذابي الأليم
وقلت فيها بعد شرح الهوى ... الجرح من بعدك لي في الصميم
جداك خلفتهما في ضيعتي ... يا حسرتا - وهن هم مقيم
ما لهما بعد النوى من أخ ... أو من طبيب أو صديق حميم (٢)

---

(١) في هذا اشارة الى مدى ما يعانيه الشاعر ويكابده في نفسه من بعاد ولده الوحيد عن والديه .

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان أبي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٦٧

شعر الحب والغزل

ان شعر الحب والغزل عند أبي سلمى يؤلف جزءا كبيرا من انتاجه ، ولا عجب في ذلك فهو انسان تفتحت موهبته الشعرية على قصائده الوجدانية وهو دون الخامسة عشرة من العمر ، ومن ناحية أخرى فهو من النموذج الغضبي(١) والعاطفة لهذا النموذج قوية حارة فهم يندفعون الى الحب بحماسة وقوة ، كما أن الحب لديهم يحتفظ دائما بطابع الحيوية التي منها تنبع . وسنلاحظ أن شعر الحب والغزل عنده يتميز بالعاطفة والحنان بل لعله يشبه شعر العذريين الى حد غير قليل ، فهو لا يتعالى على الحب ولا يسمو على الهوى ، بل يخضع لهما وللمحبوبة ، فتراه يخاطب فتاته في مطلع أول قصيدة حب نبض بها قلبه بقوله :

سلمى انظري انحوى فقلبي يخفق لما يشير الي طرفك اطرق (٢)

وهو لا يتصنع الغزل ، ولا يتكلف الحب ، بل يؤمن ايمانا كليا بالحب والهوى ولديه احساس عميق بالجمال ، وحب خاشع له ، ولكن حبه للجمال يكون ركنا رئيسا في حياته ومزاجه ، فقد خلق أبو سلمى مفتونا بالجمال في أى شكل من أشكاله وهو ما زال حتى بعد أن تخطى الستين يأبى الا ان يكون رقيقا عذبا في حديثه عنه .

تسائل كيف عرفت النسيب وممن تعلمت شعر الغزل
تعلمته من شذا وجنتيك اذا ما تفتح زهر الأمل (٣)

والمرأة التي هي مصدر الحياة ، ومنهل الالهام والسعادة ، والوجدان الذى تداعبه المرأة ويهزه الجمال الروحي لا يمكن الا أن ينتج شعرا مؤثرا ، سماته الرقة والعذوبة ولا بدع أن يقول عنه صديقه ابراهيم المازني " وحياة أبي سلمى كلها في دنيا الهوى وقل أن يطل منها ليرى ما في غيرها ، وهبه من دنياه أن تهتف باسمه شفتان مرتجفتان ترددان شعره أو تتغنيان به "(٤)

---

(١) سامي الدروبي - علم الطباع - دار المعارف - القاهرة - ط ١ ١٩٦٠ ص ١٣٦

(٢) نقل هذا البيت عن ناظمه - عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى

(٣) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادى - دمشق - ط ١ ١٩٥٩ ص ٦٥-٦٦

(٤) ابراهيم عبدالقادر المازني - ابو سلمى - جريدة فلسطين - عدد ٢٢٧ - ٢٤ تشرين الثاني ١٩٣٥

ولعلّ في هذين البيتين خير دليل على صحة تحليل المازني لمفهوم الحب عند أبي سلمى :

لولا هوانا لم يبح بالشذا ... ولا غدا طيب على مفرق
لولا هوانا لم تحف الربى ... والمرج لم يزهر ولم يعبق (١)

ففيهما نظرة اجلال وتقدير ، نظرة انسان يعرف ما للحب والهوى من تأثير وسحر على قلبه ونفسه لا يعادله اى سحر أو تأثير آخر .

أما مسار الغزل في شعر أبي سلمى فيأخذ اتجاهين اثنين :

١) غزل وجداني ذو ملامح عذرية من حيث طريقة مخاطبة المحبوب وخلع الصفات عليه ، فالشعراء العذريون ما يكادون يذكرون المحبوبة حتى يتنقلوا الى وصف وجدهم وبث شكواهم من الوعود الكثيرة التي لا تقضى وهم برغم المطال الذى يصيبهم يظلون على عفتهم وصدق لوعتهم .

فقد قام هذا الغزل عندهم على صدق العاطفة وتحمل الالام والوفاء الذى يرافق العمر ، بل تعداه الى ما بعده . وتبدو هذه الملامح واضحة بشكل تقريبي في شعر الغزل والحب الذى قاله في عنفوان شبابه .

٢) غزل يمزج بين حبه لفتاته وحبه لوطنه .

وفي تصورى أن ما يظهر عنده من غزل حسي قليل نسبيا لا يتجاوز الحدود ولا يتعدى الأخلاق ، على أن هذه النظرة الحسية القليلة قد واكبتها نظرة السمو المرأة الملهمة لاروع الشعر وأعذب قصائد الغزل والنسيب .

تأمل في قوله :

من مقلتيك الشعر رويته ... لولاهما والحب لم أنشد
فكيف لا تطوى دروب الهوى ... جنبا لجنب ويدا في يد
تضيء في قلبي المنى انجما ... أهدى المحبين ولا أهتدى
ما انا يقول الناس عني غدا ... أحب عينيك ولم يسعدا (٢)

وأبو سلمى وفي لحبه ، يسكب قطرات أنفاسه على ذكراه لتظل ندية العود ، باسقة الجنى ، وشعره هو حسه وشعوره ، وهو ملء أنفاسه ودمه ، وهيهات

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادى - دمشق - ط ١ ١٩٥٩ ص ٢٥ - ٢٨

(٢) المرجع السابق ص ٣٨ - ٣٩

للمحب المتيم أن ينسى هوى الحبيب ! ..

ثريا .. هل بقايا الشوق في عينيك أم أكثر
سنى قلبك في عينيك هل هذا الذى يظهر
على شفتيك أشعاري فما أحلى وما أنضر
على الغمازة الحلوة أسرار الهوى تنشر
حفرت الحب في شعرى وعينيك لم تزل أسحر
سينسى القلب كل هوى ولا ينسى هوى الأسمر (١)

وفي هذا النص اشارة الى حب الشاعر العاطف وغيرته الشديدة وتلمح جو التقديس للحبيبة الى درجة العبادة فهو يقدر جمال المرأة جسما وروحا .

يثار من ردائها قلبي ومن وشاحها
من النجوم ترتمي ليلا على جناحها
يثار من كتابها يزهو على مصباحها
على سنى العينين تطويه ، وفوق راحها
من الصباح يسرق الضياء من مباحها
يحمل من أنفاسها طيبا على اقداحها
يثار من أزرارها يكبح من جماحها
يثار من كلامها معطرا براحها
من عقدها ينعم بالعناق في أمراحها
من الطريق عندما تختال في رواحها
يا قلب قل لي كيف تنجو ، اليوم من سلاحها
وهي اذا ما أذنبت تطمح في سماحها (٢)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادى - قصيدة هوى الاسمر - دمشق - ط ١ ١٩٥٩ ص ٤٧ - ٤٩

(٢) المرجع السابق ص ٥٠ - ٥٣

ومن قصائده التي عبر فيها عن ليالي العذاب والتبريح ، قصيدة ليلة على الشاطئ وفي تيار هذا الحب الشقي المعذب ومن متابعتنا لأحداث هذه الليلة يبرز أمامنا ايمانه بالحب الذي هو عنده روح ذلك الوجود .

قلبي عليك وان أطلت عذابي ... وهواى أنت وان أطرت صوابي
وغناء أحلامي ولحن مدامعي ... وقف وان لم تسعفي بجواب
ومع الهوى فوق الرمال بكيته ... ونثرت بين يديك زهر شبابي
أتكون ما بيني وبينك خطوة ... عجلى ولا أقوى وأشرح ما بي

.....

يا ليلة ظل الرقيب بها وقد ... خفقت ذوائبها على الاهداب
يسرى النسيم مضمخا أردانه ... بالحب مرتميا على الاعتاب
متعطرا بالطل عند رحابها ... متعثرا بالدمع عند رحاب
وترى النجوم مطلة وعيونها ... خوف الفراق ندية الأهداب
والبدر محزون يحقق حزنها ... فيميل مختفيا وراء سحاب
وقفت على صدر الرمال كأنها ... خلق الصباح مزمل بثياب
يا رمل كنت من التراب وحينما ... وقفت عليك غدوت غير تراب
ورأت عباب البحر يشكو حبها ... فرمته من آمالها بعباب
يا بحر لا ترسل أنينك انها ... فعلت بنا ما لم يكن بحساب
هوّن عليك فلست أول عاشق ... بث الهوى وشكا الى الأحباب (١)

وفي الأبيات التالية يصور الشاعر تجربة حبه تصويرا يشخص الطبيعة ويأخذ حديثه شكل حوار بين الحبيب والحبيبة .

تسألني ... لم استحى الزنبق ... كأنها لم تدر من يعشق
مرت فلا الورد علىّ ولا ... بلبله أو غصنه المورق
والنهر الضاحك ... يا ليتنا ... يحملنا على المدى الزورق (٢)

---

(١) قصيدة ليلة على الشاطئ نقلت عن اوراق ناظمها
(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - دمشق - الطبعة الثانية ١٩٦٢ ص ٥١

ومن قصائده التي عبر فيها عن ايمانه بما للحب من دور في اشاعة الحرف واشاعة الطموح يقول :

لا تسألي كيف تضيء أحرفي ... صورتك التي تضيء احرفي
تقيم في قلبي ويجلوها الهوى ... تظهر في عيني وحيدا تختفي
وأنت ! ..أني سرت في الدنيا معي ... في الدرب والروضة والمنعطف
عند الصباح ضاحكا ، أنت معي ... وفي الدجى بين خفايا السدف
سلتقي أنا وأنت والهوى ... مع الأريج عند كل موقف

.....

انا حلا شعري فمنك سحره ... وطيبه منك ألما تعرفي
ذاك لماك وانثنى وقال يا ... بؤس الذي وعدته ولم تف
يا شاعري ان لم تذق خمر الهوى ... فمل الى تلك العيون وارشف (١)

وكما ارتبط الحب عنده بالعذاب والغنى ارتبط بالجنون فهو يستطيب جنون الصبا بما يحمله من ذكريات الحب العذبة وأيامه الحلوة وليالية الجميلة. تأمل قوله :

هل تذكرين السفح والمنحنى ... وموكب النور وعرس المنى
يوم زففنا الحب ما بيننا
وكانت الدنيا تغني لنا ... جن جنون القلب لما صبا
لله ما أحلى جنون الصبا
كنت تنيرين ليالي الغنى ... وحسك الريان غالي الجنى
يملأ قلبي وعيني سنى
ويعثر الحب هنا أو هنا ... يتبع الكوكب فالكوكبا
لله ما أحلى جنون الصبا
وحق عينيك ومالي غنى ... هما اللتان وعتا الأزمنا
أنت التي زينت هذي الدنى

---

(١) عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - قصيدة صورتها - مجلة المعرفة الدمشقية - كانون اول ١٩٦٥ ص٥٩

تعلمين الطير طو الفـــنى وتنشرين الزهر فوق الربـــا
لله ما أحلى جنـــون الصبا (١)

وترى أبا سلمى يهيم بالمعاني الوجدانية في الحب فتراه يستطيب الصـــد والهجران على قناعة ورضى كما في قصيدة " طائف الشوق " :

ليتني كنت جارها فأرى الصبـــح على دارها الحبيبة أشـــرق
كل يوم تقول لي : يا صباح الخير .. أشهى من النبيذ المعتـــق
وتضيء المدى أشعة عينيهـــا ولم يبق في المدى السر مغلق
فالقلوب انحنت على النور نشوى كل قلب على شعاع معلـــق
أموى الهوى فمن رام أن يخلد في الحب والحياة تعمـــق
.....
أنا يا جارتي وقلبي رفيقـــان فكوني بصاحبي أنت أرفـــق
لن يضل الطريق والشوق يهديـــه وفيه النجوم تطفو وتشـــرق
أنت أغلى من في الوجود على قلبي وأغلى القلوب قلب تعمـــق
هل جزاء الذي يحبك أن يحيـــا على جرحه وبالنار يحـــرق
فوق العينين اني كما شئـــت ولولاهما لم أعلـــــق
ليتنا والهوى نطوف البحار السبع عبر الزمان والموج زوبع (٢)

ولا بد للعاشق الذي رماه الزمان بالعقوق والجور وهجرة الحبيب من أن يشكو الضنى والعذاب :

ألا تقول العين لي مرحبـــا حق لهذا القلب أن يتعبـــا
جرت مع الدهر لا ذنب لـــي الا هوى قلبي فهل أذنبـــا
أطوف حول الدار علّي أرى طيف سنى أو المح الكوكبـــا
فلا أرى الا خيال الهـــوى ينشره معي هوى ملهبـــا
يا من أناجي قلبها - هل لها أن تذكر الأحـــلام والملعبـــا

---

(١) صحيفة الدفاع اليافية ٣ آب ١٩٤٢ العدد ٢٢٠٥
(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المعهد - الطبعة الثانية ١٩٦٣ - دمشق ص ١٣٠ - ١٣٣

وأن تزور الدار بعد النـــوى ... تسبق ركب الشوق والموكبـــا
فيلتقي القلبان في ظلهـــا ... ما أعذب الحب .. إذا عذبـــا
ولا نبالي بعد ذاك اللقـــا ... أشرق العالم أم غربـــا

ما انا جنى قلبي وقلبي الـذى ... حدث بالغنج نسيم الربـــا
في كل زهر من هواك الشـــذا ... وكل نجم عنك يروى نبـــا
كيف ارتوت من شفتيك المـنى ... والسحر في عينيك كيف اختبـا
الصبح هل يحشر الا علـــى ... ثربك ان طاف معـي معجبـــا

وهل يطيب الليل الاّ اذا ... جلوت في شعرى الهوى والصبـا
بحق عينيك كفاني ضـــنى ... رأيت من حبك ما شيبـــا
حبك يسرى لهبا في دمـــي ... ولا تقول العين لي مرحبـــا ! (١)

ان الحب عنده روح ذلك الوجود وهو السر الأعظم للشعر والغناء :

على شعاع الصباح أسـرى ... مجنحا بالهـوى وشـــعرى
حينما أرى موكب الأمانـــي ... يحمل أنفاس كل فجـــــر
تقول هذا الدجى ثقيـــل ... ما باله عالقا بشـــــعرى
هام فخار النسيم منـــه ... وراح يبدى السرور مطـــرى

وكلما سرت في طريـــق ... تعلق النجم فوق صـــدرى
أنا التي افتن الليالـي ... أنشر فوق الدروب ســـحرى
يا شدة حومت عليهـــا ... خواطر الورد .. اين شعـــرى ؟
ترويين شعر الهوى وتسروى ... عيناك للقلب لســـت أسرى
لا تسأليني لمن أغـــني ... ففي الأغاني دمعي وســـرى (٢)

وتهمز أعماق الشاعر نظرات صناع فيصف كيف سيطر عشقها على مشاعره ، واستولى على جوانحه بحيث لم تخطر له خاطرة الا كانت في هواها ، والتي لولاها لما عرف نعيم الدنيا وأحلامها ولما كان لأشعاره وغنائه أى معنى .

عيناك أم عالم أسـرار ... وأنت أم جنـة أزهـــار
الياسمين الغض يهدى الشذا ... يا جارتي ! هذا هو الجـــار

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادى - دمشق - ط ١ ١٩٥٩ ص ١٦-١٩

(٢) المرجع السابق - ص ٦ - ٧

يا من تناجي بأغاني الهوى ... طهرني حبك بالنار
أغار من هذا النسيم الذي ... عاد بأطياب وآثار
قبل سحرا عطرته « المنى ... وراح لا يدري بأخباري
والليل جنّ الليل لما رأى ... أجمل ما أبدعه الباري
والقمر الساري يشب السنى ... فمنك نور القمر الساري
لولاك .. ما الدنيا وأحلامها ... لولاك .. ما دمعي وأشعاري (١)

وفي العشرين من عمره تهزّ أعطافه نظرات حسناء بيتلحمية تدعى « لبيبة » التقى بها في احتفالات عيد الصعود ووقع في هواها ووصف ابو سلمى حسنها فيقول :

عيد الصعود ألا حييت يا عيد ... لقد حلا فيك تعذيب وتسهيد
ما هزني العيد والأعياد مقبلة ... لولا « لبيبة » يا عزال ما العيد ؟!
سارت الى جبل الزيتون نافرة ... فسرت تقتادني العينان والجيد !
تميس بين الحذاري الفاتنات كما ... يروم غانية الآمال مفؤود !
لما تراءت على الطور ارتمى صعقا ... من هام طلعتها والقلب معمود !
قالت جموعهم : هذا الملاك هوى ... من السماء فتقديس وتمجيد !
واسترسلت نسمات السفح عابثة ... بشعرها هفها في العصر تجعيد !
هذي النسيمات بالأنّات مفعمة ... من خافقي .. طال بالأنّات ترديد
هل عطفت عليه كي يفيض سنى ؟ ... أم هل فؤادك يا حسناء جلمود ؟ !
لولا عيالك فيها يا « لبيبة » لا ... تكوى وعينيك حتى يبصر العود
وحين غنيت في روض الغرام ... عدت حمائم الأيك .. أحيتها الأغاريد !
يا منيتي .. طرقك الوسنان برح بي ... وشرّد اللب في العينين توريد !(٢)

ويتضح في هذه القصيدة أثر ثقافته العربية في محاكاته لدالية المتنبي ، كما أنه استعمل نفس الوزن والقافية حيث جاءت كلا القصيدتين على البحر البسيط بل فقد استعار ابو سلمى القاموس اللغوي للمتنبي مثل استعماله كلمات :

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادي - دمشق ط ١ ١٩٥٩ ص ٤٥ - ٤٦

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - صحيفة الشعب البيتلحمية - العدد ٥٤٢ بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٢٩ .

فلعل أبا سلمى لم يشأ أن يبوح باسمها الحقيقي فاستعار لها اسما آخر شأنه شأن غيره من الشعراء الذين يؤثرون في بعض الأحيان اخفاء الأسماء الحقيقية لمحبوباتهم واستعارة أسماء أخرى بديلة خشية التشهير بالمحبوبة .

وقد تغنى أبو سلمى بذات الخال في كثير من قصائده ومن قوله فيها :

أيها الخاطئ ما هذا الأنين ... وأنا عيد الأسى فوق الرمال
وعلى اليمنى يقام الياسمين ... وعلى صدرك حسناء الشمال
وانا أخفت فأطياف الغرام ... ترتمي خائمة حول الفم
تحرس الخال انا جن الظلام ... وحوالي الخال دمعي ودمي (١)

أيها الخال أجب رد السلام

.....

ويقول في قصيدة أخرى :

نسمات الخاطئ الباكي الصبي ... من ذات الخال من قبل القبلات
داعبي الشعر ولا تخطربي ... انما الشعر حبيب النسمات (٢)

الى أن يقول :

اخلعي لا تلبسي سود الثياب ... وانسجي ثوبك من نور القمر
ما حياة الناس الا كالسراب ... فاخطري فوق الأماني والزمر

انما العالم قلب وثبات (٣)

وهو حين يصف ذات الخال يستوحي كثيرا من تشبيهاته من مظاهر الطبيعة ، فيقول في قصيدته " ما لبنان لولاها " خلال فترة وجودهما في لبنان لقضاء شهر العسل :

دنيا الهوى والأماني كيف أنساها ... والحسن أبدعها والشعر رعاها
في جوها نفس الحسناء منتشر ... وافقها فيه لو تدرون سيماها
لا تذكروا لي دنيا وانكم فأنا ... لا يستطيب فؤادي غير دنياها
دنيا التي لو مشت في القفر لاتبطت ... فيه الظلال وصار الآل أمواها

---

(١) عصام العباسي - ليال من أوراق أبي سلمى - جريدة الاتحاد - حيفا ٣٠ نيسان ١٩٧٤

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق

لما أطلت على لبنان ماج لها ... حنا على قدميها ثم حياما
فأكسبته فدونا من ملاحتها ... وزودته جمالا من محياها
فلا يفرك سحر بات يضمره ... ما سحره غير ما أعطته عيناها
وهل شذى الزهر في ارجائه عبق ... الا سوى نفحة من طيب ريّاها
غنى لها شجر الوادي وهن لها ... لما ترامت له واهتز عطفاها
وتاه عجبا نسيم الصبح منتشيا ... لولاه مر بذات الخال ما تاها
ونضّر السفح أزهارا وزينها ... بالطلّ حين دنا منها وناداها
وصفقت في الذرى الأطيار حين رأت ... حمامة الخاطي الغربي ترعاها
لبنان تاه على دار النعيم بها ... ما جنة الخلد ما لبنان لولاها (١)

وهو يمزج بين حبيبته والطبيعة فيختار لها أجمل المناظر ليزين بها لوحة حبه :

الزهر لا يرسل أنفاسه ... حتى تحييه فتاة الجمال
والياسمين الغض يا ويحه ... مال على شباكها واستطال
يريد أن يسرق من طيبها ... يا سارق الطيب حذار الوبال
والقلب قلبي لم ينم لحظة ... وقلبها في نومه لا يزال
قومي أطلي فالورى باهت ... بنظرة النور ويرجو الزوال (٢)

وفي الابيات التالية نلمح سعة خياله حيث يدمج الطبيعة بالحبيبة اندماج الجزء بالكل ومثل هذه الصور كثيرة في غزله بذات الخال :

نحن في لبنان

علّمت عيناك قلبي الخفقان ... فغذى لي منهما اليوم الأمان

نحن في لبنان

أرضه مفروشة بالأمل ... وسماه ازينت بالقبل
ما هنا مهوى الحيون الذبل ... وهنا اغنية من بلبل

---

(١) نقلت عن ناظمها - عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى

(٢) ذو الخال - قصيدة نسيم الجمال - جريدة فلسطين - ١٩٣٥/٦/٣٠

وهنا يهمس زهر الجبـــــل أين من يهدى الى القلب الجلي
الهوى حـــيران

انثوى الأحلام نثر الزهـــر ولنمش في جو حب عطـــــر
واسألي عني نسيم البحـــر فهو لا يعرف الاغـــــبرى
خبرَ الولهـــان

هل ترين النجم لا تنفو عيونه فهو مثلي تصدع الليل هـــجونه
جن حتى دب في القلب جنونـــه والتقى فيه افتتاني وفتونـــه
فقطعنا لك عهدا لا نخونـــه سائلي النجم تجاوبك جفونـــه

والأماني تنتشـــي من شفتيـــك
عاف شعري وروى عن مقلتيـــك
واخطري في روضة لهفي عليـــك
تخلـد الأوطـان
وارحمي ما لي في الحب يـــدان
نحن في دار الهوى دار الأمـــان
نحـن في لبنـــان (١)

ومن قصائده التي تعبر عن أيامه السعيدة مع هذه الحبيبة والتي يتمنى فيها أن يكون هو ومحبوبته طائرين أو زهرتين نديتين أو طفلين بما يـــــوحي أن مفهوم الحب الذى يتجه اليه هنا هو مفهوم روحي لا حسي وأن حب الجمال لديـــه هو حب الحياة ، فجاء غزله فيها أقرب الى المفهوم العذرى.

يا ليتنا طـــيران لا ندرى بأســـرار النجـــوم
نشدو بألحان الهـــوى في السهل والجبل الشمـــيم
ونطير في جو السعادة والمنى بين الغيـــــوم
وننام في ظل الاكـــام وفي حمى الليل البهـــيم
أو زهرتان نديتـــان على فـم الوادى الكريـــم
لنطو الأفق الغلـــي موى وأردان الســـديم

.....

(١) نقلت عن اوراق ناظمها - عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى

يا ليتنا طفلان عند الشاطئ الباكي اليتيم
نغفو على صدر الرمال كحبتي عقد نظيم
وأفيق أهتف باسمها من كل شيطان رجيم
وأرى جمال الكائنات على محياها الوسيم
يا ليتنا نأوي الى دار الهوى بين الكروم
نمضي فترتقص البطاح وينثني عطف الأديم (١)

لقد استحوذت ربة الخال على قلب الشاعر ، وملكت عليه حواسه ، فلم يكتف بالشعر للتعبير عن حبه ، بل تعداه الى ذكرها في مقالاته التي كان ينشرها في الثلاثينات في صفحة أدب في جريدة فلسطين ، حيث كان يشاركه تحريرها ابراهيم طوقان وفيها يقول :

« ألا يفتنك هذا الخال الذي يطل من صفحة الخد ؟ ألا يطير لبك انا رأيت خالا نائما في جانب الثغر تحت الغمازة ؟ ألا يضج قلبك بالخفقان انا اعترضك خال فوق المبسم أو تحت الشفة ؟ » .

ثم يحدثنا بعد ذلك عن مغنية حسناء اشتهرت بذات الخال اسمها غنث (٢) كانت تغني في عصر الرشيد ... وما قال فيها المغنون والشعراء (٣) .

والاتجاه الثاني في غزل ابي سلمى يتمثل في المزج بين عاطفة حبه لفتاته وحبه لوطنه وهو كما يقول الدكتور السوافيري فارس هذا الميدان وبطله بلا مدافع (٤) ففي الأبيات التالية يمزج غزله الحزين بوطنيته الصادقة ، فيفيض باللوعة والحنين والشوق الى الديار :

هل تذكرين الموج والمنحنى وموكب النور وعرس المنى
وأنت في الغوطة دنيا شذا تعطرين الورد والياسمينا

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة فلسطين العدد ٢٢١٥ (٢٩ آذار ١٩٣٦)

(٢) غنث وتعرف بذات الخال ، هي احدى الثلاث الجواري اللواتي كان الرشيد يهواهن ويقول الشعر فيهن ، وهن سحر وضياء وغنث (أبو الفرج الأصبهاني - الأغاني - دار الثقافة - بيروت ١٩٥٩ - ص ٢٦٨ .

(٣) عصام عباسي - ليال مع أوراق أبي سلمى - جريدة الاتحاد - حيفا ٣٠ نيسان ١٩٧٤

(٤) كامل السوافيري - اتجاهات الشعر الفلسطيني المعاصر - ط ١ - القاهرة ١٩٧٣ ص ١٤٥ .

وشاحها منك وأنفاسها ... آثار ريّاك ومنك السنى
وسحرها عيناك أدرى به ... ووشيها طيفك قد لونا
مررت بالغوطة فازينت ... ودرّيها والسفح فازينا
ألا ترين النهر كيف انثنى ... والغصن فوق النهر كيف انحنى
وتهمس الأزهار عند اللقا ... كأنها تعرف ما بيننا
الجنة الغراء ما شادها ... هذا الربيع الطلق الالقا
يا ليتنا طيران خلف الربى ... نعلم الأطيار سر الغنا
يا ليتنا نجمان في أفقها ... نضيء للأحباب كل الدنى
وكيف أنساك وانت التي ... احببت فيك الشعب والموطنا (١)

.....

ولا عجب في أن تكون قصائد أبي سلمى غزلية وطنية وأن تثور لواعج الحنين في نفسه الى حبيبته وصباه ووطنه . ويقول الدكتور ناصر الدين الأسد عن هذه الخاصية في شعر أبي سلمى : " ان كل ما يذكره به يذكره بها وكل جمال فيها جمال فيه (٢)... " فالحب هنا يتخذ مظهرا وطنيا ولعل شعراء الأرض المحتلة قد تلقوا هذه الطريقة في التعبير عن أبي سلمى ثم نهجوا بها كل مذهب ، فكان بذلك رائدا في هذا المجال .....

لنتأمل هذا المظهر التعبيري في الأبيات التالية :

قالت ألا فلتقي على الطرق ... ونهتدي بالضياء والعبق
أنى تهاديت فالمبير معي ... وألف نجم يضيء في أفقي
فقلت لا تغثري النجوم على ... مفترق الدرب أي مفترق
لا تغثري الطيب فوق كل ثرى ... لم يصطبح بالهوى ويغتبق
سيري الى سفح ربوة عبقت ... بالحب عند اللقاء في الغسق

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - أغنيات بلادي - دمشق - الطبعة الاولى ١٩٥٩ ص ٢٢ - ٢٤

(٢) ناصر الدين الأسد - الشعر في فلسطين والأردن - معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٢٧

تضحك عيناك في جوانبـــه ... فينجلي عن سنى وعن ألـــق
الياسمين الظليل يحرسنا ... من ألسن الماذلين والحـــدق
يفار من حبه النسيم اذا ... عادت بريّا ونسمة الســـورق
تقرأ ما في العيون من لمح ... ما ذا وراء القلوب من حـــرق
يسمعك القلب اغنيات هوى ... لولاك لم يبق من رمـــــق
يروى لعينيك عند خفقتـــه ... تاريخ حبي والدمع والأرق
العمر مثل الربيع في وطني ... لا تقطعيه بالهجـــر والحنـــق
هواك في نمتي وفي عنقـــي ... ونلتقي .. هكذا .. على الطرق (١)

أما قصيدته " درب الهوى " فيبدأها بالغزل والتشبيب بصاحبته وينتهـــي الى الحنين الى مرابع بلاده فيقول :

الورد قد لونه حبنـــا ... لولا هذا خديك لم يعشـــق
سنلتقي ما فوق أرض الحمى ... ننشر من أنفاسنا ما بقـــي
في الكرمل المحزون بعد الثوى ... على رمال الشاطئ الأزرق
لقد غدونا نغمـا شـــاردا ... فيه طيوف العالم الموثـــق
قلبي يغني لك في خفقـــه ... لولا هوى عينيك لم يخفـــق
لا تسألي .. كيف وأين اللقا ... غدا على درب الهوى نلتقـــي (٢)

وفي قصيدته " الأفق المعطر " تراه ينسج الغزل بحبيبته من نفحات المســك والعنبر ، ومن موكب الياسمين ، ونغم البلبل ، ثم لا يلبث حتى يتسلل موطنـــه الى الغزل بالحبيبة فتراه يسألها :

جارتي ! .. كم أغار من قبل الصبح ... ومن خفقة الشعاع المحـــير
هل سرقت الفتون من قسمـــات ... القدس أو فجرها الحبيب الأشقر
لست أدري ؟! هل جملتك بـــلادي ... أم تمثلت أنت في كل منظـــر

وتنتهي بنا نجوى الفؤاد الى الحديث عن الوطن :

وطني ! .. يا ضحية الظلم مالـي ... لا ألاقي غير الجبين المعفـــر

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - اغنيات بلادى - دمشق - ط ١ ١٩٥٩ ص ١٩ - ٢١
(٢) المرجع السابق ص ٢٥ - ٢٨

من يواسي جرح الزمان اذا كـان المواسي في الحي طاعن خنجـر
أيها الظالم الذي دنس التاريـخ هلا من ثورة الغضب تحـذر
ثورة تجعل الطغاة رمـادا وتذيب القيود فيها وتصهـر(١)

أما قصيدة " ابنة بلادي " يغني الشاعر فيها بلاده في غنائه ابنـة بلاده فيقـول :

ابن الشنا والعلم المزهـر أهكذا حبك يا أسـمر
أهكذا تذوى ازاهيرنـا وكان منها المسك والعنبر
الشفة الحلوة ما بالهـا تحمل لي الخمر ولا تسكر !
والعين ، .. لا تبسم عند اللقا السحر في العين ولا تسحر
أعمارنا كانت توشي الدنى والليل ، من أهوائنا مقمر
تطير من نجم الى نجمـة يلفنا وشاحك الأصفـر
فمن شعاع الشمس اهدابـه تغفو ، من اشعاعه الأعصر
كيف الهوى يمضي كعمر الندى وفي بلادي مرجه الأخضر (٢)

وهو حين يخاطب حبيبته ويتغنى بجمالها وفتنة أوصافها ، وما يعتمل في ذاته من لوعة ومرارة ، فانه بذلك لم يكن منفصلا عن الأرض التي ترعرع فيها والأرض التي احتضنت صباه وكانت مرتع أحلامه ، بل انه في هذا وذاك كان موجزا ليمكن أن تستل جزءا منه دون الآخر .

ها هو يناجي فلسطين في شخص محبوبته في اغنية صاغتها تراتيل العابد المسبح وأنفاس العاشق المتيم .

أخت النجوم ، دعي الذرى وتفي بين المروج وردي نغمتي
غني الصباح على ملاعبنـا والقمة الجرداء في صممي
قولي وهل يأتي الربيع انا لم تدعه شفتاك من أمـم

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الممزق - الطبعة الاولى - دمشق ١٩٦٢ ص ١٧ - ١٩

(٢) المرجع السابق ص ٤٨ - ٤٩

هل تنتشي دنيا القلوب انا لم يزدهر أمل على ألم
هل تضحك العينان دون لقا في عالم بالشوق مضطرم
طوفي معي في كل خاطرة وتفتحي فجرا على حلمي
يا جارتي !.. يقف الزمان انا ما ضمنا ليل فما لغم
يا جارتي !.. عودي الي فمن حق الجوار رعاية الذمم
أنا في الحياة مشرد أبدا والليل طال علي فابتسمي (١)

وهو اذ يلجأ الى الحديث عن حبيبته ويصف لنا جمالها ومفاتنها ، فانه يرى ذلك من خلال مرآة الأرض التي رأى فيها كل دواعي البهجة ونقاء الطفولة. لذلك نرى أوصافه مزيجا اقترن بذاكرته ووجدانه من مراتع الصبا ، وما تبعثه في نفس العاشق المتيم فتنة الحبيبة وجمالها الأخاذ .

يقول ابو سلمى في قصيدة

أطل الفجر من عينيك ما أروعها طلّة
أرى فيها خيال الله والكرمل والرملة
وموج العاطفة الغربي في عكا أرى ظلّة
أرى في أفقها وطني فأطبعه على قبلة
لقد حملت لي العينان ما لم أستطع حملة
.....
على شفتيك يا سمراء أعبار وأسرار
وكيف ؟! ... ونحن في العالم يا سمراء أشحار
عليها من لظى التشريد والأدمع آثار
وقد كانت لنا دنيا وكان المجد والفار
ونحن اليوم لا وطن ولا أمل ولا دار (٢)

والغناء العاطفي هو الموجة الاولى في شعر أبي سلمى ولولا أن النكبة وما سبقها من ثورات وهبات وما تلاها من فواجع ومحن طلت تلاحقه لما كان

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادي - دمشق - ط ١ ١٩٥٩ ص ٣٣ - ٣٥

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - دمشق - ط ٢ ١٩٦٣ ص ٦٤ - ٦٥

أبو سلمى الاشاعر الوردة العطرة والنظرة الساحرة والعفة الربّا ، هكذا نجد في قصيدة سحر بلادى صدق العاطفة تتبدى في تغزله بجمال بلاده وسحرها الفتان الذى ملأ نفسه بالعشق فأخذ يناجيها قائلا :

سحر بلادى والهوى .. أنت ... والشعر ، أحلى الشعر ما قلت
يشدو الشاعر حسن الدنى ... وأنت ! .. دنيا الشعر .. علمت
أنى تلفت فثم الهوى ... جار الهوى ، لما تلفت
باح لي الورد بأسراره ... وقال لي .. انت التي بحت
أنفاسك الربا سرت فانتشت ... ومال تيها كيفما ملت
كيف أعد الصبح قد مرّ بي ؟! ... لا صبح لي الا انا لحت
لا يحمل الدور انا لم يقل ... في كل يوم كيف أصبحت
عيناك في قلبي أغانيهما ... يردد الآهات في صمت
أضاء لي حبك آفاقه ... فيه من الأنجم ما شئت
ربيع قلبي وبلادى ، انا ... لم تزرعي الأشواق .. لا يأتي (١)

وهكذا امتزجت الحبيبة ببلاده فلا تكاد تميز بينهما ولنستمع الى هذه الأبيات أيضا :

أهواك في اغنية حرة ... يخفق فيها الناى والمزمر
في طلة الفجر على المنحنى ... يهفو اليه الكرم والبيدر
في النهر الضاحك بين الربى ... تحسده على الهوى الأنهر
في الشاطيء الغربي تغفو على ... الحانه الأمواج والأبحر
في نغم البلبل يغدو على ... صنوبر السفح ولا يهجر
في عبق الورد وفي لونه ... يزفه وادى الحمى الأطهر
في موكب النصر وفي رايه ... على ذرى تاريخنا تخطر
وفي أماني أمتي تنتشي ... فيها المروءات وتستكبر
أهواك في شعبي وفي مولدي ... فأنت لا أحلى ولا أنضر

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - المعهد - دمشق ط ٢ ١٩٦٣ ص ١٣٠

هكذا يعلن عاشق فلسطين حبه لوطنه كما أعلن حرب الكلمة من أجله وهذا الاعلان يأتي منسجما مع العالم الشعري لأبي سلمى فقد كان شعره عبر أصواته المختلفة يتواصل مع كل شرائح الواقع الفلسطيني .

الخصائص الفنية في شعره

الأسلوب:

تعني بكلمة الأسلوب منحى الكاتب العام ، وطريقته في التفكير والتأليف والتعبير والاحساس على السواء ، وليس طريقة الاداء اللفوى فحسب ، وهناك تصدق كلمة " بوفون " (١) في دقتها وروعتها " الأسلوب هو الرجل " والتحديد شخصية الأديب لا بد أن يتسم أسلوبه بسمة خاصة ، ولهذا " يعد تمييز الأساليب تحديدا للخصائص النفسية والاجتماعية والجمالية لكل كاتب ، فضلا عن أسلوب تعبيره اللفوى " (٢) والحقيقة أن هناك بعض العناصر في الشخصية لها أثر كبير وواضح في أسلوب الأديب ، كالطبع وأثر البيئة والثقافة والتربية (٣)..." وأسلوب الكاتب يمزج عادة بين مادة الفكر ومادة الاحساس... والكتابة الجيدة هي ما يمر فيها الفكر بالاحساس ، والاحساس بالفكر ، حتى يصح أن يقال ان الكاتب الجيد يفكر بقلبه ويحس بعقله " (٤) .

عاش أبو سلمى في المصمان ، وكتب وسط الاعمار ، كان مع شعبه ، عاش معه وانغمس في كفاحه ، لم يكن متفرجا ولا عابثا ، بل كان محبا ، التزم بالارض وبالشعب ، عشق الكرمل والبحر ، وتوله بالجمال ، جمال فلسطين وكل جماله ولهذا غنى أبو سلمى للارض والشعب والجمال ، غناء المحب العاشق والتزم بالشعب والقضية واتخذ هذا كله عند أبي سلمى منحنى واضحا ، انه التمسك بلغة عربية واضحة وسليمة ، فيها التراث كله ، ولكنها ليست مقعرة ولا غريبة ، ولا خارج العصر ، انها لغة تمتد في التراث بعيدا ، ولكنها ليست قاموسا ، انها اللغة التي تعبر عن حب راهن ، ومعاناة فعلية ، وهكذا تتجدد اللغة بقدرتها على التعبير ، دون أن تفقد تاريخيتها ، ودون أن تتحول عن أن تكون تراثا

---

(١) د . محمد أبو الانوار - عبدالله بن المقفع - الرجل الأسلوب - مجلة الهلال القاهرة - سبتمبر ١٩٧٣ ص ٧٣

(٢) د . محمد مندور - الأدب وفنونه - دار نهضة مصر - الطبعة الثالثة - ص ١٤٧

(٣) أحمد الشايب - الأسلوب - الطبعة الخامسة - ١٩٣٩ ص ١٣٠ - ١٣٣

(٤) د . محمد مندور - في الأدب والنقد - دار نهضة مصر - ط ٣ (د - ت) ص ٢٧

ومن هنا يكون ابو سلمى شاعرا كلاسيكيا من جهة ان كلاسيكيته ليست كلاسيكية شوقي وحافظ وليست كلاسيكية ابراهيم ناجي المجددة بل واقعية ثورية لأنها التزمت بقضية الشعب وعبرت عن همومه ، وجسدت ارادته ، وهذا الذي جعل كلاسيكية أبي سلمى شعبية وليست سلفية ان ذلك هو منبع عذوبة شعره وجاذبيته وقدرته على التفاعل مع الجماهير ، ولكن نبقدر ما تمتزج الواقعية بالكلاسيكية عند أبي سلمى ، تمتزج الواقعية بالرومانسية ذلك أن أسلوب أبي سلمى غنائي عذب ، رقيق العبارة ، منساب الخيال . وهكذا كانت هذه الاتجاهات الشعرية الثلاث متحدة بعضها الى بعض في ترابط لا يقبل التفتيت ، ولهذا فنحن لا نوافق الدكتور عبدالرحمن الكيالي على أن أبا سلمى رومانسي مغرق في رومانسيته[1] ، صحيح أن أبا سلمى قد استعان بالرومانسية في اثراء خياله الا أن هذه الرومانسية الهادئة لم تكن لتسقط أبا سلمى في دائرتها تماما فظل لصيقا بالكلاسيكية في عمود الشعر وقوافيه وديباجته ولم يخرج عن التقاليد الشعرية الموروثة . ولعل أبا سلمى كان أول من ربط بين تحرير فلسطين وبين تحرير الوطن العربي والثورة العالمية .

وشخصية أبي سلمى في كل حالاتها وأطوارها تبرز واضحة جلية في شعره .. ففي هذا الشعر شخصية الحكيم الذي خبر الدهر والناس وطبائعهم ، وفيه شخصية المحب الصادق الاحساس ، القوي العاطفة .

وأبو سلمى شخصية أليفة ذات أنس ومحبة ، ورقة متناهية ، تتبدى في رقة الفاظه في أشعاره ، وفي حسه المرهف وتصدر عن ذلك نزعته الشعرية الى الغزل والتشبيب :

تسائل كيف عرفت النسيب ... وممن تعلمت شعر الغزل
تعلمته من شذا وجنتيك ... اذا ما تفتح زهر الأمل[2]

---

(١) د. عبدالرحمن الكيالي - الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين - المكتبة العربية للدراسات والنشر ط ١ ١٩٧٥ ص ٣٤٢

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادي - دمشق - ط ١ ١٩٥٩ ص ٦٥ - ٦٦

وفي شخصية أبي سلمى عشق للجمال ، واحساس عميق به في شتى صوره وألوانه ومعانيه ، ولا بد لمن يعشق الجمال من أن يعشق المرأة .

ولئن كانت المرأة أحد المفاتيح الكبرى لشخصية هذا الشاعر (شخصيته الأدبية والانسانية) ورغم أن أبا سلمى قد بلغ السبعين من العمر فما زال يحس بالجمال ويتأثر به ، وتلمع عيناه ان وقفت على منظر جميل ، ولكنه يكاد ينسى نفسه ان كان ذلك الجميل فتاة أو امرأة .(١)

أما عنفه الثوري فهو مزيج من الأصالة والاخلاص ولا أدل على ذلك من الأبيات التالية التي تكشف عن تقديسه للحرية وتمجيدها .

سيروا على الترب المخضب والثموا أثر الجدود
حرية الانسان بالدم تشترى لا بالوعود
ايه فلسطين اقحمي لجج اللهيب ولا تحيدي
لا تصهر الأغلال غير جهنم الهول الشديد (٢)

ولعل من الغريب أن يجمع انسان بين الرقة والعنف الثوري ولكنه كذلك فانا تفزل ناب رقة ، وانا غنى لبلاده أنشد بعنف ثوري وبصراحة لا تخشى في الحق لومة لائم . مع هذا فان الأستاذ زهير الكرمي يحدثنا عن عمه فيقول : " انه حينما يغضب ويثور لأمور خاصة يكون غضبه رقيقا وثورته أقرب الى العتاب منها للهجوم " (٣) .

هناك ناحية مهمة في أسلوب الأديب ، وهي علاقة اختيار الكلمات وترتيب الجمل بالواقع النفسي لهذا الأديب وقد تناول تلك العلاقة الأستاذ أمين الخولي ، وهو يتحدث عن الاستعمال وأثره في المفردات والجمل ، فيقول : " هذا الاستعمال وأثره لا يصح شيء في تقديره وتبينه الا على هدى نفسي دقيق ، وكذلك الحال في الصور البيانية وعمل المتفنن فيها وأثر هذا العمل على الابانة والافهام ، كل أولئك وما اليه لا يرجع في تفهمه ولا في تبينه . الا في الأثر النفسي

---

(١) من رسالة تلقيتها من الاستاذ زهير الكرمي - (ابن شقيق الشاعر) - الكويت بتاريخ ١٩٧٧/٥/٧ .

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٥

(٣) رسالة زهير الكرمي - الكويت - ١٩٧٧/٥/٧

والواقع النفسي وكذلك يقوم المنهج الفني للدرس البلاغي على أصول وأسس نفسية قبل كل شيء ... (١)".

ويربط الدكتور عز الدين اسماعيل بين الشخصية القوية والكلمة المؤثرة فيبين أن الكلمة تكتسب قوتها من الشخصية التي استخدمتها ، فالأديب ذو الشخصية القوية المؤثرة يخلق للكلمة باستخدامه لها مجالا واسعا ، فمن حيويته الشخصية وقوتها تستمد الكلمة، وهي بهذه الحيوية والقوة تؤثر في الآخرين وتفرض نفسها عليهم .(٢)

واللغة ايحاء ، قيمتها بما توحي به وبما يشيع فيها من احساسات ومشاعر وعواطف ، تختلف من شخص الى شخص ومن موقف الى آخر ولا يخفى ما تمنحه الكلمة من بعد ايحائي انا ما استعان الانسان بها لتفصح عن ذات نفسه وتظهرها وتظهر لها حقائق الناس والأشياء .(٣)

وقد كان أبو سلمى يصوغ كلماته وعباراته ، بروحه وذاته ، فتتحول هذه الى جزء من نفسه سواء أكانت ماثرة أم حادثة عابرة ولنستمع الى هذه الأبيات في قصيدة " بعد الفراق " .

قسما بالسفوح أنا حملنا ... يا فلسطين في هواك المنابا
وانا ما سألت عنا انتسبنا ... وأبينا الا اليك انتسابا
ما بعدنا عن طيب أرضك الا ... زادنا البعد عن ثراك اقترابا
وزرعنا الأشواق في كل أرض ... ليتها انبتت قنا وحرابا
وافترقنا - وأنت في القلب - أعوام - دهور مذلة واغترابا
والتقينا على ملاعبك السمحة شيبا بعد النوى وشبابا
وجدنا نقبل الحجر الأسود والرمل والحصى والترابا (٤)

---

(١) امين الخولي - مجلة علم النفس - يونيو - ١٩٤٥ - ص ٤٢
(٢) د . عز الدين اسماعيل - الأدب وفنونه - دار الفكر العربي ط ٢ ص ٢٣
(٣) د . فيكتور ألكك ود . أسعد علي - صناعة الكتابة - بيروت - ط ٣ - ١٩٧٧ - الكتاب الثاني ص ٦٣
(٤) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - اغنيات بلادي - ط ١ ١٩٥٩ ص ١٢٤

ويبدو أبو سلمى في تلك الأبيات كالناسك الذي يركع خاشعا أمام مشاهد الطبيعة في وطنه متأملا سفوحها التي ترتطم فوقها آلاف السنين من التاريخ مرسلا من قلبه النابض الحانه الشجية ، انها بلاده ... مقدساته ، قبور أجداده انها بوابة آماله ومحط أحلامه .

لقد كانت لأبي سلمى طريقته الخاصة في ابراز عواطفه ، وانفعالاته وملاءمته بين موضوعات شعره والفاظه وقوافيه . فتارة يعمد الى طريقة بناء الجملة من حيث صيغ الاستفهام . والتعجب والنداء والتمني واجادة استخدام الأسلوب الانشائي الذي هو أكثر ملاءمة من الأسلوب الخبرى الذي يحمل التقريرية.(١)

وهو يكرر استعمال الفاظ يعينها في أبيات عديدة وهذا يظهر بوضوح خاصة في شعر الحنين والغربة وعلى سبيل المثال فقد استعمل لفظة فلسطين ٧٧ مرة في مجموعاته الثلاث ، كما استعمل لفظة الشعب ٤٧ مرة ولفظة الحب والهوى ٦٠ مرة ولفظة القلب ٢٠ مرة ولفظة الوطن ٢٠ مرة . وقد يكرر الشاعر لفظة يعينها في أول أبيات متعددة مثل :

شعبي هنا وهناك ثائر ... فجر اللهيب اليوم سافر

شعبي أطل مع الصباح ... مخضب الجنبات حاسر

شعبي الذي نشر اللهيب ... من العراق الى الجزائر (٢)

وهذا التكرار في كل حالاته يعبر عن انفعاله وتأثره . وهذه الظاهرة كما تقول نازك الملائكة : " هي تطور ملحوظ في أساليب التعبير الشعرى فالتكرار في حقيقته الحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها وهو يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها ، وهو بهذا ذو دلالة نفسية قيمة " (٣)

---

(١) د . كامل السوافيرى - الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر - مكتبة الانجلو - القاهرة - ط ١ ١٩٧٣ ص ٢٦٤ .

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادى - دمشق - ط ١ ١٩٥٩ - ص ١٣٥

(٣) نازك الملائكة - قضايا الشعر المعاصر - مكتبة النهضة - بغداد ط ٢ ١٩٦٥ ص ٢٤٢

وللشاعر ميل الى استعمال النقد الساخر العنيف كما في قوله :

دول كالدمى تمثل دورا ... رسموه لها وفصلا مريبا
تتثنى على المسارح والميسم ... يشوى وجوهها والجنوبا (١)

.....

من هلاهيلكم نسجتم حبال الموت حول الأعناق والأرواح
ودويلاتكم ؟ سلوها فما كانت دويلاتكم سوى أشباح (٢)

.....

أرانب أن تعرض أجنبي ... وهم أبد على أهلي أسود
تمر مواكب لا روح فيها ... وأعياد وليس هناك عيد
وأبواق وليس لها رنين ... وأسماء وليس لها وجود
وأجناد تموج ولا انتصار ... وأحرار وكلهم عبيد
تلمح في جوانب كل افق ... بيانات وليس بها جديد (٣)

وحتى في شعر الرثاء نجده يسخر من فك الارتباط أو فصل القوات يقول ابو سلمى في حفل تأبين عزيز أباظة عام ١٩٧٤ :

أي فك لبني العرب انا ... لم يفكوا من فلسطين السراحا (٤)

والسخرية هنا كان يمكن أن تكون أكثر وضوحا لولا طبيعة المناسبة ومكانها .

أما مذهبه في النظم ، فقد كان واضحا في شعره ، فهو يكره الغموض واللبس وينفر من التعقيد والضبابية وقد أوضح هذا المذهب في قصيدة " دم أهلي "

أيها الثائرون أقلامنا الحرة ذودوا عن حرمة الأفكار
المداد الكريم ، كالدم في الميدان حرا ، حرب على الأشرار
دافعوا عن كرامة الحرف والانسان في أفق هذه الأقطار
بحروف فيها بساطة شعبي لا أساطير من ضباب معار
وازرعوا النار في السماء وفي الأرض الى أن تعود أغلى ديار (٥)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - المشرد - دمشق - ط ٢ ١٩٦٣ ص ١٠
(٢) المرجع السابق ص ٨٢
(٣) المرجع السابق ص ٨٨
(٤) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة ١٩٧٨ ص ٣٥٩
(٥) المرجع السابق ص ٣١٧

ليس من شك أن أبا سلمى في مذهبه هذا ، متأثر بطبيعة الشعر العربي الواضحة ، فالوضوح من أهم ميزات الشعر العربي والشاعر العربي قلما يكسو فكره غموضا بل يعبر عما يريد بوضوح ويسر(١) . كما ينطلق في ذلك من مفهومه للشعر الذي أراد أن يكون فنا جماهيريا شعبيا يصور كل احساسات الشعب ومعاناته وما يجري حوله من أحداث جسام . فشعر أبي سلمى قد يكون سجلا للنكبة بكل أبعادها وما ترتب على نتائجها من أحداث كان لها وقع كبير في ضمير الشاعر ووجدان شعبه ، فكان يستمد موضوعاته من معاناة الناس اليومية ومن واقعهم المؤلم الذي يطيح بالمتناقضات والبطولات على حد سواء . وفي هذا يقول غسان كنفاني : " منذ مطلع الثلاثينات وشعبنا في فلسطين يحفظ قصائد أبي سلمى عن ظهر قلب . يتغنى بها في طه وترحاله ، ذلك انها انعكاس لمعاناته وتجربته وصورة صادقة لحياته التي وجد فيها ظالته فظل منذ ذلك التاريخ وحتى الآن يستمد أغنياته ويصوغ أعذب قصائده مكتوبة بلغة الشعب مصدر الهام الشاعر الاول ، وجمهوره الذي أقام معه كل مثالج التلاحم النضالي والمصيري... (٢)"

ويلاحظ الدكتور ناصر الدين الأسد : احتواء شعره على وفرة في القيم الموسيقية التي تلف شعره حتى جاء أكثر قصائده مقطعات غنائية صغيرة ملحنة منغمة ذات ألفاظ موسيقية منتقاة (٣).

وأكثر شعره مما يصلح أن يختار للغناء ، فهو يكاد يطرد على هذا النسق الموسيقي ولا تفارقه غنائيته مهما يختلف موضوعه وقد غنت له فيروز قصيدة " ابنة بلادي".

---

(١) د . شوقي ضيف - دراسات في الشعر العربي المعاصر - دار المعارف - مصر ط ٢ ١٩٥٩ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٢) غسان كنفاني - ملحق الأنوار - العدد ٢٦٨١ - بيروت - الأحد ١٤ نيسان ١٩٦٨ .

(٣) د . ناصر الدين الأسد - الشعر الحديث في فلسطين والاردن - معهد الدراسات العربية - القاهرة ط ١ ١٩٦٠ ص ٢١٨

بنـاء القصيـدة :

بناء القصيدة عند أبي سلمى :

نظم أبو سلمى أغلب شعره على النهج العربي القديم من وحدة البحـــر ووحدة الروى والقافية ، لكنه نظم جزءا منه على نهج الموشحات والمسمطـــات ، كما نظم أيضا قصائد متغيرة الروى والقافية ما بين مزدوجات ومربعات ومخمسات ومقطعات هذا بالنسبة لنظام القفيـــة عنده ، أما الاوزان ، فالحقيقة أنـه لم يخرج على الاوزان الخليليـة .

ومن هذه الأشكال :

قصيدة جنون الصبا وهي من المزدوج

هل تذكرين السفح والمنحـنى ... وموكب النـور وعرس المـــنى

يوم زففنا الحب ما بيننا

وكانت الدنيا تغني لنـــا ... حن جنون القلب لما ...ـا

لله ما أحلى جنون الصبا (١)

.....

وكما في قصيدة لا أدرى وهي من المربعات

دنيا من الســـحر ... أم عالم الشـــعر

أم الهوى العذرى ... عيناك لا أدرى

.....

من نعمة الخلـــد ... أم روعـــة الوجـــد

أم من شذا الـــورد ... خـــداك لا أدرى

.....

سكران من قلـــبي ... في صـــدرك الرحـب

هل جنة الحـــب ... صـــدرك لا أدرى

.....

من سمات الحـــور ... أم وهجـات النـــور

أم الندى المســحور ... جســـمك لا أدرى

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة الدفاع اليافية - عدد ٣ آب ١٩٤٢

في موكب الفجر ... رفت مع المطر
يا صيحة العمر ... سارت ولا تدري (١)

.....

وعندما يبني قصيدته يبنيها على فكرة يهدف اليها ويستغل كل امكانياته ليحيط الهدف بهالات وصور تجعل القصيدة ذات وحدة فنية . ولقد وفق أبو سلمى في تطبيق مبدأ الوحدة الفنية في المديد من قصائده . ولعل أبرزها يظهر في قصائد الحنين والغربة ، ففي هذا اللون من قصائده يروعنا بصدقه الفني والشعوري والنفسي الذي لا يشوبه تمويه . كذلك فانه يتبدى في قصائده التي يمزج فيها بين حبه لفتاته وحبه لوطنه ، كما نلمح ذلك في شعره الاجتماعي والانساني وفي شعره الوجداني وبخاصة في قصائد ذات الخال التي تصدر عن عاطفة حقيقية ومشاعر قوية وتجربة شعورية واضحة . كذلك فهو يتبدى في عدد من قصائده الوطنية والقومية عامة قصيدة " لهب القصيد " التي فضلا عن أنها تصوير لما ينعكس على نفس الشاعر من جوانب الحياة السياسية والاجتماعية ، فهي تعبر في الوقت نفسه عن الموقف الثوري الذي يقرن التحرر السياسي بالتحرر الاجتماعي ، كما أن ما يكمن وراء الصور والكلمات ، يوحي بأن الوطن وطبيعته ليسا بقعة جغرافية محددة فحسب بل امتداد نفسي يكشف عن صلة انسان الوطن الصغير بانسان الوطن العربي الكبير والوطن الانساني الأكبر .

ان هذا الواقع هو جزء من كل يتأثر به ويؤثر فيه ، ولعل خير ما يوضح هذه الحقيقة هو ربط الشاعر بين التحرر الوطني وحركات التحرر في العالم ، وبهذا التنامي الانساني يتحدث عن وطنه في قصيدة " وطني " فيقول :

غدنا من غد الشعوب وانا ... في طريق التحرير جيش عرمرم
نحطم النير أينما كان في الكون ... ولن نستريح ما لم يحطم (٢)

والقصيدة عنده تطول أو تقصر والعبرة بحواطفه ومدى انسيابها ، ومدى انسجامه مع الموضوع وتأثره من الحدث . ويعتبر من أصحاب القصائد الطويلة

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة الدفاع اليافية عدد ٣ تموز ١٩٤٢
(٢) عبدالكريم الكرمي - المعرد - دمشق - ط ٢ ١٩٦٣ ص ٢٨

التي تزيد على الستين بيتا أطولها " لهب القصيد " وعدد أبياتها ٦٤ بيتا وهي مقدمة لمسرحية شعرية عن الثورة الفلسطينية ابتداء من حركة القسام وامتدادا الى ثورة ١٩٣٦ وكان الشاعر قد أرسل نسختين من هذه المسرحية الى الأديبين: ابراهيم عبدالقادر المازني ، وخير الدين الزركلي وفقدت الثالثة منه .

ومن الاحصاء الذى قمت به على شعره نستطيع أن نقول انه قد استعمل اثني عشر بحرا بالاضافة الى استعماله لمجزوء البسيط والوافر ومخلع البسيط والى استعماله المسمطات والموشحات والمربعات والمقطعات .

ويأتي الخفيف في المرتبة الاولى من شعره وقد نظم فيه ٩٧٩ بيتا ، والبحور التي لم ينظم عليها اطلاقا هي : المضارع والمقتضب والمتدارك والمنسرح .

أما أكثر الحروف التي نظم على قافيتها ورويها فهو حرف الدال فقد نظم عليه ٦٢٩ بيتا أو ما يقارب ٢٣٪ من شعره .

ومن الموشحات : (رقصة السماح)

غن يا بلبل شعرا ... في الروابي والبطاح
ثم طوما شئت حرا ... في الفضا طلق الجناح
آه يا بلبل غن ... بأغاريد الصباح
وتنقل كالأماني ... بين ورد وأقاح
واملأ الأفق أغاني ... كي نرى رقص السماح

.....

ديار ي موطن العرب ... بلادى العز والحسب
لئن غابت كواكبها ... فشمس المجد لم تغب
سماء كلها شرف ... تراب الأرض من نخب
فهيا يا أخي أنشد ... ديار ي موطن العرب

.....

يا فتى العرب سلاما ... أنت يا زين السلاح
حل بالمجد المآما ... وافدها بالمجد غال
وتوشح بسناها ... واصح آثار الليالي
وتيمم بثراها ... انه طيب الرمال

عشت يا عز البلاد ... فارس الميدان
زنت تاريخ الجهاد ... يا فتى الأوطان
أخذت عنك الدراوى ... مثلا عليا
فعلى ثغر الديار ... بسمة الدنيا

.....

نحن وشينا المغاني ... بالشذا والنور
فمحت زمر الأماني ... طالك الديجور

.....

قد غرسنا كل جهد ... في أراضينا
ونجلي كل سعد ... بمواضينا (١)

.....

ولو تأملنا الموضوعات التي رأينا فيها تجديدا في القوافي لوجدنا أنها لا تخرج عن الموضوعات الوجدانية أو أناشيد الأطفال وهي في وصف الطبيعة ولكنه خرج في بعض هذه الأناشيد الى نطاق الشعر الوطني والقومي كما في نشيد الوحدة العربية (٢) .

ومن غرر موشحات أبي سلمى قصيدته تل الزهور (٣).

هل ترى الحب على تل الزهور ... كيف يغفو بين أغصان المذارى
دعه في بردين من نار ونور ... يشعل الحب اذا استيقظ نارا

.....

---

(١) نقلت عن ناظمها عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - أغاني الاطفال - مكتبة أطلس - دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص٦٠ - ٦٣

(٣) تل الزهور تملأه الأزهار دائما قرب الشاطىء الغربي في عكا . ومن الجدير بالذكر أن زوجة الشاعر الملقبة بذات الخال من مدينة عكا ، ويردد أبو سلمى في شعره ذات الخال ونسيمات الشمال ونسيم الشمال وفتاة الشمال والشاطىء الغربي وفي هذه اشارة الى موطن حبه وهي غرامه وقد تقدم الحديث عن ذات الخال في شعر الحب والغزل عند أبي سلمى .

وانا هبت نسيمات الشمـــال ثم نادت طائر الحب تعـــال
مد في الجو جناحيه وطـارا

ورمى فوق فم الافق بقايـــا كيف لا يغـدى غراما وشـبابا
بعد ما وقف على " تل الزهـور "

والنسيم ... كيف لا يفتنه الوجه الوسيم
فيحوم ... يسرق السحر ويخفى في الغيوم

.....

أيها الغائب عن " تل الزهور " أمسك القلب اذا كنت تـــزور
فالطيور ... فوق ذاك التل لا تنفك تشـدو
والزهور ... تلثم الحب ولما يصح بعد
تنبت الاشواق في "تل الزهـــور " (١)

.....

ومن موشحاته ما هو مؤلف من أبيات وكل بيت مؤلف من ثلاثة أجزاء وســـت فقرات أو أغصان . كما في قصيدة "شعاع":

١- من أين يا قلب هذا الشـــعاع ينير دنياك ويهدى الشـــراع
فتارة يخفق فوق اللمـــــى وتارة يرف فوق الـــــيراع
لولاه لم تنعم بطيب اللقـــا ولا تنورت ليالي الـــــوداع

.....

٢- رأيت عينيها ومستقبلـــي لونه حلم الصبـــا الأول
وفيهما سر الهوى ينجلـــي وسر همس الورد للبلبـــل
بحق عينيها ألا قلت لـــي هل أنت من ذاك المنى يا شعاع

.....

٣- في جانب الثغر أرى كوكبـــا يحمل لي في كل يوم نبـــا
ينير في تلك المنى ما طبـا يعرضها لي موكبا موكبـــا
بالله قل لي ، بجفون الصبا هل أنت من ذاك المنى يا شعاع (٢)

.....

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان أبي سلمى - ط ١ - دار العودة بيروت ٧٨/٥/١ ص ٩٥ - ٩٦

(٢) المرجع السابق ص ١٦٣

ومن أناشيده الوطنية نشيد " يا ربى القدس " مقدمته بيتان ثم قسم الى ثلاثة أقسام كل قسم مؤلف من ثلاثة أبيات وهو يخلو من اللازمة المعهودة في الأناشيد :

انشدى يا ربى القدس والخليل اقبل الثائرون
زغردى بشرى اللد والخليل اننا قادمون

.....

يا فلسطين باسمك القسم انت ما زلت عندنا الحرم
ها هو الفجر حولنا ابتسم انظرينا نمسح الظلم
قد رفعنا المجد والعلم وركزنا هما على القمم

.....

انطلقنا من جبال النار واستجبنا لنداء النار
نحن في ساح الوغى اعصار قد أزلنا باللهيب العار
واستردت أرضها الأحرار والتقى بالدار أهل الدار

.....

قد محونا بالدم الحدود والبطولات بيننا شهود
امة العرب كلها جنود خافقات فوقها البنود
واستعادت موطن الجدود فلها اليوم وحدها الخلود (١)

.....

ومناك قصيدة بعنوان " لبنان " تختلف قافيتها بعد كل عشرة أبيات وهي من أربعين بيتا :

حملت الطيوب أجوب الدروب وناديت هذى طيوب الجبل
فما افق لبنان الا الشذا يحدثني عن بقايا القبل
وأرزته؟ هل عرفت الخلود وهل شاقك الوحي لما نزل
بها كتب الله آى الجمال وخط بها الله شعر الغزل
وفي القمم الشم بوح الصباح وفوق السفوح اخضرار الأمل

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - ط ١ دار العودة - بيروت ١٩٧٨/٥/١ ص ٣٧٥

على كل دوح يحوم الفمـــام | وفي كل واد يذوب العســـل
ترى السحر في كل درب يمـوج | كأن على الدرب ســحر المقـل
ومن ذا يفرق بين تهـــادى | الصبايا هناك وبرج الحجـــل
ويستيقظ الفجر فوق الروابي | ويهدى الى كل قلـب شـــعل
ويخفو الزمان على راحتيـــه | ويهتف " لبنان " أنت الأزل (١)

.....

المعجـــم الشـــعرى:

العصر تعبير عن الحياة بخيرها وشرها ، وتصوير للنفس الانسانيـــة بفضائلها ورذائلها وقيمها وجمالها . فلا بد أن ينعكس كل ذلك على الفاظه التي ليست الا أدوات يبرز بها الشاعر عواطفه وخواطره . ولكن اللغة كما يقـــول (ت. س. اليوت) في تغير دائم ، تنمو في مفرداتها وفي تراكيبها وفـــي نطقها وفي نغمتها الموسيقية " (٢).

والمفردات اللغوية في الشعر لا تختلف من عصر الى عصر فحسب بل هـــي كذلك تكاد تختلف من شاعر الى شاعر من أبناء الجيل الواحد(٣). وهذا الاختـــلاف في نظرنا تميز لا يعود الى اللغة نفسها كما يمكن أن نفهم من كلمات " اليوت " السابقة بقدر ما يعود الى الشاعر نفسه أو الشعراء أنفسهم الذين يعرفون كيـف يتعاملون مع هذه اللغة باحساس أصيل نابع من روح العصر . ومن صميم ايقاعه المتجدد . ذلك .. " أن لكل عصر همومه ومشاكله وقضاياه ، والانسان مطالـــب في كل عصر بأن يواجه الحياة بما يلائمها من سلوك . ومن خلال هذه المواجهـــة تترسب قيم العصر وتتبلور مثله(٤)" .

وشعر أبي سلمى مثله مثل الشعر العربي والفلسطيني المعاصر لا يكـــاد يخرج عن هذه الصورة ، فكما أنه معاصر في معظم نماذجه ، كمـــا تقـــدم فهو معاصر من خلال مفرداته اللغوية .

(١) صبحا الكريم الكرمي - ابوسلمى - ديوان ابي سلمى - ط ١ دار العودة - بيروت ٩٧٨/٥/١ ص ٢٥٣ - ٢٥٥
(٢) د. محمد الدويهي - قضية الشعر الجديد - دار الفكر - بيروت ط ٢ ١٩٧١ ص ٢٥
(٣) د. عزالدين اسماعيل - الشعر العربي المعاصر - قضاياه الفنية والمعنوية دار الكاتب العربي - القاهرة - ط ١ ١٩٦٧ ص ١٧٥
(٤) المرجع السابق ص ١٧٥

كذلك ، فقد تأثر أبو سلمى كغيره من الشعراء الفلسطينيين :

أولا بالمعجم الشعري لدى الاحيائيين [١] من أمثال شوقي ونظرائه ثم امتد التأثير ثانيا الى المدرسة الرومانسية ، كما افاد من التراكيب اللغوية الجديدة التي تمت عن طريق الاتصال الفكري والثقافي بين فلسطين والاقطار الشقيقة المجاورة [٢] ، وحسبنا أن نشير الى الأواصر المتينة التي ربطت بين أبي سلمى وأدباء وشعراء البلاد العربية كالمازني والعقاد وزكي مبارك وعزيز أباظه وبدوي الجبل وغيرهم فقد كان لهذا أثره وفائدته .

وانا ما أردنا البحث في معجم أبي سلمى ، فاننا سوف نجد أنه يمتلك معجمه الخاص القريب من معجم الكلاسيكيين الجدد - والمحتوى - أيضا - على قدر غير قليل من ألفاظ الرومانسيين ، ولعل احتفاظ أبي سلمى بهذا المعجم المشترك يعود الى نفس السبب الذي جعله لا يغرق في رومانسيته - ليظل كما يشاء - قريبا من الجماهير ، قادرا على التعبير عن أحلامها ، في نفس الوقت الذي لم يغرق في كلاسيكيته ليكون قريبا من عصره يعيش مع قضاياه .

وهذا جزء من قصيدة " نسيم الشمال " :

الزهر لا يرسل أنفاسه حتى تحييه فتاة الشمال
والياسمين الغض يا ويحه مال على شباكها واستطال
يريد أن يسرق من طيبها يا سارق الطيب حذار الوبال
والقلب قلبي لم ينم لحظة وقلبها في نومه لا يزال
قومي أطلي فالضحى باسم ينظر النور ويرجو النوال
ما العمر لولا الحب الا صدى ما العمر لولا الحب الا خيال [٣]

---

(١) د . كامل السوافيري - الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر - مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة - ط ١ ١٩٧٣ ص ١٦٣ - ١٦٤

(٢) المرجع السابق ص ٩٤

(٣) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان أبي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ١٠٠ - ١٠١

الزهر يرسل أنفاسه ، والياسمين الغض يا ويحه ، ويريد أن يسرق من طيبها وقلبها في نومه ما استطال ، والورى باهت ، وما العمر لولا الحب الا خيال : هي ألفاظ وتراكيب منحدرة من معجم الرومانسيين وتمثل الوجه الثاني من شعر أبي سلمى .

أما الوجه الاول من شعره فيتمثل في هذا الجزء من قصيدة " يا فلسطين ":

ايه فلسطين اغضبي وتحرري ضاعت حقوقك بين قال وقيلا
مدى القلوب على الظبى وتبسمي تجدى على تلك الحدود فلولا
أمهلت ظالمك العتلّ وما درى أن التهامس يستحيل طليلا
ايه فلسطين المجاهدة اثبتي فالظلم مرتعه يكون وبيلا
ها هم بذوك لووا أعنّات الردى وأتوك لا يرضون عنك بديلا (١)

فضياع الحقوق بين قال وقيلا ، وامهال الظالم العتل ، والتهامس يستحيل طليلا ولىّ أعنات الردى ، هذه جميعا تراكيب معاصرة مرتبطة بمعجم الكلاسيكيين الجدد أمثال شوقي وحافظ ومتجاوزة لهما وان كنا نجد أن أبا سلمى قد بعث في هذه التراكيب شحنات تعبيرية جديدة بعثت فيها معنى جديدا ومن ثم تظل اللغة قادرة على تحمل الجديد من المواقف والظروف الحياتية .

ذلك هو معجم أبي سلمى المشترك فيه من نفحات أول القرن ومن نفحات منتصف القرن والشاعر يميل الى استعمال افكار جديدة في صياغة جديدة وأفكار مستوحاة من روح العصر مثل :

ضحايا الظلم ، زعماء دنسوا تاريخكم ، دول تحسبها شرقية ، فاذا أنعشت فالحاكم غربي ، دول كالدمى ، لا تسألي المستعمرين ، يا أيها الشعب النبيل ، قرر مصيرك ، فجر الشعوب . فجميعها أفكار وعبارات مستوحاة من روح العصر والبيئة .

وعلى الرغم من أن أبا سلمى قد استعمل اللغة الرومانسية وقاموسها المتعارف عليه في عدد غير قليل من قصائده وخاصة في شعره العاطفي الا أنه

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ١٧

يمزج هذه الرومانسية بلغة كلاسيكية رصينة ولكنها رقيقة وكما تقدم فهو يمزج صور الطبيعة بمعاهد الخيال وملامح الحبيب بملامح الوطن بلغة جارحة أحيانا مشرقة أحيانا أخرى. وهو على الرغم من خياله المجنح في الكثير من قصائده الغزلية الا أنه مع ذلك يقف على أرض الواقع .

وهو يستخدم في قاموسه الأسماء المنسوبة :

عرائس الليل ، عمرك المبقرى ، مشعل الوحي ، موكب الفجر ، همهمات الفرسان ، بنفسجة المرج ، رفاق التاريخ ، جناح الأعاصير ، عذارى الخلد ، الخطى الداميات ، النجوم الزهر ، دماء الثائرين ، ليالي اللقا ، دمع الطهارة ... الخ .

وهذه الأسماء المنسوبة تقوم بمهمة تركيزية ايحائية فهي توحي بظلال كثيرة يمكن أن تغني عن تفاصيل كثيرة . فمثلا نجد كلمة : الخطى الداميات ، تجسم كفاح الشعب عبر العصور المتتالية ، وكذلك كلمة جناح الأعاصير تجسم عالم الخيال بكل ما فيه من عناء ومعاناة وثورة وبهذا تتركز فيها شحنات عاطفية وايجابية تتيح لها القيام بالتصوير السريع الذي يمتاز بالبساطة والايجاز فتمنحها بعدا ايحائيا .(١)

وتسيطر على قاموس أبي سلمى الرومانسي الفاظ الطبيعة يزين بها لوحات خيالية مثل : الضياء ، السنى ، الشعاع ، الشذا ، الطيب ، العبق ، العبير ، الزنبق ، الياسمين ، السوسن ، الأقاحي ، النسيم ، الفجر ، الغسق ، الشاطئ ، السفح ، المنحنى ، الوهاد ، التلال ، المروج .

وهو في حبه الشديد للاطفال يقلد لغتهم الجميلة ناسيا وقار شخصيته الجبارة المتعالية على الحكام . يقول في أغنية " قطتي " :

هانري أن تغضبي
مياو . مياو . مياو . مياو . مياو (٢)

---

(١) فيكتور الكيك - أحمد علي - صناعة الكتابة - بيروت - ط ٣ ١٩٧٢ ص ٢١٧ - ٢٥٤

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العود - بيروت - ط ١ ١٩٧٨ ص ١٣٢

وكما في قصيدة " لو كنت عصفورا "

لو كنت عصفـــورا لطرت فـــي الـوادى
والبلبل الشـــادى جنبا الى جنـــب
وعدت مســـــرورا لو كنت عصـــفورا (١)

فهو يبدو وكأنه اختار كلمات الأغنية ليغنيها لنفســه .

الأغيلـــة والصـــور :

لا يقتصر الخيال عند أبي سلمى على التشبيهات والمجازات الحسية ، كمـــا نجد - غالبا .. في الشعر العربي القديم ، بل تراه يشمل روح القصيدة وخواطرها وينقل الينا تجربة عميقة وشعورا قويا - وهذا ما يجعل القصيدة تتحول الـــى لوحة فنية رائعة تنتزع القارئ وتنقلـه الى الجو الذى أراد الشاعر لذلـــك الجو الذى يسيطر عليه صدق الانفعال وقوة الخيال . وللتدليل على ما تقـــول نأخذ جزءا من قصيدة " النازحـون " :

أيها النازحون ! .. كيف تهاوتم نجوما على غريب البطـــــاح
أين انتم ؟ ! .. ان القلوب تنادى فيحمل النداء رجع نـــواح
الليالي أحنى عليكم من الأمل وأندى من الوجوه الصبـــــاح
كل طفل كأنه دمعة الفجر ترامت على محيـــا الصبـــــاح
وفتاة كأنها عبق الزهـر تلاشى على ذيول الرمـــــــاح (٢)

يصور أبو سلمى في هذه الأبيات تربة فلسطين بالفتاة العذراء الـــتي افتضتها يد المجتاح وقد تخضب ترابها بعطايا الأعراس والأرواح ، والنازحـين وقد تساقطوا على غريب البطاح والليالى أحنى عليهم من الأمل ، وأندى مـــن الوجوه الوطنية وكل طفل من أطفالهم أشبه بدمعة الفجر التي ترامت على محيـــا الصباح وكل فتاة أشبه بعبق الزهر الذى تلاشى على ذيول البطاح .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغاني الأطفال - مكتبة أطلس - ط ١ ١٩٦٤ ص٥٢

(٢) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - دمشق ط ٢ ١٩٦٣ ص ٢٢

وخيال الشاعر ابتكاري لأنه أبدع صورا جديدة لم تكن موجودة من قبل : التراب الخضيب ، شظايا الاعراض والارواح ، تساقط النازحين كالنجوم .... الخ .

ولنتأمل في هذه اللوحة : كيف تناول الشاعر بريشته " لبنان " فاجاد الوصف واحسن التصوير :

حملت الطيوب أجوب الدروب ... ونادیت : هذی طیوب الجبل
فما افق " لبنان " الا الفدا ... یحدثني عن بقایا القبل
وارزنه ؟.. هل عرفت الخلود ... وهل عاقك الوحي لمّا نزل
بها كتب الله آی الجمال ... وخط بها الله سحر الغزل
وفي القمم الشم بوح الصباح ... وفوق السفوح اخضرار الأمل
على كل دوح يحوم الغمام ... وفي كل واد يذوب الحسل
ترى السحر في كل درب يموج ... كأن على الدرب سحر المقل
ومن ذا يفرق بين تهادى ... الصبايا هناك ودرج الحجل
ويستيقظ الفجر فوق الروابي ... ويهدى الى كل قلب شعل
ويغفو الزمان على راحتيه ... ويهتف : " لبنان " أنت الاول (١)

وهذا الجزء من القصيدة التي تقع في أربعين بيتا خير شاهد على ما بسطناه فهي تحفل بعناصر عديدة من الجمال .. أظهرها الايجاز .. لا يمكن للتحليل الذي هو نثري بطبيعته أن يأتي عليها كلها ، مهما تمادى في الشرح لأن طبيعة النثر تأبى التخلخل الى مواضع السحر الكامن فيها .. خلف الرموز والالحان ثم انها رغم احتفالها بعناصر الصياغة لم يخنها التعبير الفاتن . فما وراءها من شعور بالفتون يعادل حرارة الحياة وهو في هذه القطعة ينير نفسه كشمعة أمام معبد كيف لا ؟ وهو يخط بريشته صورة للبنان مهد الاشعاع وموطن الشمم فالشاعر يصف هذه الربوع التي باركتها يد الله وصف المقترن بها العاشق لها .

ولقد كان للخيال أهمية بارزة في شعر أبي سلمى ، ولهذا فنحن حين نحلل قصائده نجد نماذج متنوعة لجميع انواع الخيال الابتكاري بقسميه :

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٥٣

النافذ الذى يرجع الشاعر بواسطته الى الماضي وحوادث التاريخ ليصور منها ما يشاء ، والخالق الذى يخلق به الموضوعات ويصور المشاعر والحالات النفسية ، والخيال التصويرى أو التفسيرى الذى يظهر في الاستعراض والتشبيهات والكنايات . ويرى بعض النقاد أن الخيال التصويرى المجنح هو أحد عناصر شاعريته(١) فهو يرقى الى السماء ويلتقي بالنجوم والكواكب ، ولقد أدرك ذلك في نفسه فقال :

عللينى حتى أحلق في الأف ق وألقي على النجوم المئزر (٢)

وقال :

كيف اخفي الهوى وشعرى جناح كلما رفّ بالدموع تعثر (٣)

.....

وتنزل النجوم اليه لتصفي الى شعره فينثرها فوق وساده

وتهاوت زهر النجوم لتصغي فنثرت النجوم فوق وسادى (٤)

.....

بل ان صاحبته أيضا تنثر النجوم في الطريق ولذلك قال لها :

فقلت هالا تنثرى النجوم على مفترق الدرب أى مفترق (٥)

.....

وقال لها :

ما ضحكات العين عند اللقا الا نجوم للمنى فانثرى (٦)

.....

ولكن هذا التحليق والتهويم لا بد له من جو عام يبدعه الشاعر تتم له خطوط الصورة وتتميز معالمها من أجل هذا لا بد له من رقى وتمائم ينشدها في جوانب آفاقه حتى تعينه على الارتقاء .. لا تكاد تخلو منها قصيدة في مجموعتيه " المشرد واغنيات بلادى " وحتى تصبح معجما شعريا .. يدل على الشاعر ويكون جزءا من شخصيته الفنية .

---

(١) ناصر الدين الاسد - الشعر الحديث في فلسطين والاردن - معهد الدراسات العربية - القاهرة - ط ١ ١٩٦٠ ص ٣١٩

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - المشرد - دمشق - ط ٢ ١٩٦٣ ص ١٧

(٣) المرجع السابق ص ١٨

(٤) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادى - دمشق - ط ١ ١٩٥٩ ص ١٠٠

(٥) المرجع السابق ص ١٩

(٦) المرجع السابق ص ٥٨

وهو في صوره يكثر من ترديد الفاظ الطبيعة مما جعل الدكتور ناصر الدين الأسد يرى أنه من طول التحليق والتهويم فان الشاعر لا يلبث أن يهوى على الارض ويصبح تعبيره نثريا (١) ويدلل على ذلك بهذه الأبيات :

تسائل كيف عرفت النسيب ... وممن تعلمت شعر الغزل
تعلمته من شذا وجنتيك ... اذا ما تفتح زهر الأمل
ومن شفتيك سرقت العبير ... وطعم الصبا والاغاني الأول
وعن مقلتيك قبست السنى ... فرف على السحر سحر المقل
تعلمته من ليالي اللقا ... معطرة برفيف القبل
ألم تعلمي بعد سر النسيب ... وممن تعلمت قالت أعل (٢)

فأين الرقى والتمائم في هذه الأبيات ؟

صحيح أن الشاعر قد دمج الطبيعة في صورة حبيبته وجعلها تتوحد معها ثم خلع عليها مشاعره ... ولكنه كان رقيقا في تعابيره . ومع أنه ظل يحلق في خياله الا أنه ظل مشدودا الى الواقع ، كما نلاحظ في البيت الأخير . كذلك فقد تألقت هذه الأبيات من مقطعات غنائية قصيرة ، ذات الفاظ موسيقية منتقاة فأين النثرية هنا ؟

ومع أن شعره يتميز بالحساسية فقد كان يعبر عن نبضات شعوره بصدق وعلى الرغم من أنه كان ينساق مع أخيلته الرومانسية المجنحة الا أنه كان يفصل ذلك ليجد في هدأة الكون وفوق السدم والنجوم مجالا للانطلاق والتحرر ، وليجد في المظاهر الطبيعية مشاركة وجدانية تلائم شعوره بالاحباط من واقعه فهو ينشد عالما آخر يخلو من احباطات الواقع السيء وقد وجد هذا بعيدا عن الأرض كلها حين ارتفع عليها محاولا السمو في ذلك الكون الفسيح . بل ويصل هذا السمو بالشاعر الى درجة الاتصال الروحي بالطبيعة والاندماج فيها فيجد الراحة النفسية بعيدا عن الناس . ولكنه لا يلبث أن يفيق من أحلامه ليعود الى

---

(١) ناصر الدين الأسد - الشعر الحديث في فلسطين والاردن - القاهرة - ط ١ ١٩٦٠ ص ٣٢٢

(٢) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادي - دمشق - مطبعة الترقي - ١٩٥٩ ص ٦٥ - ٦٦

واقعه الأرضي . فنحن هنا كما يقول الدكتور محمد قدورة في موطن مغايه أمام رومانسية شرقية روحية قبل أن نجد لها مثيلا في رومانسية الغربيين الذين لم تصل اليهم من رومانسية الشرق غير أقباس لا تغني عن البؤرة الأصيلة التي انبعثت منها في الشرق كافة الديانات (١).

وصور أبي سلمى في قصائده الوجدانية تجمع بين الناحية الوجدانية وبين فنه في الوصف والتصوير ، ففي قصيدة " ما لبنان لولاها " تراه يصف ذكرياته العذبة مع فتاته وصف من اندمج فيها بكل جوارحه وكيانه فيصور الطبيعة على أنها جزء من الحبيبة ونحن نجد في هذه الصورة نموذجا صادقا لرومانسية الخيال والعاطفة ، وهو يستعرض أمامنا نوع الحياة الجميلة الحافلة بالسرور والمتعة الحسية والنفسية ، فمنذ وطئت قدما فتاته أرض لبنان ماجت لها رباضه وسهوله ونجوده وجباله وأنهاره ووديانه وكل مظاهر الطبيعة فيه وانحنت لها تحية اكبار وخضوع ، ويذهب الشاعر مع خياله بصور الطبيعة على أنها جزء من محبوبته تحس باحاسها وتشعر بشعورها ، بل ان نفس الحبيبة ضوع الاجواء برائحته الذكية وانتشر اريجه في كل مكان .

وكما صورت له عاطفته القوية أن يجد حسن لبنان وسحره في حسن حبيبته وسحرها فقد جعل شجر الهادي يهش لمرآها ويفرح بلقائها ، وليس هذا فحسب بل استمد نسيم الصبح من طيبها وعطرها ما جعله يبدو منتشيا مدلاً بنفسه ، وحينما دنت من السفح بدت الأزهار وقد ازينت بأبهى الحلل وأجمل الزينة ، وحين لمحت الأطيار طيف الحبيبة صفقت لها وشدت بأعذب الالحان .

والشاعر هنا يصور فتاته تصويرا دقيقا مع مراعاة الاستدلال بكل مظهر من مظاهر الجمال على ناحية معنوية يجدها عند محبوبته مما يثبت لها الطهر والعفاف ويرقى بها نحو عالم ملائكي .

فهذه الصورة من الغزل ، على نحو جديد لم نألفه عند زميليه : ابراهيم طوقان وعبدالرحيم محمود ، فالشاعر هنا حين يصور الجمال تدفعه الى ذلك عاطفة قوية دون أن يربط نفسه بتشبيهات تقليدية وصور قديمة مكررة ،

---

(١) د. محمد قدوره - محاضرات عن خليل مطران - القاهرة - ط ١ ١٩٥٤ ص ١٢ - ١٤

وذلك لأنه يلجأ الى احساسه ليستمد منه قوة الوصف والى فكره ليستعين به على التصوير الدقيق ، وهو الى جانب ذلك يعجب بالجمال الحسي ولكن لينفذ من خلاله الى ما هو أسمى ، فهو يبحث عما وراء هذا المظهر من جوهر سليم .

فالشاعر لا يتغزل بحسنها وشعرها وشذاها الا لما وجده فيها من أخلاق باهرة ولا تفتنه مفاتنها الا لما رف عليها من روح طاهرة ، ولا يرى في حسن القوام الا براءة الطفولة ، فالجمال الذى يبحث عنه هو كل ما يصور الصفاء والعفاف والطهر ، ولذلك كان حب أبي سلمى لها حبا تسمو به العاطفة على الغريزة .

دنيا الهوى والأماني كيف أنساها والحسن أبدعها والشعر وشّاها
في جوّها نفس الصفاء منتشر وأفقها فيه لو تدرون سيماها (١)

ويتحدث في قصيدة " ليلة على الشاطئ " عن ذكرى لقاء تم بينه وبين فتاته على رمال الشاطئ مستعملا الوصف التحليلي والتصوير الدقيق ، فهو يصف الموقف ، ويتمثل الحالة ويصور الحركات والسكنات ، ويعرض المشاعر والانفعالات ويلائم بين العواطف والجو بصورة عامة فتبرز لنا من كل ذلك لوحة كبيرة جميلة يلونها الشاعر بالظلال والالوان التي تناسب البيئة الطبيعية التي يلتقط منها هذا المشهد . والحالة النفسية التي تلامس الشخصيات وتستلزمها الحوادث ، فهو بعد المقدمة التي يعبر فيها عن استعذابه العذاب والهجر ويبين مدى ما يعتمل في قلبه من الشوق لمرأى الحبيبة ، ينتقل الشاعر الى وصف ليلة لها ذكرى جميلة في نفسه حيث يصف التقاءه بفتاته وحيدين وكان لقاء مثيرا وعذبا جميلا ، ويغرب الشاعر في الخيال فيصف لنا كيف أن رمال الشاطئ تتحول الى شيء لا كالرمال بمجرد أن لامست قدماها هذه الرمال وربما كان هذا الشيء الذى تحولت اليه كان أصفى جوهرا من التراب لأنه مستمد من عنصر الحبيبة وجوهرها الفرد بحيث يمكن القول اننا نستشف في هذه القصيدة ما يصح أن نسميه بالحلول العكسي . فالحبيبة قد حلت بالطبيعة فاستحالت الطبيعة الى عنصر من

---

(١) يرجع الى صفحة ٩٢ - ٩٣ من رسالة الباحث .

عناصر الحبيبة . وهذه خاصية تتميز بها صور أبي سلمى المركبة حيث تمتزج شخصيته بالطبيعة وتبادلها المعاني والاحاسيس ، وكأن الطبيعة عنده كائن حي يتمتع بخصائص البشر من خوالج وأحاسيس ، بل ان الشاعر يخلق في كائنات الطبيعة أرواحا يناجيها ويبادلها العطف والشعور . انظر اليه وهو ينتقل بخياله الى البحر فيناجيه ويبادله المشاعر والاحاسيس ، انه يصور حركات امواج البحر وأنين مياهه فيما يشبه العتاب والشكوى ، وكأن الشاعر يجد أن الداء الذى يشكو منه وهو داء الحب قد وحد ما بينه وبين البحر فيجعل عبارات العزاء للبحر بقوله : « انهما ليسا أول محبين يشكوان الهجر والحب » .

وهكذا فمن خلال نظرته الشاملة للكون تتبدى صوره في معاركة الطبيعة ، هذه المشاركة الوجدانية التي لاحظناها في هذه القصيدة حيث يعبر أبو سلمى فيها عن الحب الرومانسي الشامل الذى يجمع بينه وبين الكائنات في الطبيعة(١) بما يشبه الاتصال الروحي والمعاني الصوفية .

يا ليلة ظل الرقيب بها وقد ... عفقت ذوائبها على الأعقاب
يسرى النسيم مضمخا أردانه ... بالحب مرتميا على الأعتاب
متعطرا بالطل عند رحابها ... متعثرا بالدمع عند رحاب
وترى النجوم مطلة وعيونها ... عوف الفراق ندية الأهداب
والبدر محزون يحقق حزنها ... فيميل مختفيا وراء سحاب
وقفت على صدر الرمال كأنها ... خلق الصباح مزمل بثياب
يا رمل كنت من التراب وحينما ... وقفت عليك غدوت غير تراب
ورأت عباب البحر يشكو حبها ... فرمته من آمالها بعباب
يا بحر لا تؤسل أنينك انها ... فعلت بنا ما لم يكن بحساب
هون عليك فلست أول عاشق ... بث الهوى وشكا الى الأحباب(٢)

---

(١) د . محمد غنيمي هلال - الرومانتيكية - القاهرة - ط ١ ١٩٥٦ ص ١٥١

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة فلسطين - يافا - عدد ١٩٣٥/٦/٢٣ .

ولم يقف اتقان أبي سلمى لفن الشعر التصويري عند هذا الحد ، بل دفعه ذلك الى أن ينحو بشعر الرثاء نحوا يخرج على ما هو معهود في باب الرثاء في الشعر العربي القديم والحديث فهو في رثاء الأحرار والوطنيين الذين قدموا تضحيات وطنية ، وكانت لهم وقفات صلبة من المستعمرين وعملائه يتناول المرثي من خلال أعماله التي قدمها لوطنه وشعبه ويفتخر بوقفاته الصلبة المشرقة ، ثم ينفذ من خلال هذه المقدمة من مجال الرثاء الى مجال السياسة والوطنية في محاولة للمزج بين آلام الأمة بفقد أبنائها الأحرار ، وبين القضايا الوطنية والآلام النفسية العامة . وهي صور مكتملة وان تألفت من صور جزئية غير متشابهة الافكار ، الا أنها تنتهي الى أصل عاطفي واحد صحيح ، ذلك لأن التداعي لا يعتمد على ما بين الافكار من تشابه اعتماده على ما بين حالات الشعور من تجاوب وتناظر(١)

ويظهر وينطبق هذا اللون على قصائده في رثاء : صبري المسلي ، عزيز أباظه وعمر فاخوري أما في قصيدة " رجاء " فالصورة التي يستخدمها عضوية يتحاون على رسمها الشكل والمضمون ويتوافر فيها مع الصدق ، جمال التصوير وكمالـه فتقوم الصور الجزئية بتأدية وظيفتها في داخل نطاق هذه الوحدة .

يستهل الشاعر القصيدة بوصف الموقف الشعوري الذي يعالجه وهو يرثي الشهيدة ذات الخمسة عشر ربيعا التي ثوت على سفح أريحا بجانب خيمة باكية والشاعر هنا يحسن اختيار المواقف النفسية النابعة من شعوره الداخلي وينتقي لها الالفاظ الموحية والمعبرة والمؤثرة ، وسد جثمانها الثرى وسرعان ما لفه النسيان . كما لف النسيان بلادها فلسطين وقد حنا الليل عليها فألقى عليها غلالة من هدوئه وسكونه وأسراره ، كما حنا عليها القبر فلفها بهدوئه وسكونه وسره ، ولم تجد الأنيس المؤاسي سوى النجوم التي تضيء ظلمة الليل من حولها ، ولكن قلب فلسطين كان اكبر في حبه وحنانه من كل قلب ، وتضم هذه الأم الرؤوم الى صدرها قلبين تمنحهما الحنان والسلام اللذين افتقدا مما على ظهر الأرض ، هذان القلبان اللذان وسدا صدر الأم الحدون " فلسطين "

---

(١) د . مصطفى ناصف - الصورة الأدبية - مكتبة مصر - القاهرة - ط ١ ١٩٥٨ ص ٣٧

مما قلب رجاء ، وقلب الكفاح الفلسطيني ممثلا بالشهداء الخالدين . ومع أن الدماء ما زالت تنزف من هذين القلبين كناية عن استمرارية البذل والعطاء ، الا أن هذه القطرات في نزيفها المستمر تطهر الوطن ويرتفع نورها ليضيء قلوب الشعب .

وينتقل في المقطع الثاني من القصيدة الى تجسيد عناصر الطبيعة بحيث تلمس قوة الفن المركب في شعر أبي سلمى الذي يمزج بين الغرض الوجداني والقصصي والغرض الوصفي وتشخيص الطبيعة وتجسيم مشاهدها ، كما يجمع بين وحدة الموضوع وتسلسل الخواطر وقوة الفكر وسمو الخيال مما يعد جديدا على الشعر الفلسطيني والشعر العربي الحديث والمعاصر ، فيجعل روح " رجاء " تناجي شاطئ يافا الذي لم ينسها كما نسيها الأهل ، بل كان وفيا حافظا للجميل ، ويفتقدها البحر ويجهش الموج بالبكاء وتهيج به عواصف الشوق ، وأخذ الشاطئ يسأل عنها فلا يجيبه الا رجع الصدى والهواء ... وينتهي الشاعر القصيدة بأن يمزج بين الماديات والمعنويات حينما يجعل روحها تهوي على شكل نجم صغير ... هوى على الأرض التي رويت بدماء الابرياء .

وهو يؤكد في هذه الصورة على أن دماء الشهداء هي مشاعل تضيء طريق الشعب ، وتنير قلوبه وتطهر أرض الوطن ، وهي معان جديدة وسامية ، ويعمد الشاعر في هذه القصيدة كما في القصائد السابقة الى اشراك الطبيعة احساساته في جميع مظاهرها وتكشف هذه الصور عن ثقافة الشاعر الواسعة وتجاربه الصادقة وعمق نظرته الى الحياة والخلق والطبيعة والحب .

١ـ منسية مثل بلادي رجاء ... مرت كما مر شعاع الضياء
أغفت على سفح أريحا ولا ... من أدمع الا دموع السماء
ولفها الليل برفق وما ... من مؤنس الا النجوم الوضاء
لما جفاها كل قلب حنا ... قلب فلسطين كما الحب شاء
وضمها بل ضم تاريخه ... قلبان ظلا ينزفان الدماء
يا قطرات طهرت موطنا ... يا مشعلا قلوب شعبي أضاء

.....

٢- لم ينسها شاطيء يافا فقد كانت تناجيه انا الليل جاء
وكلما سارت وأترابها شوقا على تلك الرمال الظماء
مال على أمواجه هامسا قد درجت فوق الرمال الظباء
والتفت البحر ولم يلقها ذات مساء .. أين غابت وجاء ؟!
وأجهش الموج وهاجت به عواصف الشوق ولا من لقاء
ويسأل الشاطيء عنها فلا يجيبه الا الصدى والهواء

.....

٣- ما حملت وجاء يوم الدوى الا شظايا روحها والدماء
مدت القدس جناح الهدى على جناح القدس كانت وجاء
ثم هوت نجما صغيرا على أرض تروّت بدماء الأبياء (١)

.....

تلك كانت مقدرة أبي سلمى الفنية في الأخيلة والصور الشعرية فهو لا يفوته أن يشخص الجماد والاشياء فيجعلها حية تدرك كل ما حولها من حركة، ويصور المشاعر والحوادث والمفاجآت ويصف الناس والشخصيات ملونا صورهم بشتى الانفعالات والحالات النفسية التي تتملكهم .كل ذلك في وحدة شاملة مترابطة تجمع بين أجزاء القصيدة كلها وتوحد بين أقسامها حيث تسلسل الافكار والترتيب المنطقي للخواطر ولهذا ، برع أبو سلمى في هذا اللون من التصوير والاخيلة على شكل يميزه عن غيره من الشعراء الفلسطينيين والعرب.

وأعتقد أنه وان كان يكثر من تزيين أخيلته المجنحة بباقات من مظاهر الطبيعة المختلفة والالوان والظلال والطيب والعطور مما جعل الدكتور ناصر الدين الاسد يتمنى لو قلل الشاعر من ترديدها حتى لا تلامس الحس وتجنح الخيال وتخدر الرقى (٢)، ففي رأيي أن ما يشفع له في خياله المجنح أنه كواحد من المتأثرين بالرومانسية يلجأ الى الطبيعة يبثها آلامه وخوالج ذاته فتشاركه معاركة وجدانية وتستجيب له بمناظرها التي تلائم احساساته واحواله ، فتعطي صوره فنا جميلا مركبا ، الا أننا في الوقت نفسه نقر الدكتور الاسد على أن كثرة ترديد عبارات وألفاظ الطيب والعطور والزهر والورد قد ترهق الحس وتكد الذهن ولكن الشاعر قد أحسن الملاءمة بين الألفاظ والعبارات التي جاءت في قصائده

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - المفرد - دمشق - ط ٢ ٢٩٦٣ ص ٩٢ - ٩٤

(٢) د. ناصر الدين الأسد - الشعر الحديث في فلسطين والاردن - معهد الدراسات العربية - القاهرة - ط ١ ١٩٦٠ ص ٣٢٠

أبو سلمى ناثـــرا

علاقتـه بالكلمـــة :

تبدأ علاقة أبي سلمى بالكلمة منذ عام ١٩٢٦ حينما نشرت له قصيدة فـــي مجلة الميزان الدمشقية التي كان يصدرها أخوه أحمد شاكر الكرمي وهي مترجمـــة عن قصيدة " اذكريني " للشاعر الفرنسي " الفريد د يموسيه " وكان أبو سلـــمى وقتها طالبا في مدرسة التجهيز " مكتب عنبر " بدمشق وتوالي بعد ذلك نشـــر قصائده في مجلة الزهراء القاهرية التي كان يصدرها محب الدين الخطيب فـــي مجلة المعرض البيروتية لصاحبها ميشال زكور ثم في مجلة الرسالة القاهريـــة لصاحبها أحمد حسن الزيات .

أما نشاط أبي سلمى في الصحف الفلسطينية فقد بدأ في الثلاثينات حيـــث كان يحرر الصفحة الأدبية في جريدة فلسطين اليافية لصاحبيها عيسى العيســـى ويوسف العيسى وكان يشاركه تحريرها صديقه الشاعر ابراهيم طوقان ، كما كـــان يكتب في زاوية أزهار وأشواك في جريدة الدفاع اليافية لصاحبها ابراهيم الشنطي ، وكان عضوا في عصبة القلم الفلسطينية التي كانت تضم : عارف العزونـــي ، رئيف الخوري ، حنا سويداء ، رجا الحوراني ، خليل البديري ومحمود سيف الديـــن الايراني ، وقد رأيت هذه الجماعة على اصدار صفحة أدبية خاصة في احدى الصحـــف الفلسطينية بأقلام اعضاء عصبة القلم . ومن الصحف الفلسطينية التي نشـــرت له مقالات أو قصائد : جريدة صوت العرب البيتلحمية لصاحبها عيسى البنـــدك ، ومجلة مرآة الشرق لصاحبها بولس عجاده وكانت تصدر في بيت المقدس .

وكان أبو سلمى ينشر قصائده ومقالاته في هذه الصحف باسمه الحقيقـــي تارة وباسمه المستعار " ابو سلمى " أو بأسماء أخرى يتستر وراءها مثـــل : ذو الخـال ، أحد الناس ، وابن قيس (١) .

أما في مرحلة ما بعد النكبة فقد تولى الاشراف على الصفحة الأدبيـــة في مجلة المضحك المبكي بدمشق لصاحبه حبيب كحالة وكان يذيل توقيعه باســـمه

---

(١) عصام العباسي - جريدة الاتحاد - حيفا - ليال من أوراق أبي سلـــمى عـدد ٢ نيسان ١٩٧٤ .

الحقيقي أو بأسماء مستعارة وكان ذلك في الستينات كما أسهم أبو سلمى بمقالاته وقصائده في المجلات العربية والسورية كمجلة المعرفة السورية ومجلة الهلال المصرية ، ومجلة العربي الكويتية ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وجريدة القبس الدمشقية ومجلة الثقافة الجزائرية .

كان أبو سلمى شاعرا مبدعا وكاتبا بارعا . ولئن كان أبرز آثاره هو شعره فان هناك صورا قلمية بارعة وقف فيها قلم أبي سلمى أيما توفيق وقد صورت هذه الآثار القلمية في الصحف أو القيت في المحاضرات والندوات أو المؤتمرات الأدبية .

وهكذا ، فكما حمله جناحاه القويان بعيدا في آفاق الشعر ، حملته خطاه الثابتة في ميادين النثر . كان شاعرا وكان كاتبا ثم شاء أن يقف بين الشعراء والكتاب يرفع بيده المخلصة الجريئة ميزان النقد الأدبي يزن به نتاجهم ويحكم له أو عليه كما شاء أن يقف من قضايا مجتمعة موقف من يرى الخلل ويلمسه فيدعو الى اصلاحه وينوه بكل عمل حسن ويدعو الى تحبيذه ولقد كان أبو سلمى ناقدا اجتماعيا كما كان ناقدا أدبيا فقد عالج عددا من الموضوعات الاجتماعية داخلية وخارجية بآراء ناضجة ولهجة صادقة نابعة عن ايمان مخلص للمثل الانسانية العليا .

أبو سلمى ناقدا

كأي ناقد تام الأداة ، كان لأبي سلمى في النقد آراء متلاحمة ، منبعثة عن ايمانه بمفاهيم عامة عن الشعر والشاعر والأدب والأديب .

ويرى الدكتور هاشم ياغي ، أن أبا سلمى ، كان أحد الشعراء الذين شاركوا في حركة النقد الأدبي في فلسطين قبل النكبة ، وممن يمكن أن يضووا تحت لواء الرومانسية (١) . وفي رأيي انه يجنح في نقده نحو التيار الرومانسي الايجابي الذي انتهى به الى حدود المدرسة الواقعية .

---

(١) د . هاشم ياغي - حركة النقد الأدبي الحديث في فلسطين - معهد الدراسات والبحوث العربية - القاهرة - ط ١ ١٩٧٣ ص ٤٩

ولعل من ابرز اعماله النقدية خلال هذه المرحلة : دراسته لشعر شوقي ، وتجمع هذه الدراسة بين النقد التفسيري ، والدراسة الجمالية والأدبية ، وانا راجعنا معظم المقالات والدراسات والقصائد التي كتبت أو ألقيت عن شوقي خلال هذه الفترة ، سواء في فلسطين أو في البلاد العربية الأخرى ، وجدناها حافلة بالمدح والتقريظ ، فقد بلغ من بعضهم وهو أستاذ كبير في مصر ، أن قال : ان اللغات بأسرها تعجز عن وفائه حقه ، فانا أردنا أن نرثيه فيجب ان نخترع لغة جديدة وبيانا جديدا لعلنا نستطيع أن نفيه حقه ، وهيهات أن نستطيع ذلك "(١) فانا عرفنا هذا ، أدركنا أن موقف أبي سلمى في هذه الدراسة كان دقيقا وحرجا .

والواقع أن اعجاب أدباء وشعراء فلسطين بشوقي قد فاق اعجابهم بأي شاعر آخر في الوطن العربي ، يدل على ذلك ، وفرة ما كتب عنه ، ووفرة عدد الشعراء من أبناء فلسطين الذين رثوه بقصائدهم (٢). وقد قام الشاعر والأديب المحقق محمد خورشيد الحدناني بجمع وترتيب هذه المقالات والمحاضرات والقصائد التي كتبت وألقيت عن شوقي في كتاب بعنوان " أمير الشعراء شوقي بين العاطفة والتاريخ " .

وقد ألقى أبو سلمى هذه الدراسة في محاضرة في النادي الثقافي العربي بالقدس عام ١٩٣٢ وهي واحدة من المحاضرات والندوات التي نظمتها لجنة احياء ذكرى شوقي في مدن بيت المقدس ، ونابلس وحيفا بمناسبة ذكرى الأربعين لوفاته (٣) .

يعرض أبو سلمى للناحية الاسلامية ، والحياة والطبيعة والمرأة فيرى في شعر شوقي الاسلامي ، أنه كان لها أثر بارز في تبوئه هذا المركز الفخم بين شعراء العصر الحديث . ويتحدث عن الاسلامية في شعر شوقي فيقول : "لعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان الاسلامية هي التي أغنت بيد شوقي وكانت له أكبر

---

(١) د . عبدالرحمن ياغي - حياة الأدب الفلسطيني الحديث - المكتبة التجارية للطباعة والنشر - بيروت ط ١ ١٩٦٨ ص ٥٤٢

(٢) د . كامل السوافيري - الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر - مكتبة الانجلو المصرية ط ١٩٧٣ ص ١٣٥

(٣) محمد خورشيد الحدناني - امير الشعراء - شوقي بين العاطفة والتاريخ مطبعة بيت المقدس - ط ١ - ١٩٣٢ ص ١٦٤

عون على تبوء هذا المركز الفخم ، ولا أعني بقولي هذا ، أن الروح الاسلامي وحده هو الذي ناوله اللواء بل ان الأدب الاسلامي الذي يشرق في شعره فتن القلوب وسحر الألباب وأنجده وأيده فلا عجب ، انا التفاته الى "عالق العرب" محمد بن عبدالله قائلا :

أشرق النور في العوالم لما بشرتها بأحمد الأنبياء

ومردنا

بك بشر الله السماء فزينت وتضوعت مسكا بك الغبراء

واذا أراد أحد زيادة في معرفة الاسلام قال :

ولا أزيدك بالاسلام معرفة كل المروءة في الاسلام والحب

وشوقي لا يكتفي بالموضوعات الاسلامية ، بل تستهوى نفسه هذه اللمحات والحوادث الاسلامية المنبعثة في أرجاء شعره تكلمك من بين السطور والملك الاسلامي يكاد يمارك فتلمس جلاله وترى جماله " (١) .

أما الحياة في شعر شوقي ، فمن وجهة نظر أبي سلمى أن الشاعر رسول يؤدى رسالته كما أوحيت اليه ويطابعها الخاص ثم يطويه الزمان ، وتبقى رسالته كما هي خالدة أبدا " .

ولو كان شوقي في موضع حافظ ورأى الجانب الأسود من الحياة لكان للبؤس ألحان خالدة ، وللدمع بيان ناطق في كل زمان ومكان ، لأن الشاعرية وحدها لا تكفي لتصوير ألم الغير ، كما أن الألم لا يكفي لخلق الشاعرية (٢) .. "

ونلاحظ في هذه الفقرة ، أن أبا سلمى قد تنبه الى الشيوط الاجتماعية التي كانت تقيم الفرق بين حافظ وشوقي ، فهو في هذه اللمحة الذكية والرؤية الواقعية ، انما يعطي تعليلا دقيقا لأثر البيئة والظروف في التكوين النفسي والاجتماعي للشاعر .

---

(١) محمد خورشيد العدناني - امير الشعراء - شوقي بين العاطفة والتاريخ مطبعة بيت المقدس - ط ١ ١٩٣٢ ص ١٦٥

(٢) المرجع السابق ص ١٦٩

ففي حين كان شوقي ابن بيئة غنية مترفة ، فقد نشأ حافظ ابراهيم يتيما فقيرا . لذا كان من الطبيعي أن يجيء شعر الحياة عند كلا الشاعرين انعكاسا لواقع بيئة وظروف كل منهما .

ويرى أبو سلمى في شعر الطبيعة عند شوقي أنه يمثل قوة احساس الشاعر بجمال الطبيعة ، وصدق عاطفته لها حيث اجتلى من وجه الطبيعة قسمات الجمال يتخير منها ماء الحسن فقال في لبنان :

لبنان والخلد اختراع الله لم يرسم بأزين منهما ملكوته
ملك الهضاب الشم سلطان الربا هام السحاب عروشه وتخوته

ويصف ربوعه وربوته والتين والتوت فيه فيقول (١):

وكأن أيام الشباب ربوعه وكأن أحلام الكعاب بيوته
وكأن اثداء الفوائد تينه وكأن أقراط الولائد توته

أما ما ذهب اليه شوقي في كلامه عن المرأة ، فلعله كما يقول الدكتور هاشم ياغي من أبرز مآخذ أبي سلمى على شوقي (٢) .

يعرض أبو سلمى لهذا الجانب من الشعر فيقول : " ان نظرة شوقي للمرأة كانت نظرة انسان عادي فقط ، يراها فيتعجب كيف أن هذا الجمال مبرقع ، وجمال الطبيعة سافر ، ثم ترده التقاليد ، وتستبد به فيقف في موقف التلميح ، والايحاء فهو قلق متحير بين عاطفته الفنية وتقاليده .

لم تملأ المرأة أرجاء قلب شوقي ، بل أكاد أقول ، ولا ناحية فيه لم يساجلها الرياء والصدق والنبل واللؤم ، لم تمر قلبه فينقلنا الى عالم النعيم ، ولم تحطمه فيهوي بنا الى الجحيم ، ولم تلعب أنامله الرقيقة بأوتار قلبه فيحن حنينا ، ولم تعصف فيئن أنينا . الى أن يقول " وقد يتكلم شوقي عن المرأة - وهذا نادر - ولكنه يتكلم بلسان شعراء الماضي ، وعجيب

---

(١) محمد خورشيد الحدناني - امير الشعراء - شوقي بين العاطفة والتاريخ مطبعة بيت المقدس - ط ١ ١٩٣٢ ص ١٧٨

(٢) د . هاشم ياغي - حركة النقد الأدبي الحديث في فلسطين - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة - ط ١ ص ١٣٠

أن يكون أمير الشعراء في ظلال المرأة شاعرا مقلدا وعجيب أن لا تقف في طريقه " بنت حرام" تمدّه الحجل كي يصبح شاعر العرب شاعرا عالميا وانا دعاه المحيط وأهابت به النهضة النسائية لمناجاة المرأة كانت تلك النجوى مما لا يطّلع على الأفئدة ..(١) " .

واضح في هذه الفقرة ، أن أبا سلمى يرى أن شعر شوقي في المرأة ، لا يعدو كونه من الأغراض التقليدية التي لا تنبئ عن عاطفة صادقة ، وأن اغلب شعره في هذا المجال متكلف ، لأن قلب شوقي لم يعمره حب المرأة ، ولهذا فقد خلا من أي مضمون حقيقي للحب ، أو الخواطر والاحاسيس النابعة من نفسه ووجدانه . ولو اتيح لشوقي هذا الحب الحقيقي للمرأة ، لما استحق أن يكون شاعر العرب فحسب ، بل شاعرا مرموقا في صف الشعراء العالميين .

ونلاحظ أن أبا سلمى يحرص على التفسير والتعليل في هذا النص حرصه على التقييم واظهار القيم الجمالية والأدبية . وهو في أسلوبه يعبر عن رهافة شديدة في الاحساس ولمحات ذكية في التحليل والتعليل ، وان كان مما يؤخذ عليه ، فهو استعماله بعض المجازات على غير مقتضى الحال كقوله في الجانب الاسلامي من شعر شوقي : " فلا عجب اذا ، في التفاته الى خالق العرب محمد ابن عبدالله " وهو يقصد باعث العرب على مثال لم يسبق اليه .

فالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لم يجئ لشعب خاص أو قوم معينين وانما جاء هاديا ومنيرا للناس كافة . قال تعالى في كتابه العزيز : " قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا " (٢)

كما أن الخلق صفة من صفات الله تعالى ، وان كانت وفق التقدير المجازي في كلام العرب ، " غير مصحوبة بالألف واللام " تعني ابتداع الشيء على مثال لم يسبق اليه (٣) .

---

(١) محمد خورشيد المدناني - امير الشعراء - شوقي بين العاطفة والتاريخ ص ١٧٣

(٢) ابن منظور - جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري - لسان العرب - الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر - المجلد ١١ ص ٣٧٢

(٣) القرآن الكريم - سورة الاعراف - آية ١٥٧

رسم الشخصية

وقد عني أبو سلمى بأسلوب رسم الشخصيات ففي هذا الأسلوب من حسن اختيار اللفظ ومراعاة التأليف وجمال النسيج ما يلفت النظر . ومن نماذج هذا الاسلوب ما رسمه قلمه لشخصية الفنان المرحوم يحيى اللبابيدى(١).

" يحيى اللبابيدى - صفحة فنية طويت - غاب الفنان وترك أثرا وفنا في كل بلد عربي ، فنه شعر وموسيقى .

كان يحيى اللبابيدى شاعرا بحسه وروحه ، شاعرا بانتقاء كلماته واختيار معانيه ، يأتي الى اللمحة الخاطفة أو النقدة المبتكرة فيلبسها ثوبا جذابا فكها فيتقبلها الناس جذلين .

وكان الروح الشعرى يغني في قصائده وأغانيه الشعبية ، كان شاعرا بلحنه ، هذا اللحن الشرقي الهفهاف الذى يتغلغل في القلب ، ينتخب اللحن صب الاغنية ، اللحن الصادر الحلو ، اللحن السهل الممتنع .

غاب يحيى عن العيون واغانيه ملء الأسماع تتردد في كل فضاء عربي مداها في كل واد أينما كنت في ظلال الأرز ، أو في تلب الغوطة ، في وادى النيل أو على ضفة دجلة تسمع من كل فم عنب :

يا ريتني طير لأطير حواليك ، مطرح ما تروح عيوني عليك
ما تغلي غيرى يقرب ليك ، يا ريتني شعره بجفونك ، لأرد الشمس عن عيونك
وتعلم سحرك وفنونك .

وكثير من هذه الأغاني العذبة ، اغاني يحيى اللبابيدى عمر كعمر الورده ثم ذهبت الفنارة والعبير . حياتان متشابهتان .

ابراهيم طوقان ويحيى اللبابيدى ، حياة الشاعر وحياة الفنان كانا يعيشان لفنهما مخلصين له ، ذلك للشعر وهذا للموسيقى وهل الموسيقى الا شعر .

---

(١) كان يحيى اللبابيدى مدير القسم الموسيقي في دار الاذاعة الفلسطينية بالقدس . ولد في بيروت سنة ١٩٢٠ توفي في الثالث عشر من آيار ١٩٤٣ أنعم آل الجندى - أعلام الأدب والفن - دمشق - ط ١ ١٩٥٤ ص ٣٥٨

كانا ينعمان بالحرية يغردان في هذا الفضاء الرحب يغنيان عند كل زهرة ، وفي كل روض ، وأمام كل حبيبة . استعذبا الزواج ثم حطمهما المرض فرحلا الى العالم الآخر ، وترك كل واحد منهما زوجة كريمة وفية وولدا وبنتا صغيرين .

يا يحيى

لقد سبقك ابراهيم الى العالم الآخر ، ولعلك وجدته الآن يغرد على ربوة من روابي الجنة فالتقيتما بعد فراق غير طويل ، فغردا معا هناك بعدما ملأتما هذا العالم بالأغاريد .

على أنكما أيها الصديقان أحياء في قلوب أصدقائكم ، أحياء في أشعاركم وأغانيكم ، أحياء بيننا في الغدوات والروحات في كل حين . أنتم أحياء ولو كنتم وراء الغيب خلف الغاطي المجهول (١) » .

والصورة التي يرسمها أبو سلمى لشخصية الفنان يحيى اللبابيدى ، تنبض بالحياة وتجعلنا نشعر بالسمات الفنية التي تميزت بها هذه الشخصية ، هذا الفن العميق الذى تميز به يحيى اللبابيدى لا يمكن أن يكون عارضا ، انه متأصل في نفس الرجل ، كيف لا ، وهو كما يصفه أبو سلمى شاعر بحسه وروحه ، والروح الشعرى يغني في قصائده .

وعن علاقة الشعر بالموسيقى يقرر أبو سلمى أن الشعر والموسيقى شيء واحد يشد بعضهما ازر بعض يغنيه ويثريه . وهذا الرأى يتفق مع ما تنادى به المدرسة الرومانسية بالصلة الوثيقة التي تربط الشعر بالموسيقى وباشتراكهما معا في عنصر الايقاع وبأن الموسيقى والشعر يتلاقيان بحيث يحدث من اندماج اللحن بالكلمة أن تصبح لحظة الحب أكثر روعة واشراقا "٢" .

ويوازن أبو سلمى بين الموسيقار يحيى اللبابيدى والشاعر ابراهيم طوقان فيبين أن كلا منهما عاش لفنه مخلصا له ، ذلك للشعر وهذا للموسيقى وهما

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة الدفاع - أشواك وأزهار - ٩ آب ١٩٤٣ .

(٢) الدكتور نعيم حسن اليافي - الشعر بين الفنون الجميلة - المكتبة الثقافية - ط ١ ١٩٦٨ ص ٣٤ - ٣٥

متغابهان في عمقهما للحرية ، فهما كانا ينعمان بالحرية يغردان في هذا الفضاء الرحب ، يغنيان عند كل زهرة ، وفي كل روض وأمام كل حبيبة ، وكلاهما استعذبا الزواج ثم حطمهما المرض فرحلا الى العالم الآخر ، وترك كل واحد منهما زوجة كريمة وفية وولدا وبنتا صغيرين ، وكلا منهما ملأ هذا العالم بالأشاريد ، فهم أحياء في أشعارهم وأغانيهم .

النقد المسرحي

مسرحية " ثورة بيدبا " للأديب اللبناني رئيف الخوري

قبل أن نعرض لأبرز الجوانب في نقد أبي سلمى لمسرحية ، ثورة بيدبا المصرية وهي من نظم وتأليف الأديب اللبناني رئيف الخوري ، لعله من المفيد أن نعطي موجزا للفكرة التي استمدت منها أحداث هذه المسرحية وشخوصها .

بعد أن استتب للاسكندر الكبير الحكم في الهند ، ووضع عليها ملكا من أتباعه ، وقفل راجعا ، ثار الهنود على هذا الحاكم وعلموه ، ونصبوا مكانه ملكا منهم اسمه " دبشليم " لا يكاد يستقر على العرش حتى يطغى ويتجبر ، ويفرض على شعبه اثقل الضرائب ، ويصطنع لتحصيلها أفظع الأساليب حتى يعم البؤس ، وينتشر الظلم بين الرعية فيرى الفيلسوف " بيدبا " أن يذهب الى الملك ليعظه فتكون نتيجة هذا النصح أن يودع السجن (١) .

يستهل أبو سلمى نقده لهذه المسرحية بالتنويه بالقيمة الفنالية ، والانسانية لهذه المسرحية نظرا لما تحققه من ازاحة الستار عن عيني الشعب المظلوم حتى يرى النور ، ثم يستعرض لأهمية الأدب الملتزم الذي يؤدي رسالته الشعبية فيقول :

" ما قيمة الأدب اذا لم يؤد رسالته الشعبية وهي ازاحة الستار عن عيني الشعب المظلوم حتى يرى النور ؟ ! " .

---

(١) لخصت هذه الحكاية التي هي مصدر المسرحية الانسانية عن مقدمة كتاب كليلة ودمنة الذي وضعه الفيلسوف بيدبا - مطبعة كرم - دمشق - ص ١١ ، ١٢ وعن قصة وضع كتاب كليلة ودمنة - التعريف في الادب العربي ج ١ - ط ١ - بيروت - تأليف رئيف خوري ص ٢٣٦ - ٢٣٧ جريدة فلسطين - ٥ نيسان ١٩٣٦ ثورة بيدبا من الادب العاصف

وهل هنالك اسمى من هذا الأدب الذى ينقل لنا آمال الشعب وآلامه ، ويقوم بتحليم الأغلال التي ترهق عقله وجسمه .

هذه هي رسالة الجيل الحقيقية التي يقوم بها رجال الفكر الحر في أوربا ، والتي لم يلمع على أفقنا منها الا ومضات تظهر وتختفي ، حتى جاء رئيف الخورى وحمل لنا مسرحيته الشعرية " ثورة بيدبا " هذه القصة التي يتنورها العالم العربي الآن ، هذه الرسالة الشعبية يؤديها أحد أفراد الشعب صادقا مخلصا وكأنني برئيف مختبئا خلف أحد الأشخاص الذى يقول :

جئت عبدا واحمد الحظ أني جئت عبدا لأنني سأثور

وثورة بيدبا أبدعها نبل الغاية ، وروعة البيان أضف الى ذلك مجيئها في زمن هو في أشد الحاجة اليها والى مثيلاتها .

في المسرحية تحليل للنفسيات ودقة في تصوير الحالة المضطربة التي تغلي ، ولا أريد أيها القارئ أن أبحث لك في كل شخصية مسرحية ولكنني أعرض عليك ثلاث شخصيات تمتلك عليك المشاعر .

ثم يستعرض شخصيات المسرحية الرئيسية الثلاث :

أولاها (- ماه - مايا) وهي امرأة هندية عجوز لم تقو الأعوام ولا سياط الظالمين على قتل ما في أعماق نفسها من حب للحياة والحرية . انظر اليها كيف يقوع قلبها بالتجاديف على وجه الماء ، وكيف يصيح في وجه الطاغية .

" الساعة التي يفيق فيها النائمون آتية " . وانظر اليها كيف تصرف غرس يديها فترتقب قدوم ولدها ليثور " .

" يثور شبابه ويفور غيظا ، ويضرم من حواليه اللهيب "

هذه الأم الهندية اعجبت بها لأنها تلقي على الأمة العربية درسا في خلق الفتيان الثائرين .

أما الشخصية الثانية ، فهي الشباب الثائر الذى يمثله الفتي " كنكا " فهو مهما قال لا ترى الا شملات تتطاير في الفضاء ، يخرج من بيته بعد ما

يترك أمه الباكية ، وأباه الجريح وهو يقول :

سنرسلها ثورة في البلاد ، يواكبها اللهب الاحمر

وحينما يسأله رفيقه عما به ، يجيبه :

الشمس تهبط جمرا ، وفي وحي جمر يسيل

وعندما ينزع الشباب المهتدى من خوض المعركة يزمجر قائلا :

ويح الشباب يظل يغط فوقه ، مستعبد ويظل لم يتفجر

وانا ارتمس السامعون ، وهمسوا في أذنه ان اخفض صوتك فالجواسيس في كل مكان صاح بهم :

الجواسيس اين هم ؟ انا اخشى ، انهم من خيال رأس جبان

إن يكونوا هنا ، فلست من الديدان ، حتى أهشم الديدان

وانا أراد صاحبه أن يبكي ألما هزءوا به :

تبكي ؟ لمانا لا نثور على الطغاة الأشقياء

ونسل في الأرض السيوف الناقمات وفي السماء

وهنا يكون الثائر مفكرا فيمضي الى حكيم الهنود ، ورأس البراهم عسى لديه خطة لتكسير نير المظالم ويحييه بتلك التحية الحمراء

وليس لي من ملاحظة على هذه الشخصية الفذة الا قوله :

" اطعنوه اننا لا رحمة فينا ولا عطف "

بلى ان المظلومين الذين يتحررون رحمة وعطفا فانهم مهما صنعوا بالظالمين فهم راحموهم ، لأنهم لا يتوصلون الى عشر معشار ما عملوا بهم ، ويشهد بذلك دكتورنا العزيز(١).

أما الشخصية الثالثة فهي شخصية المصلح " أبي الأحرار " بيدبا فهو أنى نصب وكيفما دار يلقي بذور الاصلاح ، ويقول الحق مهما لاقى من أذى ويقلب وجوه الآراء على ضوء العقل الرجيح (٢) .

زعموا النزوح هو الخلاص ، واشمئز من النزوح

وارى ضميري ان لزمت الصمت ليس بمستريح

.....

---

(١) كناية عن الاستعمار - وهو هنا يقصد السخرية بما يدعيه الاستعمار من انه جاء لاصلاح أحوال الشعوب .

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة فلسطين - ٥ نيسان ١٩٣٦ - ثورة بيدبا - من الأدب الهاصف

ولما يعرف أن الاخلاص لا يكون الا بالذهاب الى دبليم الملك بالوجه الفصيح ، يتضضع ضعاف الايمان ، ويتذرعون بالاسباب وما أبدعه موقفا حينما يتذرع بعضهم بقول العلماء " ان سليم العقل لا يجرى والتمساح في لجة ماء " .

يصيح بيدبا رأس العلماء هذه الصيحة الداوية :

شرف العلم لا يقوم بثوب ، خذ لبابا وخل عنك قشورا

صاحب العلم من يرى كل يوم يطلب الانطلاق والتحريرا

يقتضي العلم أن تفكك قيدا كل يوم وأن تحطم نسيرا

.....

ثم يلتفت ويشير الى ما يهم العلماء ذلك الزمان وهذا الزمان :

همهم ما همهم ؟ مركزهم مركزهم قام على مص الدماء

لا يغرنك ما يدعونه حكمة تلك احتجاج الجبناء

.....

وانظر الى الشيخ المصلح ، كيف يحييه هتاف العزيمة في الشباب ، وانظر الى حبوره حينما يرى أن فكرته ثابتة في النفوس عندما يحييه كنشكا

تحية معلم الهند أبا أحرارها

وانت من ثوارها ونحن من ثوارها

.....

فيمضي في تنفيذ خطته ويوصي التلميذين الثائرين أن يرفعا الرايات اذا قضى ولم تتحقق الأمنية

وان غالتني غائل المستبدّ فسيرا كما تريان المجال ...

.....

وهذا ، ترى عين الحكيم النفاذة ما تخفيه الليالي بين طياتها فيصف الثورة :

ويا روعتها من منظر .. وانظر اليه كيف يؤدى رسالته الفكرية في أى وقت ، والى أى شخص وذلك حينما يقول للجندى الذى سيلقيه في غياهب السجن

الق يا جندى لي سمعا وخذ مني اليقين

يقظة حتى م تبقى آلة للظالمين

انما أنت على نفسك للظلم معين

" ... وعندما ينتصر الحق ، ويتحرر العبيد يحيطون به ، ويطلبون أن يلمس التاج فوق الشيبة الطاهرة ، فتلتهب الفكرة الانسانية الحرة فيقول :

يوم ثرنا على التجبر والبغي كأنا قذائف البركان
ما أردنا الا بأن يخلص الانسان من نير ربه الانسان

هذه هي الشخصيات الثلاث ولا أعني بذلك أن بقية الشخصيات باهتة اللون ، فكلها من الملك الظالم الذي يريد أن يطمس الضمير ، الى الوزير الموظف الذي يتمرغ في حمأة الرياء والنفاق ، وبيع الوجدان لأجل قبضة من الذهب والورق الى قابس ، هذا الشخص الهزلي الذي لم يجد له ابو الخطاب[1] موقفا هزليا مع أن له " أربع مواقف "[2] ولا يضرنا أن لا تكون ممن تلقى على الظهر من الضحك ، بل يكفي أن تكون خفيفة الدم ، أقول ، ان كل هذه الشخصيات رائع وجميل ...

وقد أخذ بعض الناس على المسرحية أنها خالية من اللون الغرامي ، ومع أنني والمؤلف نفسه ممن يؤمنون بسلطان الضعيف ، ويخضعون له فانني لا أرى لزوما له ، في أمثال هذه المسرحيات التي تصف حالات الأمم المغلوبة على أمرها والتي تسعى الى سحق القوى الغاشمة التي تدوس على أعناقها .

"والمسرحية خطوة جبارة نطلب أن تكون وراءها خطوات حتى يفوز الشعب[3]"

وفي رأينا أن الكثير من ملاحظات أبي سلمى ، وتحليله للمسرحية يستحق الاعتماد ، كما أنه مما يشهد له بالفطنة وسلامة الذوق ، وسعة الاطلاع التاريخي ، وهو في دراسته لهذا النص يواصل نفس الاتجاه التفسيري والتقييمي . وقد صب أبو سلمى جانبا كبيرا من اهتمامه على مناقشة المذكلة الاجتماعية الأخلاقية التي تتضمنها المسرحية .

---

(١) هي كنية رئيف الخوري
(٢) وجدت في النص على هذه الصورة ، والصواب " أربعة " لأن مفردها مذكر حيث ان العدد يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر .
(٣) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - جريدة فلسطين - ٥ نيسان ١٩٣٦ - ثورة بيدبا - من الادب الهادف .

وفي رأيي أن ملاحظاته الفنية قد جانبها التوفيق ، وخاصة في تأييده لموقف رئيف الخوري من عدم ادخال الجانب الغرامي في المسرحية ، وهو ما عابه عليه بعض النقاد ، فالواقع ، أن مسرحية جادة كهذه المسرحية لا تحتاج الى وجود العنصر الغرامي فيها . الا أن أبا سلمى لم يتطرق في دراسته الى لغة الحوار ، وتطور الأحداث ، اذ أن الحوار الشعري في هذه المسرحية لم يكن حوارا بالمعنى المسرحي الدقيق ، ولم يطور الاحداث ، ويدفعها الى الأمام فيصبح وسيلة للكشف عن مواقف الشخصيات ، وتصوير أزماتهم .

.....

وهو في ترجمته للأدباء والشعراء من اصدقائه الذين عرفهم وخالطهم ، يفتح أمامنا كثيرا من الموضوعات ، وكثيرا من مضايق النفوس ، مما له اتصال بأدبهم ، ومما له اتصال بتاريخ الحياة الأدبية العربية المعاصرة . ومن الأدباء الذين ترجم لهم في هذه المرحلة ابراهيم عبدالقادر المازني ، وأمين نخله .

مع المازني :

أشفق أبو سلمى على صاحبه المازني ، وجزع على الحب وجنونه بعدما توالت مقالات المازني في الحب والمرأة التي نشرها على صفحات مجلة الرسالة القاهرية وسخر فيها من الحب والمحبين ، مبينا أن الحب نار لا بد أن تخمد ولا تبقى منه سوى ذكراه بعد ان تفتر الحرارة وتسكن النفس ، ويزول الاضطراب والقلق أو تنتفي دواعيهما بفتور الرغبة (١).

ويقول أبو سلمى مبررا نقده لمقالات صديقه المازني وتصديه للدفاع عن الحب والهوى الذي عرفه المازني في المرحلة الاولى من حياته ، وأشار اليه في العديد من قصائده التي يتمثل أبو سلمى ببعضها :

« ما قرأت كلمة استاذنا المازني » في الحب والمرأة « الا أيقنت أن هنالك مؤامرة على الحب - واحسرتا - فجزعت .. لا على الأستاذ المازني

---

(١) ابراهيم عبدالقادر المازني - مجلة الرسالة القاهرية - في الحب والمرأة العدد ١٣١ - ٦ يناير ١٩٣٦ ص ٤٣

فانه اذا لوّح بيده أو زوّى ما بين عينيه ، رفع خصومه الرايات البيض ، ولا على المرأة ، فان لها من لسانها الطويل بقطع النظر عما اذا كان وراءه شيء أم لا ـ قد تستطيع به الوقوف أمام المازني ، ولكن جزعت على الحب في هذا الزمن الذي طغى فيه العقل .. أو مجموعات الاختيارات والامزجة والطباع ـ ولو أستطيع لرضيت به (أي العقل) مربوطا بكتلة من الحديد تنقله الى الهوة السحيقة التي تليق به [١] " .

ومن الواضح أن أبا سلمى كأديب وناقد تأثر بالمذهب الرومانتيكي الذي يعتمد على الوجدان والعواطف أكثر من اعتماده على ضوء العقل الكاشف لحقائق النفس ، والمحلل لعناصرها [٢] لا يستحسن طغيان العقل على هذه الصورة من التقنين الذي يعتمد على الاختبارات التي تجرى على الامزجة والطباع ، بل بلغ الجزع والقلق بأبي سلمى حد التعبير عن رغبته " كما تقدم " بالقاء العقل الى هوة سحيقة تليق به لو استطاع .

ويستطرد أبو سلمى في نقده للمازني بقوله : " وما دام المرء يخلق كل يوم خلقا جديدا فلم لا تأخذ الخلقة التي نميل اليها وتستهوينا ؟ " .

وما دام الانسان يتحول الى صور شتى فلم لا نهفو الى الصورة التي تروق في أعيننا ، والحياة قصيرة والهوى فضاح [٣] .

ويعود أبو سلمى الى قصائد المازني التي تصور ذكريات حبه بأسلوب القلق المعقد على صديقه من هذا التقلب الذي دفن فيه المازني ماضيه وذكرياته المفعمة بالحب والتي يعتز بها أصدقاؤه ومريدوه .

يقول أبو سلمى : " فلأعمد اذا الى أعماق الماضي الى المازني الفتى الذي دفنه :

مات المازني ثم أتى ... من مازن عنده على الأثر [٤]

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ مجلة الرسالة القاهرية ـ المازني العاشق العدد ١٣٩ ـ ٢ مارس ١٩٣٦ ـ السنة الرابعة ص ٣٧١

(٢) د . محمد مندور ـ الأدب ومذاهبه ـ مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة ـ ط ٣

(٣) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ مجلة الرسالة ـ المازني العاشق العدد ١٣٩ ـ ٢ مارس ١٩٣٦ ـ السنة الرابعة ـ ص ٣٧١

(٤) هذا البيت لأبي سلمى

أزيل عنه اللفافات وابعثه بشرا سويا تتوهج عيناه بنور قلبه ، أيها الفتى المازني ! أين أنت تنتقم من المازني الذي أتى على الأثر وتكون لنا عونا عليه ؟ " .

مع أمين نخلة :

كتب أبو سلمى يقول : " بعد اطلاعه على كتاب " المفكرة الريفية " الذي أهداه اليه صديقه الشاعر والأديب والمحامي اللبناني " أمين نخلة " " أقرأ ما كتب فأنا حريص على هذه الحروف المضيئة التي تنضدها أصابعك ولا أدري هل تكتب بالأزة الغالدة الفضارة الابدية الأثالة ، والا فما هذه الفضارة والأثالة في شعرك ونثرك .

أخي أمين .

القلب يتلفت اليك كل حين وقد تفتح على مفكرتك الريفية ، كما كان يتفتح على شعرك وأدبك وعاطفتك ، فكأنما نثرت من المتى في هذا القلب الف نجم (على حد تعبيرك) .

لقد مسحت غبار السنين عن الكلمات ووضعت فيها سنى وحياة من اشعاعك وقلبك وجعلت الريف أنضر قلبا وكان حران عليا ، ونجم قرب الدار ، ووارف الظل وعذوبة العين أولا لا يكفي ذلك الريف ما له من طي ، وأردان موشاة جعلته بها الطبيعة هناك ، حتى جئت أنت وزينته وعطرته ، وزدته نورا على نور وطيبا على طيب ؟! وماذا تركت لريفنا هنا ، ولو نفحت فيه من روحك وأدبك لا تمر وشاه على كل ريف حتى ريف لبنان !

ولكن ماذا أقول وحفنة من تراب الباروك " تناديك " فتضني لها الى الأبد ، ونظرة دامعة من عين الباروك تعمر قلبك فتهب تلك الديار الأدب والعباب والديار وتربة الصبا كما قلت أنت .. هي التي تحضن الأذواق والانساب

والطبائـــع .

يا أيها الناس ان البعد ود فمي فمن يقبل عني أرض لبنـــان

لا أستطيع أن أصف أدبك وفيه رائحة لبنانك وشبابك الا بقول عمرو بن عبيـــد رأس المعتزلة ، على ما في ذلك القول من لوثة أعرابية ، حين قيل له ما البلاغة فقال : « تخير اللفظ في حسن الافهام وأنت الذى تطلع على الافئدة بنظرة وتفتـــح آفاقا بكلمة ، وتخلق دنيا وات بجملة ، كل ذلك لأن قلبك يلحظ قبل عينيـــــك ولحظة القلب كما قال صاحبك أبو العباس بن المعتز - أسرع خطرة من لحظـــــة العين وأبعد مجالا ، والعاقل يكسو المعاني وهي الكلام في قلبه ثم يسديهـــــا بألفاظ كواس في أحسن زينة فأنت ، أنت وصلت العصرين بحبل الأبد ، لقـــــد أخذت بيدى وسرت في الدرب التي بين البيوت في اثر بعض الخطوات العزيـــزة ، ووقفت على محطات التذكر في تلك الدروب الريفية ، درب الأثل التي تمشي علـــى مواها وتتبعها الأجيال .

كم جعلتني أتلفظ عندما ذكرت التفاح الذى فتح عيني آدم للنور ، وجعلتني أتحين الفرص لأسرق - نعم لأسرق - وأنا وأنت محاميان ! منديلا عزيزا لأغمـــه في عين تغفو في أصل الجبل وأستقبل به وجه الشمس عسى أن أحمل على الســـلوان ... يا ليتنا كنـــا خليينـــا !

وماذا أقول عن نسيم الجبل ، وحمولته الباطنة من الاشواق والتحيات والقبلات ، وتلك العجرة التي لم تزل تنظر في الطريق ، وذلك البساط الأخضـــر الذى نهضت زواياه الاربع تتلفت ، وتسأل عنك ولا تخف أن يضيع عن الجبل فـــاذا أضعتك دلني القلب ، وذلك النهر الذى ينضب بألف قصة كل يوم ، والقصـــــب الذى تكتب به طلاوات الرسائل في القرية وتنضج فيه أنغام الصبابة في كـــــل واد ... وتلك الحدائق التي لا يفرغ قلبها من الهوى ما دام النسيم قلقـــــا يحمل الأريج ، والفلاحات اللواتي يتهادين بالغلائل المذيلة والعصائب الملونـــة في المنحنى ، أيام العناقيد والقطاف ينسمن خلف السطور فتتأرجح الأحـــرف وتتموج من الحدود والثغـــور .

الكلام عن كتابك في ثلجي كبير ولئن تلجلج لساني الآن ولم يف قلمي ، فالامل باللقاء غير بعيد ، وعندها أفتح قلبي فتقرأ وتعيد[١] ! ... "

وبعد هذه التصورات والخواطر الرومانسية التي أفرغها أبو سلمى في قالب هو بالشعر أشبه يتناول بعد ذلك المفكرة الريفية بالنقد مكتفيا بالملاحظات التالية : يذكرها على استحياء لأن المفكرة نالت اعجاب أبي سلمى بعمومها .

" على أن لي همسا أجعله خرزة زرقاء أرد بها العين عن الكتاب ، ذكرت كلمة القارئ ، في مواطن كثيرة ، ففي قصة الوردة ، اصطدمت بها عشر مرات فالقارئ الذي يحتاج الى شد أذنه عشر مرات في موضوعات الحب والوردة والبلبل ، لا حاجة لنا به يرحمه الله . وكلمة الف على فمك منذ القديم ، هذه الكلمة التي تزاحم ، كلمة القارئ في كتابك ولا أدري لماذا يقول الناس " كما يقام للاجلاء " بعد قولك الرائع قام الريف لنيسان وتلك العين العادية في أصل الجبل كيف تسميها خرّارة ؟

أيها الحبيب الأليف أنت حامل لواء وصاحب مدرسة في الأدب حفظك الله[٢] " .

ولعل اعجاب ابي سلمى بأدب أمين نخلة وطبيعة لبنان هو الذي جعله يقول : " لا أستطيع أن أصف أدبك وفيه رائحة لبنانك وتبابك " .

ونكتفي بهذا القدر فيما كتبه أبو سلمى من دراسة ونقد لعدد من أشهر الأدباء في مرحلة ما قبل النكبة .

والواقع أن ناقدا مثقفا كأبي سلمى يمتلك من القدرة على التحليل والتفسير والتقييم للاعمال الأدبية والفنية التي ينقدها ، ومن رأينا أن أبا سلمى كان موفقا في حديثه عن الاحاسيس الانسانية النابعة عن النفس وفي مناداته بضرورة تحمل الأديب لمسؤوليته ومطالبته بأن يوحي الأديب بوسائله الفنية الخاصة بالرأى والاتجاه الذي يرتضيه فيما يعرض من تجارب الحياة ومشاكلها ومشاكل شعبه ومجتمعه .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - جريدة الدفاع - زاوية أزهار - وأشواك - المفكرة الريفية - تأليف أمين نخلة - بيروت - عدد ٥٢٢ - ١٦ آب ١٩٤٣

(٢) المرجع السابق

مرحلة ما بعد النكبة :

كان لتسلم أبي سلمى مسؤولية الاشراف على الصفحة الأدبية في مجلة المضحك المبكي الدمشقية لصاحبها حبيب كحالة خلال الفترة الواقعة بين ١٩٦٠ - ١٩٦٩ ، واشرافه على اللجان الثقافية في مدرستي جول جمال ، وجودت الهاشمي الثانويتين بدمشق في الستينات ، حيث عمل مدرسا لمادة الأدب والنقد والبلاغة في الصفوف الثانوية ، وكذلك اسهامه في النشاط الثقافي في النوادي الأدبية في الجمهورية العربية السورية ، ومعاركته في المؤتمرات الثقافية العربية والعالمية ، اذ كان ذا نشاط ملحوظ ، ودور بارز في مجال الأدب والنقد على الصعيدين العربي والعالمي (١) .

وفيما يلي ، مقتطفات من نقده الأدبي خلال مرحلة ما بعد النكبة التي تبدأ منذ غادر عكا بتاريخ ٢٨ نيسان ١٩٤٨ حينما لجأ الى وطنه الثاني دمشق حيث ما زال يقيم فيها ، ويمارس نشاطه الأدبي والنضالي حتى الآن .

مع العقاد :

يتحدث أبو سلمى عن صلته بعملاق الأدب ورأيه بعلمه وأدبه بعد أن صدمه نبأ وفاته فيقول :

" عرفنا أدب العقاد والمازني أول ما عرفناه في جريدتي الفيحاء والميزان اللتين كانتا تصدران في دمشق ما بين ١٩٢٣ و ١٩٢٦ وكنا طلابا في مكتب عنبر وكان أول ما عرفنا بأدبهما هو أحمد شاكر الكرمي الذي كان يرئس تحرير الفيحاء ، وكان صاحب الميزان ومحررها وأخذنا نستهدي بهذا النور الجديد الذي بدأ شعاعا

---

(١) تقديرا لجهود أبي سلمى ودوره في النضال والتواصل عبر القصيدة وكعلم من أعلام الفكر وفارس من فرسان الشعر وفي سبيل اعلاء الكلمة الخيرة ، وعلى صعيد الدفاع عن الانسان قدم اتحاد كتاب وأدباء آسيا وافريقيا منحه جائزة اللوتس الأدبية العالمية لعام ١٩٧٨ ، وقد أقام اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين والعرب حفلات تكريم له في كل من بيروت ودمشق وبغداد والكويت .

يعق الظلام ثم أصبح نورا وهاجا يضيء الآفاق ، ثم مضى الزمن ، وتوثقت عـــرى الصداقة بيني وبين المازني وزرت القاهرة بعد ذلك وذهبت مع المازني الـــى بيت العقاد ورأيته لاول مرة كما تخيلته عملاقا ، جهير الصوت ، واضح النبرات ، تأسرك ثقافته العالية ، وتفتنك شخصيته القوية ويستهويك اعتزازه وظرفـــه ، واتصلت الاسباب به ومرت السنون والتقينا كثيرا في القاهرة حينا وفي القـــدس أيام كانت فلسطين حينا آخر ، وكان آخر لقاء بيننا في القاهرة اثناء انعقاد مؤتمر الأدباء العرب هناك . وفي الاسبوع الاول من هذا الشهر قدم أخي من القاهرة وحدثني عن عيادته للعقاد المريض في بيته ثم جاءني خبر انطفاء هذه الجمـــرة ، التي اتقدت اكثر من خمسة وسبعين عاما وما خبا وهجها ولا علاها الرماد حـــتى النفس الأخير .

اننا نذكر العقاد أديبا عظيما هدم الاحجار المهترئة ووضع بدلا منهـــا احجارا جديدة لبناء الصرح الأدبـــي .

نذكره ناقدا كبيرا ، نشر هو والمازني جزئين من الديوان في النقـــد تناولا فيه أعلام الأدب والشعر التقليديين فتفتحت ازهار التجديد في الأدب .

نذكره كاتبا جبارا حملته براعته الى مجلس الأمة ، ويرتفع صوتـــه الجهور تحت قبة البرلمان " ان الامة مستعدة لأن تسحق أكبر رأس يهدد الدستور" فما كان ملك مصر في ذلك الحين الا أن قذفه الى السجن حيث أمضى فيه تســـعة شهور .

نذكره من أوائل كتاب الرواية وكانت " سارة " طليعة اللواتي خطـــرت في هذه الساحة الأدبية التي يمرح فيها كثيرون الآن (١) " .

ويتابع أبو سلمى حديثه عن العقاد فيقول :

" نذكره مثقفا كبيرا ، لم تثقفه المدارس والجامعات لأنه لم يتعلم الا فـــي مدرسة أسوان الاميرية ولكنه ثقف نفسه وأصبح من أعلام المثقفين ، وبقيت ساعاتـــه

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - ٢٠ آذار ١٩٦٢

بين الكتب وفصوله من امتع ما ازدانت بها المكتبة العربية ، لا تبلى جدتهـــا ولا يذوى شبابها .

نذكره شاعرا مبدعا أول ما حفظنا له قصيدة نشرت في جريدة الميزان سنة ١٩٢٥ :

خذوا دنياكمو عـــذى	فدنيا واتنا كـــثر
خذوا الدنيا بأجمعها	حبيب واحد نخـــــر

وسارت دواوينه الشعرية أمام الدواوين وأصبح مقررا للجنة الشعر فـــي المجلس الأعلى لرعاية الآداب وبقي يرعى الشعر العربي الأصيل ، ويبعد عنه كـــل هجين حتى أغمض عينيه الى الأبـد .

نذكره مؤرخا عالما يكتب التاريخ بلغة الأدب ، وما عبقرياته الا سلسلة رائعة يعتز بها المؤرخ العربي .

نذكره باحثا مدققا وكتابه « ابن الرومي » أبلغ دليل على ما وصـــل اليه الباحث المدقق .

نذكره عصاميا نشأ فقيرا في أسرة جاهلة ، جاع وتعذب كأحد أبناء الشعب الفقراء وكافح في الحياة ، كافح في سبيل المادة حتى عاش عيشة كريمة ، وكافح في سبيل العلم حتى عد من القمم .

نذكره مؤلفا ناجحا ، زود المكتبة العربية بأكثر من تسعين كتابـــا بين أدب وشعر ونقد ما عرفت المكتبة العربية في عصرها الحديث من زودهـــا بمثل ما زودها به العقاد من الكتب عددا وقيمة .

نذكره مفكرا موجها من أعاظم المفكرين الموجهين في دنيا الفكر والأدب في ديار العرب .

نذكره رافع الرأس دائما وأبدا شامخا قلمه دائما وأبدا لم يخفض رأسه في مذلة ولم يغمد قلمه في صغار ، يسير في طريق الأدب الحق والكرامة ، وسقط حوله المغرورون الحاقدون من مراطقة الأدب ، هؤلاء الذين لا يحفظون الجميـــل لأحد ولا يرعون الحق لانسان ، يتهاوون حوله على حافتي الطريق ويبقى هو شامـــخ الأنف في الطليعة دائمـــا .

تذكره هو والمازني كأول رائدين للأدب في النهضة الحديثة ، ونقف الآن ذاهلين أمام هذه الفاجعة .

لقد ترجل الفارس العظيم بعد خمس وسبعين سنة وقد آن له أن يترجل ، ترجل ناصع الجبين غير معفره ، أشم العرنين ، غير خافضه ، ترجل ليعانق رفيقه القديم في الجهاد بعد غياب طويل ، ترجل ليعانق المازني في عالم الغيب ، لقد فرقت المنية بينهما في دار الفناء وعادت هذه المنية اليوم فجمعت بينهما في ظلال النعيم ".(١)

هذه الدراسة الأدبية لشخصية العقاد وآثاره الأدبية وان كتبت في تأبينه ورثائه الا أنها جاءت تصويرا بارعا لشخصيته وتحليلا دقيقا لآثاره الأدبية ، وقد استطاع أبو سلمى أن يثبت لنا أن هذا العملاق وان كان قد مات الا أن آثاره وأفكاره ومداركه التي ساهم بها في بناء صرح نهضتنا الأدبية والفكرية الحديثة لم تمت ، وقد استطاع أبو سلمى أن ينفذ من خلال هذه الدراسة الى مفتاح شخصية العقاد ببراعة ويسر .

وهكذا يرى أبو سلمى في العقاد استاذ العصر الذى وان اختلف الناس فيه فان هؤلاء وأولئك لا يختلفون في نقطة واحدة هي أن العقاد استطاع أن يظل في الصدارة من أدباء عصره جيلا كاملا .

مع بدر شاكر السياب :

كتب أبو سلمى كلمة بعنوان " الشاعر والدولة " بعد ما قرأ مأساة الشاعر العراقي بدر شاكر السياب الذى وقع في أشد بلاءين في هذه الحياة : المرض والفقر وفيها يقول :

" لا أعرف أحدا مظلوما أكثر من الشاعر في بلادنا ، ولا أريد أن أقول الأدباء عموما لأنني أريد أن أخص الشاعر فقط ، يحبه الناس من مختلف الطبقات ، ويحبه رجال الدولة ولكنه حب تسلية ، لا تقدير فيه ولا احترام

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الضحك المبكي - ٢٠ آذار ١٩٦٤

وانا دافع الشاعر عن رأي آمن به ولو خالف المجتمع والسلطان ، صفقوا له .

وانا اضطهد من جراء ذلك ابتسم له أناس وصمت البعض ورثى له آخرون ولكن الجميع يكتفون بالابتسام لا يأخذون بيده اذا تعثر ولا يسندونه اذا تكسر ان الشاعر الذي يعيش مأساة مجتمعه العربي ويعبر عن آلامه وينشر امانيه على أفق عالم أفضل وأجمل ، انما هو مفخرة من مفاخر أمته ان لم يكن أجمل مفخرة .

وماذا يريد الشاعر ، انه لا يريد من الحياة الا أمرين اثنين : أولهما أن تعطى له الحرية فيغني كما يريد وينشد أحلى أغانيه في الوطن والنفس في الحياة والانسانية ، وثانيهما أن ترعاه دولته أو مجتمعه فيؤمن الحياة الكريمة حتى لا يعيش في الوطن وحتى لا ينحرف عن أهدافه ، هذا اذا لم يتنكر لوطنه وأمته .. " .

ويقول أبو سلمى ان السياب قد ضعف أمام عطف احدى المنظمات العالمية فاستسلم لها بعد أن حجبت عنه بلاده أي عون أو مساعدة وهو الذي كان محتاجا الى من يمد له يد العون والمساعدة ويلقي اليه بحبال النجاة ، ويتحدث أبو سلمى عن هذا الموقف فيقول : " بقي السياب طريح المرض والفقر ، ينتظر النجدة من دولته وبلاده وأخيرا صرف له الحاكم بأمره في العراق آنذاك مبلغا من المال يتداوى به وقد مدح الشاعر حاكم العراق الذي أسعفه فقامت قيامة المجتمع ، انه ينتظر منه أن يذوب مرضا وفقرا وهو ينظم الشعر على أن يمدح من أسدى اليه يدا أيا كانت تلك اليد ، ثم طار حاكم العراق كما طار غيره فذهب السياب الى لندن للتداوي فعطفت عليه منظمة أجنبية اسمها " منظمة حرية الثقافة العالمية " وضعف الشاعر المريض الفقير أمام عطف المنظمة ولم يكتف بازجاء شكره لها بل انه مدح هذه المنظمة ودافع عنها وهي منظمة للكتاب الصهيونيين فيها أثر كبير ، بل انه وقف موقفا خطيرا عندما قال " ان موقف اية منظمة ثقافية عربية لا يمكن أن يختلف كثيرا عن أحسن موقف عربي من قضايا العرب وفي ما يخص قضية فلسطين : " الحياد بين العرب واليهود " .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - دمشق - الشاعر والدولة - ٢ نيسان ١٩٦٢

ويعلق أبو سلمى على هذه الملاحظة بقوله : " لا أريد أن أعلق على هذا الكلام التطير ولكنني أريد أن أقول : لو كان هذا الشاعر يتاجر بشعره ويوظفه ويتمسح على الأعتاب ويمدح الأصنام لعاش في حياته يؤدي رسالة الشاعر الحقة مكرما معززا أما وانه قد عني بتصوير آلام نفسه ومآسي وطنه فانه لم يحظ بحياة كريمة ووقع في أشد بلاءين في هذه الحياة المرض والفقر ، ولن يقوى على هذين البلاءين الا اولو العزم ولم يقو بدر شاكر السياب على الصمود أمامهما فانحرف عن الرسالة وأثم في حق وطنه وشعبه ، ولو كانت أمته ودولته ترعيانه لوقف أمام كل عاصفة ولعاش ظافرا غردا يشدو في رياض وطنه الخير والحب والجمال (١) ... " .

ويستطرد أبو سلمى فيقول :

" نحن نطالب كل دولة عربية برعاية شعرائها وحمايتهم من كل غائلة حتى يؤدوا رسالتهم الحقة في تخليد أمجاد أمتهم وجمال أوطانهم وتوعية ابنائها وحتى لا ينحرفوا ويصبحوا أعداء أمتهم ووطنهم ويجب على الدولة أن لا تأخذ على شعرائها الهفوة العفوية أو العاطفة الرعناء بل تغضي عن ذلك اغضاء الأب الكبير القلب والعقل عن هفوات أطفاله البريئة .

وعجيب أمر الدولة التي ترعى شعراء غيرها من الملل والنحل ولا ترعى شعراءها انها لا تجرم في حق أبنائها فحسب بل انها تجرم في حق نفسها وتجاه العالم.

ولا تزال أمام عيني صورة عبد المحسن الكاظمي الذي مات على فراش المرض والفقر والشيخوخة والغربة ، وكان يحمل مع ذلك لقب شاعر العرب فهل يرضى العرب أن تكون هذه النهاية لشعرائهم:

انني أهيب بكل شاعر ، بل بكل صاحب قلم حر أن يشرع قلمه في الدفاع عن الشعراء ورعايتهم ، يقول ابو سلمى :

" لم يسعد السياب في حياته ، فقد تحالف عليه الفقر والمرض والاحباط وهي مصائب تهد الجبال ، ولم تسعفه الدنيا برغد وهناء ، بالرغم من أنه

---

(١) عبد الكريم الكرمي - أبو سلمى - مجلة المضحك المبكي - دمشق - ٢ نيسان ١٩٦٢ .

تخرج من دار المعلمين العالية في بغداد والتحق موظفا بمديرية التجارة العامة، فان نفسه نزاعة الى الحرية والشاعر الحر تتقاذفه الدروب الدامية ، لقد شلت أعصاب السياب حتى أصبح لا يستطيع أن يقف على رجليه ولا أنسى عندما رأيته منذ مدة وهو داخل مطعم فيصل في بيروت يتوكأ على عكازين وبجانبه زوجته وطفله الصغير ، تحدثت معه طويلا وكان مبهور الانفاس ، ممروق الجسم حتى كأنه جلد على عظم فصرفت حينذاك سبب وقوف الشاعر في شعره على قمة اليأس والظلام ، ولمانا يطل الشاعر على العالم من نافذة المرض ثم ذهب بعد ذلك الى مستشفيات لندن ولم أعد أسمع عنه حتى قرأت هذا الأسبوع خبر وفاته بائسا غريبا في أحد مستشفيات الكويت ، وعاد فقيرا محطما ، عاد بقية جسم محمول الى تربته الفقيرة الكادحة "جيكور" ليضم الى قبر أمه التي فتحت ذراعيها اليه والتي ناجاها ورثاها بقصيدته هذه الباكية التي رثى فيها نفسه والتي ظهرت يوم وفاته :

ولبست ثيابي في الوهم
وسريت تلقاني أمي
في تلك المقبرة الثكلى
ستقول اتقتحم الليلا
من دون رفيق ؟!
جوعان أتأكل من زادى
غروب المقبرة الصادى
..... الا ترمي
أثوابك والبس من كفني
لم يبل على الزمن
عزويل الحائك اذ يبلى
يرفوه ... تعال ونم عندى
أعددت فراشا في لحدى
لك يا أغلى من أشواقي (١)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - دمشق - ٣ كانون الثاني ١٩٦٤ .

مهما اختلف الناس في شعره فانهم يجمعون على أنه طليعة الحركة الشعرية الحديثة يمتاز عن جميع هؤلاء الذين يزحفون وراءه بالأصالة ، وعمق التجربة ، وروعة الصورة ومهما اختلف الناس في منزلة الشاعر في الحياة بصورة عامة فانهم يتفقون جميعا على أن واجب الدولة الاول هو رعايتها للمواطن وحمايته من غائلة الفقر والمرض ، وكان من عادة الدول في بلادنا العربية أن ضميرها لا يستيقظ الا بعد أن يموت الشعراء جوعا والا بعد أن يثور عليها العالم لاهمالها ابناءها وتركهم يموتون في العراء عند ذلك فقط يتحرك ضميرها فتملن رعايتها لزوج الشاعر أو ولده بعد وفاته ، ثم يتحجر ذلك الضمير وينام مع سكان القبور .

فهل للاقلام الحرة أن تهب وتدافع عن زوج الشاعر السياب وعن ولده حتى ترعاهما الدولة فتحافظ على حياتهما بعد أن ساعدت على قتل الشاعر وتكون بهذا قد كفرت عن جريمتها "(١) " .

وهكذا صور لنا أبو سلمى في هذا النص ، حاسية السياب الشديدة التي عمقت جذور المأساة في نفسه ، فقد كانت فترة مرضه حافلة بالمآسي والآلام والاحزان الكبيرة التي استوعبها قلبه ، وصبها في نغم انساني واعي بنبرة الالم الحادة التي كانت موجاتها تتدافع في نفسه حتى كانت النهاية المأساة . وهنا ينحى ابو سلمى باللائمة على الدولة التي تجاهلت عذاب السياب ، وآلامه ومطالبها بحق رعاية زوجه وولده فتؤمن لهما الحياة الكريمة ، كما يطالب رجال الفكر في التعبير عن رأيهم ، وابداء موقفهم من هذه القضية الانسانية وبهذا يؤدون دورهم الحق في مساعدة هذه الأسرة وتجنيبها غائلة الفقر .

والشاعر يرتكز في هذه القضية الخاصة على قضية عامة هي قضية الشاعر والدولة فالشاعر يتجه اليه الناس من كافة الطبقات بالحب ويحبه رجال الدولة ولكنه حب تسلية لا تقدير فيه ولا احترام ، فاذا دافع الشاعر عن رأي آمن به ولو خالف المجتمع والسلطات صفقوا له ، واذا اضطهد من جراء ذلك ، ابتسموا له متشفين أو هامتين .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - بدر شاكر السياب ٣ كانون الثاني ١٩٦٤ .

ويطالب أبو سلمى أن تؤمن الحرية للشاعر فيفتي كما يريد وينقد أطلق الأغاني في الوطن والنفس في الحياة الانسانية كما يطالب بصون الرعاية له من الدولة والمجتمع فيؤمن الحياة الكريمة حتى لا ينحرف عن أصالته .

وأبو سلمى في هذا التحليل ، يربط بين الشاعر والواقع الاجتماعي الذي يعيشه باعتبار أن أزمة الشاعر العربي المعاصر هي أزمة المجتمع العربي . فالدعوة الى الأصالة والالتزام في ظل هذه الظروف التي تجتازها الأمة العربية دعوة الى انصاف وتقدير الشاعر العربي ومنحه حرية التعبير عن الرأي فبهذا تفتني تجاربه ومواقفه وتتبلور رؤياه وبهذا يبقى على التزامه بشعبه وقومه وانسانيته ، ويأمن جانب الضياع والانحراف .

مع عرار :

يتحدث أبو سلمى في مقدمة دراسته عن (عرار) عن هؤلاء الشعراء الذين أحبهم مطلق وهبي التل المعروف بعرار وأخلص لهم ونظم معظم شعره فيهم فيقول : " انه الشاعر الذي أحب النور ونظم معظم شعره فيهم حتى أنه أوصى أن يسمى ديوانه عشيات وادي اليابس ، ووادي اليابس هذا مكان قريب من عجلون تؤمه جماعات النور معظم أيام السنة وهو ليس يابسا كاسمه ، وانما هو رياض غناء فيها ماء وأشجار وكان مطلق يرتاده كلما هاجه الحنين ، وقد سمى جميلته النورية " ست وادي اليابس " واعتبرها ملكة جماله ، وقد قال :

يا طيبة الوادي دعوتك باسمه ولمه نسبت تبركا ديواني
قومي وقومك في الصغار وجهلهم معقى الحصى كفتا ميزان (١)

ويرى أبو سلمى في هؤلاء النور الذين نصب عرار من نفسه مدافعا عنهم مخلصا لهم كل الاخلاص طوال حياته انهم فئة مسحوقة من البشر حريصة على حب الحرية والتمرد تعشق الحياة المنطلقة (٢) .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - ٢ تموز ١٩٦٣
(٢) المرجع السابق

ويقول عن عرار انه اتخذ من زعيمهم " الهبر " الانسان البسيط المنبوذ نموذجا لنقد المجتمع وبث آرائه السياسية بقصد تحريك شعور الشعب في نفوس أهل بلاده بمقاييسهم بالنور (١) .

ويذكر ابو سلمى أن عرارا قد قال في بعض أحاديثه وكان عنوانها " أصدقائي النور " والتي أناعسها من دار الاناعة الفلسطينية أيام كانت فلسطين : " النور بشر مثلي قد يراهم الله على هيئة بقية الناس من خلقه فهل يمنح فقرهم وبؤسهم وحياتهم المتنقلة من أن يحسوا ويشعروا ويتألموا انا ما استهدفوا للأذى ، انهم فقراء ضعفاء وانهم معدمون وليس لهم ولا لبعضهم ولا لاحدهم في المدينة التي كانت قرية هبر من الأرض أو حجر على حجر شأنهم في ذلك شأني وشأن كثيرين غيري .

وقصته مع المدعي العام في اربد عندما منع الجندي الواقف على الباب " الهبر " من الدخول الى المكتب هي قصة معروفة وقد قال قصيدة في هذا الحادث منها :

يا مدعي عام اللواء ... وخير من فهم القضية
الهبر جاءك للسلام ... فلم تمنعه التحية ؟
والهبر مثلي ثم مثلك ... أردني التابعية

وما أشد اشاراته عندما خاطب الهبر قائلا :

يا هبر بي فقر كفقرك للاباء وللحمية
أو ما تراني قد شبعت على حساب الأكثرية
وأكلت بسكوتا ومنا الشعب لا يجد القلية
والقلية هي " القمح المحمص " وكم كان يعدد محاسن النور
نور نسميهم ونحن بمعرفهم ... منهم وفي عين الحقيقة أنور (٢)

ويستطرد ابو سلمى في حديثه عن عرار فيقول : " ولا أنسى يوم قابلني مرة في القدس قال لي ونحن سائران في طريق الشيخ جراح :

" هل عدت مع النور قلت لا ولكنني أعرفهم قال لا تكفي ، انا كنت تريد

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - ٢ تموز ١٩٦٣

(٢) المرجع السابق

أن تكون شاعرا حقا وان يزخر شعرك بالأنفاس العلوية وبدقائق النحائي فيجب عليك أن تعيش مع النور ثم أنشد :

يا صاحبي ان مضى السمار وانطلقوا
فاترك متاعك واحمل راية النور ... " (١)

والحق ان من كتب عن عرار قد أسهب في وصف نوبياته ، ولكن أبا سلمى كان من بين الدارسين القلائل الذين فطنوا الى تلك الفلسفة العميقة التي اصطبغ بها شعره حيث انتقد عرارا "عن طريق" وصف حياة هؤلاء النور المحرومين من العدالة الاجتماعية "، تلك القوى التي وقفت من بؤسهم ، وبؤس الطبقات الفقيرة الأخرى في المجتمع موقف المتفرج ان لم يكن موقف الظالم المضطهد . وقد وجد عرار في هذه الفئة من النور همموم الانسان الفاقد لشخصيته الاجتماعية من جراء جور المجتمع عليهم ، ولعل في السؤال الوارد في النص والذي طرحه عرار على ابي سلمى ما يوحي بالنظرة العميقة التي يطل منها عرار على قضايا الانسان ، فدراسة واقع الطبقات المسحوقة هي البؤرة التي ينبغي أن ينطلق منها الفنان ليرى من خلالها تطلعات أخيه الانسان .

مع الشاعر محمد محمود الزبيري :

يتحدث أبو سلمى عن أول لقاء تم بينه وبين الشاعر اليمني الثائر محمد محمود الزبيري فيقول :

" في مؤتمر الأدباء العرب الثالث في القاهرة سنة ١٩٥٧، وكنا في قاعة المحاضرات ، وقف أحد شبان اليمن الملكي ، اذ ذاك يتحدث عن العصر ودوره في اليمن وفضل الامام في ازدهاره ، وما أن انتهى حتى ارتفع صوت جهوري وسط الحضور يطلب الكلام ، وتقدم شخص ممتلىء الجسم ، ربع القامة ، وما أن اعتلى المنصة حتى تدفق بالبيان المشرق والحجة القوية وقال ما خلاصته ، وهل هناك

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - ٢ تموز ١٩٦٣

دور في الشعر تحت ظل حكم آل حميد الدين لا يوجد الا شعر حزين يتمسح على الاعتاب ويتخصص في مدح الامام وتحركاته وتنقلاته .

وسرت همهمة بين الحضور فقد كانت العلاقات حسنة بين القاهرة وبين الامام، وقد اعترفت القاهرة بوفد الامام الأدبي ولم تعترف بالأدباء الثائرين المشردين ولكن هذه الهمهمة زادت من ارتفاع صوت المتحدث الذي ختم كلمته بأن الأيام ستزيل الغمام عن أعين أبنائنا في اليمن عندما تتحرر اليمن من ظلم الأجيال الذي يمثله آل حميد الدين ، وانتهت الحفلة فأقبلت على صديقي الاستاذ أحمد محمد نعمان أحد أحرار اليمن وأدبائها وذهبنا معا الى المتحدث وعرفني بشاعر اليمن محمد محمود الزبيري " (١) .

من هذا التقديم يتضح لنا اعجاب أبي سلمى بشخصية محمد محمود الزبيري (٢) الشاعر الثائر وارتباطه الوثيق بالأدباء الأحرار وتقديره لمواقفهم الملتزمة ويزيد هذا الموقف ايضاحا هذا الاستطراد عن كفاح الشاعر الزبيري ضد الطغيان والظلم ووقفاته الملتزمة في سبيل الحرية والانعتاق من العبودية .

يقول أبو سلمى : " كان الزبيري من مواليد صنعاء وقد ورث محبة الشعر عن جده لأبيه الذي كان من شعراء اليمن بل شعراء الجزيرة المعروفين ، ثم تلقى تعليمه الأولي على أيدي بعض العلماء ، ثم تولع على القراءة بنفسه والتحق بعد ذلك بدار العلوم في القاهرة وظهرت هناك ثوريته وبرزت مواهبه فألف أول عصبة مؤمنة تنادي بالثورة لتحرير اليمن من الحكم الفاسد ومن التخلف

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - ٦ كانون ثاني ١٩٦٢

(٢) ولد محمد محمود الزبيري في صنعاء عام ١٩١٠م . تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في صنعاء كما تلقى تعليمه العالي في كلية دار العلوم بالقاهرة . عين وزيرا للمعارف في حكومة انقلاب ١٩٤٠ وظل منفيا خارج البلاد ومحكوما عليه بالاعدام من ١٩٤٨ - ١٩٦٢ . عين بعد ثورة أيلول وزيرا للتربية والتعليم ونائبا لرئيس الوزراء لشؤون التعليم والاعلام . استشهد في ٣١ آذار ١٩٦٢ . من دواوينه الشعرية : صلاة في الجحيم وثورة الشعر

وأخذ يتصل بأحرار اليمن في كل مكان وخصوصا أولئك الضباط الذين كانوا يتلقون الدراسة العسكرية في الكلية الحربية ببغداد وكان على رأسهم عبدالله السلال عاد الزبيري الى اليمن وأخذ هو ورفاقه وفي مقدمتهم أحمد نعمان ينشرون التوعية والاعداد للثورة ، ولما تسربت بعض الأخبار عنهم قبض الامام عليهم وفتاهم الى جبال حضه ما يقرب من عامين ثم استطاعوا الهرب ، وكانت مسيرة شاقة حتى استطاع الزبيري أن يصل الى عدن وأصدر هناك جريدته " صوت اليمن " تعمل للثورة ضد الامام وقد نشر فيها مرة قصيدته التي يقول فيها :

خرجنا من السجن شم الانوف ... وتأبى المنية من بابها
وتأبى الحياة انا دنسته ... بعنف الطغاة وارهابها
ويحتقر الحادثات الكبار ... انا اعترضتها بأوصابها
ستعلم أمتنا أننا ... ركبنا الخطوب هياما بها (١)

ويتابع أبو سلمى حديثه عن كفاح الشاعر الزبيري وثوريته فيقول :

" وقد ظل الزبيري يدعو الى الثورة منذ اكثر من خمس وعشرين عاما الى أن أحاطت الثورة بحكم يحيى حميد الدين ودعي وهو في الثانية والعشرين الى تولي ادارة المعارف في أول حكومة شكلت بعد ذلك ولم تدم أكثر من أربعين يوما ثم فر هو ورفاقه من البلاد .

حاول الزبيري بعد فشل الثورة الالتجاء الى السعودية فمنعوه فاتجه الى عدن فأخرجه الانجليز الى الباكستان ولم يمض يومان على بقائه حتى طلبت حكومة اليمن الامامية تسليمه فقصد الهند ولكن الهند لم تقبله فذهب الى مصر ، وهناك في القاهرة ترأس اليمنيين الأحرار وكان صديقه الاول محمد أحمد نعمان الذي يعرفه أدباء العرب عندنا مثل أدباء اليمن الأحرار ولمع نجمه في مؤتمر الأدباء العرب الذي اقيم في بلودان صيف ١٩٦٥ .

ويستطرد ابو سلمى فيقول : " ثم قامت ثورة ١٩٦٢ وأحاطت بحكم الامام وأعلنت الجمهورية اليمنية فعاد الزبيري وزميله نعمان وكانا من أركان الحكم

الجمهوري ثم استقال الزبيري من الوزارة ولكنه كان يسعى لتوحيد الصف اليمني في سبيل استقلال اليمن وتحريرها وأخذ يعمل بين القبائل لتأليف القلوب تأييدا للثورة وللحرية فاغتالته يد آثمة وسالت دماؤه الثائرة الطاهرة على أرض وطنه الحبيب الذي يقول فيه :

وطني أنت نفحة الله ما يسترح لا .. عن قلبي ولا عن لساني
صور الله منك شكل فؤادي وابتنى من شذاك روح بياني
ما قد صهرته لك في روحي وما قد صهرته في جناني
فلذة القلب لو اذيعت لقالوا مر عبر الأثير نصل يماني

وهكذا قضى هذا الشاعر الثائر في سبيل تحرير بلده ووطنه ولكن المؤلم أشد الالم هو أن يقتل الأحرار بيد أهلهم وابناء عمومتهم ويسيل الدم الحر بيد العبيد .

سيبقى اسم الزبيري عاطرا يردده النسيم في كل مكان عربي ينادي بالثورة والحرية وستروي الأيام عن السيف اليماني الذي تحطم على أرض يمانية ودفن بلا غمد في التراب اليماني أحب تراب اليه ، وانه اذا مات الزبيري فان الوطن اليمني خالد وكما قال الزبيري في أحد كتبه : " لا شيء يعطى في الحياة بلا ثمن " وبدون مقابل فالحرية لا توهب ولا تعطى ولكنها تؤخذ .. ان أول ما تطلبه الحرية هو انكار الذات وانني مؤمن بأنني سأموت ولكن وطني كائن حي لا يموت انه فكرة قائمة ستبقى مع الأبد (١) ... " .

في هذا النص ، نلمح تركيز ابي سلمى على ثورية الزبيري بأنها النموذج الذي ينبغي أن يحتذيه كل ذي فكر وقلم ، بحيث يمزج بين قلمه وكفاحه . فتارة يكافح بقلمه وتارة يكافح ببندقيته ، وكلا السلاحين ضروري للوطن حتى يقف هامة الأنف .

وأرى أن في تركيز أبي سلمى على ثورية الزبيري ، والتزامه بقضيته الوطنية والقومية ما يربط بين هدف مشترك سعى كلا الشاعرين ، ابو سلمى

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المضحك المبكي - ٦ كانون الثاني ١٩٦٢

والزبيري الى تحقيقه ، فقد كان ابو سلمى من بين الشعراء العرب المعاصرين الذين بنوا قضية التحرر الوطني على التحرر الاجتماعي ، ولعله كان أول من نبه الى الواقع المزري الذي يعيشه اليمن في ظل الحكم الامامي ودعا الى الثورة على مواضعات هذا الواقع والثورة عليه (١) .

أما الشاعر محمد محمود الزبيري فقد كان صدى لخلجات شعبه وأناته ، ارتفع صوته الشجاع في وجه السلطة الامامية الحاكمة معلنا انقراض كل أنواع عبودية الانسان للانسان ، مؤكدا أن عصر حمل القيود قد ولى الى غير رجعة . فهو نموذج ملتزم بقضية شعبه ووطنه وقد قضى في سبيل هذه الغاية الشريفة فكلا الشاعرين ، ابو سلمى والزبيري لديه التزام معبق بروح الشعب. وكلاهما كانت تعتزج أشعاره بروح الثورة ، وكلاهما كان جريئا في المجاهرة برأيه والتمسك بمبادئه . فلا عجب أن يشيد ابو سلمى بهذا النموذج الثوري فهو يوقن أن شرف الحرف انما يتأكد من خلال الموقف ، وان الفن الحقيقي هو ذلك الذي يعزز شرف الموقف هذا ويؤكده .

شرف الحرف أن يذود عن الحق ، فان رمتم المقال فقولوا
واضيئوا باللظى ليبث النور فالليل عالم مجهول (٢)

---

(١) حدثني ابو سلمى أن السيد محسن الصيني ، رئيس وزراء اليمن الأسبق قد ذكر له أن هذه القصيدة كانت بمثابة منشور ثوري يتبادله أحرار اليمن فيما بينهم ، فكان لها وقع خطير على نفوس ابناء اليمن بما شحنته في نفوسهم من افكار ومضامين ، وكان لها ردود فعل عنيفة في الاوساط الامامية الحاكمة حيث كانت تزج بالشخص الذي تعثر عنده على هذه القصيدة في غياهب السجون وتنكل به ابشع تنكيل .

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ .

مع ميشال أبي شهلا :

كتب أبو سلمى عن ديوان الشاعر اللبناني " ميشال أبي شهلا : أنفاس العشيات " يقول في مقدمة عرضه ونقده للديوان معرفا بالشاعر :

" هبت علي " انفاس العشيات " منذ أيام ، أرسلها الي المزيز فريد ابو شهلا وهي ديوان الشاعر ميشال أبي شهلا الصديق الفقيد الذي لا يزال يبكيه لبنان ، ودنيا الشعر وعالم الادباء " .

عندما استلمت الديوان مثل أمامي ، الصديق الكبير القلب ميشال وهو يفض مروءة وسؤددا ، ويعبق أريحية ورجولة ، وعادت بي الذكرى الى أول لقاء في مجلة العروض التي كان يصدرها في بيروت المرحوم ميشال زكور ، منذ اكثر من ثلاثين عاما ، ورأيت هناك الشاعر الممتلىء ظرفا وحيوية ، وشاعرية ثم توثقت الصلة مع هذا الشاعر الحب ، الضيف ، الانسان ، وعن طريقه تعرفت بفتى الفتيان ابن عمه حبيب أبي شهلا وجل المروءات وصاحب الضحكة المريضة التي تتهاوى أمامها جميع الصعاب .

وفي عرضه وتحليله لأبرز ظواهر شعر أبي شهلا يقول :

" انثنيت اتنسم من الديوان ذكريات غالية من تلك الحياة التي صارعها ميشال حتى صرعته وتركت على ثغره فصول روايات .

فتح ميشال ابو شهلا قلبه للحياة وللجمال وللوطن ، أحب الحياة بكل ما فيها من وفاء ، وغدر ، وحسن ، وقبح ، وحلاوة ، ومرارة ، واندفع بكل شبابه ، واحساسه يغوص لياليها ، وقد وفى للناس رغم العقوق والتجني :

ما أمر الحياة رهن كيان ... من عقوق وقسوة وسجن

ونفوس تغلغل الداء فيها ... ونما القدر بين لؤم وجبن

.....

ووفى للكأس وكان يرى فيها الروضة ، والبلبل الشادي على غصن الأمل وفي لها حتى غدرت به الكأس مثل الناس :

تعهدتها عمر الشباب ولم يدر ... ببالي أن الكأس في القدر كالناس

.....

وأعطى للحياة عبابه ، ونور عينه ، وقد تمنى أن يعود شبابه من جديد حتى يحافظ عليه كما قال (١) :

فأقيم الضلوع سورا عليه وأشيد الذى هدمت وأبني
وأحامي عنه بأهداب عيني وحامي قلبي وعقلي مجني

ويستطرد أبو سلمى في تحليله فيقول :

" أما عيناه الغاليتان ، فقد شح بصرهما في آخر حياته ، وصاح بقصيدته - ظلمة العين - صياح الألم ، وتساقطت حوله المنى قطعا دامية ، لأن يد الظلماء حجبت عن نظره وجه الربيع ، وتراقص الأقنان بندى الصباح وقبل النسيم ، ومنعت رؤية وشاح الغمر فوق القمم ، وتشابه الأنوار والظلم ... ولكنه عزى نفسه بقوله : ان أفقد الدنيا وصورتها صبي الضياء يشق من قلمي

.....

وأحب الجمال : - وانا ذكر الجمال ، ذكر الهوى وقد أعطى كشاعر قلبه وحبه من معين الهوى والجمال :

أنا في البعد ، مثلما أنا في القرب محب وفي الفؤاد هيوق

وكان يعد ككل شاعر حنان المرأة وجها من نعمة السماء على الأرض

ان من نعمة السماء على الأرض حنان الانثى وحب الغواني

.....

وكانت تفتنه خضرة العيون ، وشروق الجباه حتى ليقسم بها :

يا حبيبتي بحق خضرة العيون وبياض منور في الجبين
تتجاوب الدنيا بعينك خضرة وتمنح أندى على الأهداب
ويموج حين يطل وجهك مقبلا ليل من اللذات والأحباب

.....

وانا ذوى الجمال وخف الهوى - وأى شيء يبقى مع الأيام - التفت الى ماضيه بقلب موجع ، وذكر الهجر والحنين ، والماضي ، والوشاة ، والقباب والعباب ، ورأى الدنيا صحراء ، لا واحة فيها ولا ظل ولا ندى ، وليلا طويلا لا يخفق فيه

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - مجلة المضحك المبكي - دمشق - ٢ شباط ١٩٦٥

نجم وما قيمة هذه الدنيا اذا طالت :

ما لذة الدنيا اذا اتسعت أيامها وتمنر الحـــب

أما حبه للوطن ، فيتجلى في جميع أقواله وأفعاله ، وفي حقوق الأسرة والاخوان ، ولوطنه لبنان وللمروءة . كان ميشال أبو شهلا مرجع الاخوان وصاحب النجدة لكل انسان ، وقد روى يوسف ابراهيم يزبك في مقدمته للديوان ، تلك المقدمة التي تفيض حبا واخلاصا وتقديرا للصديق القديم ، كيف كان يرسل آخر كل شهر الى ابن عمه حبيب في باريس مبلغا من المال طوال ثلاث سنوات دون أن يدري به أحد ، حتى باح حبيب بالأمر بعد رجوعه ، وكيف كان ميشال شيخ الشباب وزعيم المحلة لكل ابناء المصيطبة ولجميع قاصديه ، ما صد أحدا ولا رد قاصدا حتى اضطر الى هجر الدار التي ولد فيها وترعرع بسبب جور الأيام فما غير من نفسه ولا من مروءته ... " .

ويواصل أبو سلمى تحليله لظواهر عمر أبي شهلا فيقول :

" وعنده ، أن الأديب يمشي ممحوبا بهمومه ، لابسا الأسى والشجوب ، ومع ذلك فلا يبالي ولا يجزع ولا يتضجر ، وكيف يتضجر ميشال وقد ربياه أم حرة وأب كريم :

ولي الأب الصافي وميتي ناصح ويشهد ربي أنني لا أخادع

وقد ربياني حرة وكريم

انه كالعامل الذي يزرع الارض بذورا ويسقي الماء نورا

الذي يلبس العروج حريرا والذي يهوج الرياض عطورا

أنا كالعامل الذي يؤثر الفقر انا العيش لم يصل طهورا

.....

أما حبه لوطنه لبنان - وهل أحد لا يحب لبنان - فقد كنت ترى ذلك الحب يترقرق في كل شعره ، فيمتص كبرياء الأرز ، والوادي الظليل المتغابك الأغصان ، والنسيم الواهي الخطى ، المخضل الأردان بشذى الصباح :

يا موطنا من صخره وعرائسه موج يميس وسلسل يتفجر

جبل السحاب من الضياء ترابه وروى منابته الربيع الأزهر

.....

وهو يرى كأرثوذكسي قح - في لبنان وجها عربيا ، وقد سأل " غسانة الباروك " أن تنتسب فأجابت :

اني من ربى الباروك من جبل الهوى من معقل الفصحى الذى لا ينكسر
عرب نصارى ما تغير وجهنا يوما ولا أعلاقنا تتغير

.....

واللاجئ العربي الذى ناجاه ، وعده نازلا في فؤاده :

اني أخوك فخذني سيفا ليوم جهاد
وخذ لليلك نورا من مقلتي وزنادى
وخذ لبردك نارى وخذ لجوعك زادى
لنا العروبة دين هو الشعاع الهادى

ووصيته الى حفيده في آخر قصيدة نظمها : (١)

أراك ورثت اسمي فهلا ورثتني فنبذل للاوطان كل جهود
وتحيا كجندى نمته عروبة وايمان ابناء لها وجنود
سألتك أن تهوى العروبة مؤمنا بموطن عز طارف وتليد
وتحفظ ارث الضاد وهو وسالة نورثها من والد لوليد

وفي نهاية التحليل ، يوجه ابو سلمى نداء لولد الشاعر " فريد " فيقول: " وبعد ، فما ذا اقول عن أنفاس العشيات ، وعن ميشال أبي شهلا (٢) ..

وهل أفيهما حقهما مهما قلت ، ان ذكرى ميشال نجم من هذه النجوم التي غربت وبقيت أنوارها تضيء في آفاق القلب. لقد قال في قصيدته الى ولدى :

فانا مت قلت للناس كان لي أب وعاش عمره انسانا

أجل يا فريد ، لقد عاش ابوك الشاعر ميشال أبو شهلا ، طول عمره انسانا (٣).

.....

وهكذا ، فقد تناول أبو سلمى ، ديوان العشيات ، بالتحليل الموجز ، محاولا أن يتصفه من خلال المضامين والأفكار التي تحدد اتجاهاته ، وتكشف عن فنه ،

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - دمشق - ٢شباط ١٩٦٥
(٢) المرجع السابق
(٣) المرجع السابق

وقيمه الانسانية ، وقد كنا نرتجي منه أن يتعرض في تحليله ، للخصائص الفنية في شعر أبي شهلا فيضيء لنا جوانبها ، حيث ان الافكار ، والمضامين التي يحويها النص الشعري ، أو يوحي بها ، ليست بأية حال هي الهدف الوحيد أو الغرض الرئيسي منه .. بل هي الوسائل التي تتحرك على قدم المساواة مع الخصائص الفنية المرتبطة بالنص. وقد وقف الناقد في تحليله للديوان عند الافكار والمضامين دون أن يتعداها الى غيرها . واكبر الظن أن أبا سلمى أراد أن يعطي القارىء صورة لأبي شهلا الانسان من خلال شعره مكتفيا بهذا القدر من التذوق والتقييم .

ومهما يكن الأمر ، فقد أجاد في تناول مضامين أبي شهلا وقيمه الجمالية والوطنية والقومية والانسانية ، لأنه تناولها في شيء من التحديد ، وتقف عند تحديده لهوية لبنان العربي كما يراه ابو شهلا فنلمح الوجه العربي الأصيل للشعراء والكتاب والمفكرين من نصارى لبنان بما أضفوه على اللغة والأدب العربي من أياد بيضاء واغناءات مشرقة . ونعتقد أن في تركيز أبي سلمى على هذا المضمون تأكيدا على دور أبي شهلا في هذا المجال القومي . فقد حرص ميشال أبو شهلا في معظم شعره على توكيد الوشائج الحميمة ، وشائج الدم والتاريخ والفكر والثقافة والمصير بين لبنان وأشقائه العرب أينما كانوا من أقطارهم(١)

.....

كان ميشال ابو شهلا أحد عشرة اعضاء من عصبة " العشرة " فكانوا يجتمعون في ادارة جريدة المعرض ويلتئم من جمعهم مجلس أدب وندوة فكر وميدان نقد ، ومن أعضاء هذه العصبة : ميشال ابو شهلا ، كرم ملحم كرم ، يوسف ابراهيم يزبك ، تقي الدين الصلح ، خليل تقي الدين ، توفيق يوسف عواد ، عبدالله لحود والياس ابو شبكه .

---

(١) غسان خالد الغفالي - مراحل التطور في الشعر اللبناني - مجلة الرسالة بيروت - السنة الثالثة - العدد الثاني عشر ١٩٧٥

مع ابراهيم طوقان :

جمعت بين أبي سلمى وابراهيم طوقان صداقة قوية وربطت بينهما ذكريات جميلة محببة تنطوي على مرح الشباب وروح الشاعر المتوثبة ، ولا غرو أن تكون كتابة ابي سلمى عن صديقه ابراهيم من المصادر الهامة لأدب ابراهيم وشعره .

وتجيء هذه الدراسة مؤكدة لصحة رأينا هذا لأنها تميط اللثام عن كثير من المواقف التي ما كنا لنعرفها لولا أبو سلمى .

يقول أبو سلمى في حديثه عن ابراهيم " ان اول قصيدة مبتكرة وقوية لفتت اليه الأنظار هي قصيدة " ملائكة الرحمة " التي نظمها عام ١٩٢٤ عندما مرض ابراهيم في الجامعة الامريكية وعاد الى نابلس أثناء السنة الدراسية وقد نظم تلك القصيدة عن الممرضات ومهد لها بوصف الحمام الذي اغرم به ابراهيم منذ صغره عندما كانت تحط أسراب الحمام على بركة الدار[1] وعن أغراضه الشعرية يقول أبو سلمى :

" عزف ابراهيم على جميع الأوتار الشعرية وكانت أوتار الغزل والوطنية والهجاء والمجون والرثاء أعلى الأوتار لحنا وأسماها ايقاعا " .

أما القول فقد ابتدأه عابثا ثم ابتلاه الله بالهوى الاول العاصف في بيروت عام ١٩٢٦ بالطالبة الفلسطينية ماري صفوري :

أول عهدي بفنون الهوى بيروت أنعم بالهوى الأول

كان ابراهيم في هذا العام يطير بأجنحة الشوق بالشعر والصبا وكانت قصائده الغزلية تنفذ من أفق الجامعة الى أفق بيروت فالأفق العربي الأدبي وكان يدلف مع الصباح الى غرفته في الكولج هول التي كانت تطل على مبنى بوابة الجامعة ليرى فتاة أحلامه فيقول :

بكروي عند شباكي لأنفق طيب ريّاك
مروت وقيل من الناس هل أبصرت الاك
وأخشى أن يرف الجفن يحرمني محياك

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - الشعر الفلسطيني - محاضرة القيت في النادي العربي سنة ١٩٧٥

ويأتي طالب الى الجامعة - فلسطيني - فيستثقله ابراهيم وينفر منه وكانت له حساسية غريبة تجاه الثقلاء ، فقيل له الا تعرف من هذا انه ابن عمها وسرعان ما أصبح في نظر ابراهيم خفيف الدم وصار رحمه الله يظرفه وقال :

كثير السلام على ابن عمك ... يوم قيل هو ابن عمك
أضحى يطاق وهل يطاق ... لو أنه من غير قومك
سبحان من جعل ابن عمك ... سُلَّما يرقى الى همك

شغلت فكره وقلبه هذه السمراء الفلسطينية وأخذ يقول الشعر كما يتنفس ، سار مرة أثناء العطلة الصيفية مع رفاقه في شارع الشهرة بنابلس واذا ببائع رمان ينادي ، ناهدي يا رمان من كفر كنه يا رمان فاسرع الى البائع واشترى بالخمسة قروش التي كان يملكها رمانا ووزعه على رفاقه وقال :

جزت بالحي في العشي فهبت ... نسمة أنعشت فؤادي المعنى
قلت منها ورحت انظر حولي ... مثل النهود لو هي تجنى
وانا أطيب جني من الرمان ... نظرات الملهوف يسرى ويمنى (١)

ويحدثنا أبو سلمى عن غزليات ابراهيم ومجونه فيقول : " وكتب زكي مبارك مقالا ممتعا في جريدة البلاغ القاهرية عن مجانين ليلى بكفر كنا التي اشتهرت بنوعين من الرمان وعذب شعره الغزلي وجلا ، وكان في بادئ الأمر يقول :

وأما وعندك والقوى السحرية المتحببة
ما رمت أكثر من حديث طيب ثغرك طيبه

حتى تجاوب القلبان وحتى قال :

قم حبيبي واطفئ المصباحا ... قد أباح الهوى لنا ما أباحا

وحتى قال :

لم ألق بين ليالي التي سلفت ... كليلة بتها في دير قديمس
أضم حسناء لم يخلق لها مثل ... بين الحسان ولا حور الفراديس

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الشعر الفلسطيني - محاضرة القيت في النادي العربي سنة ١٩٧٥ .

ما عرش بلقيس في ابان دولتها ولا سليمان مزفوفا لبلقيس
يوما بأعظم مما في السرير وقد دام العناق الى قرع النواقيس

ثم تزوجت بآخر طوعا لأهلها وبقي الجرح داميا ولم ينسها على مر الزمن

ويذكر أبو سلمى أنه قال له مرة كبرت يا ابراهيم فقال :

طير الصبا ولّى وكان لي جار
قلت له هلا تعود للدار
فقال لي كلا كلا وطار
أظنه ملاّ مني الجوار

.....

الى أن يقول :

قال أبو سلمى زين اترابي
صباك قد همّا حل التصابي
فهاج بي غمّا أقل مما بي
قلت نعم حتما وغاب أحبابي (١)

ويستطرد ابو سلمى فيقول : " ولم تستطع الليالي محو آثارها في قلبه زار القدس مرة بعد ما عبثت بهما يد النوى وكل سار في طريق وسرت أنا واياه في طريق دارها وانا بهما يتلاقيان وجها لوجه فتركتهما وسرت في دربي وانتظرت بعيدا وتركتهما يتحدثان ولا أنسى بعد ما ودعها قفزاته في الهواء كأنه طفل يطير ، وقال لقد نادتني باسمي باللهجة التي كانت تقولها لي عندما كنا في الجامعة وملنا الى قهوة واذا به يتناول ورقة وقلما ويكتب قصيدة منها هذه الأبيات :

ان عبد الكريم رد حياتي بلقيا ضنّت بها الأعوام
انه في خياله مثل عيسى ليس منه عيسى عليه السلام

يا رسول الهدى صاحبتك العشاق طرا وحزبك الآثام
هيمة لو حفلت يوما قواما طلك الكاهنون واللوّام (٢)"

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الشعر الفلسطيني - محاضرة القيت في النادي العربي بدمشق سنة ١٩٧٥

(٢) المرجع السابق

وعن شعره الوطني يقول أبو سلمى :

" لقد عالج ابراهيم مشكلات الشعب العربي في فلسطين ، معظمها مشكلات الشعب العربي وسجل خواطره تسجيلا أمينا وبعد أن يذكر ابو سلمى شواهد من شعره الوطني يقول : " وليس هنا مجال لايراد جميع النواحي التي ابرزها ابراهيم ولكنني أريد أن أقول ليس هناك شاعر في البلاد العربية سجل حوادث وطنه بصدق وبيان كما سجلها ابراهيم .

أما الهجاء فانني أعتبر ابراهيم من اوائل الهجائين في الشعر العربي بعينه في ذلك بديهة سريعة ،ونكتة جارحة ،وسهولة في النظم ،وحدة احساس ، ولا أستطيع أن أسرد بعض هذا الهجاء الذي لم تعرفه البلاد منذ عهد ابن الرومي وأبي نواس وحماد عجرد ، كان رحمه الله يتبرم بالثقلاء ولا يستطيع أن يسمع باسم أحدهم أو يراه حتى يضيق صدره ، جئته مرة ، وكنا متواعدين على اللقيا في مقهى بالقدس فوجد أمامه ورقة يكتب عليها ، قلت له ما هذا ؟ فقال أهجو الثقلاء المنتشرين في الأرجاء مع بلدانهم ، واسمعني قصيدته المعروفة " أثقل الثقيلين " .

أما خفة الدم والظرف فحدث عنهما ولا حرج ، وكان لظرف والدته ، طيب الله ثراها أثر كبير فيه ، لم يفارقه ظرفه في أحرج أوقاته .

مرض مرة في بيروت واحتاج الى نقل دم له فلما اراد الطبيب اجراء عملية نقل الدم له قال :

وطبيب رأى صحيفة وجهي ... صاحبا لونها وعودى نحيفا

قال : لابد من دم لك نعطيه ... جديدا ملء العروق نظيفا

لك ما شئت يا طبيب ولكن ... أعطني من دم يكون خفيفا

كان الشعر يعكس انفعالاته من غضب ورضى وحب وكره ، لا يتكلف ولا يماري نفسه آلة موسيقية تحركها النسمة الهوائية ولا يجبر نفسه على سلوك طريق ينفر منها .

وكان يعيش حياته الشعرية ، سمى ابنة اخيه أحمد باسم " فوز " عندما كان مولعا بالعباس بن الأحنف وسمى ابنة اخته " نزيهة " لأنه تغزل بفتاة بيروتية اسمها " نزيهة أدهم كما سمى ابنته " عريب " باسم المغنية العاهرة التي فتنت سبعة خلفاء .

وكان في رثائه للناس يرثي وطنه فلسطين ، عندما رثى عاهر العرب الكاظمي بقصيدته :

هل جنة الشعر ما الذى بدوحتها حتى خلت من ظلال الحسن والطيب

قال :

يا رائدا كل أرض أهلها عرب يجتازها نحو تصعيد وتصويب
ومنحدا عندهم علما ومعرفة يغالبهم بين ادلاج وتأديب
هل جئت منهم أناسا عيشهم رغد أم هل نزلت بقطر غير منكوب
أم أى راع بلا ذئب يجاوره ان لم تجد راعيا شرا من الذيب

.....

كان يحاسب نفسه كثيرا ، كتب مرة معلقا على قصيدة نظمها وكان مزهوا بها فمزقها أخوه أحمد وصديق تقي الدين (بعد ذلك كنت مع نفسي قاسيا عنيفا أمزق القصيدة حين أشعر بالتكلف يدب فيها . وأقف موقف الناقد الهدام أحطم شعرى بيدى أو أبديه وأنا راض عنه[1]) .

مع عبد الرحيم محمود :

يتحدث أبو سلمى عن صديقه عبدالرحيم محمود حديث المطلع على مفاتيح شخصيته المدرك لحقيقة دوره كشاعر ملتزم بهموم الانسان والوطن .

ولا يدع أن يدرك أبو سلمى كنه هذه الأبعاد وحقيقة دوافعها ، فهو قد عاش مع عبدالرحيم محمود وابراهيم طوقان وشعراء الموطنة الآخرين ، ذلك الصراع

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الشعر الفلسطيني - محاضرة القيت في النادى العربي بدمشق سنة ١٩٧٥

العنيف مع الواقع الاجتماعي والاقتصادي والحضاري في بلاده فلسطين ، وأسهم معهم بالكلمة المقاتلة والقصيدة الثائرة مسجلين كل حدث من أحداث القضية ، مستنهضين العزائم للكفاح مستمدين هذه التطلعات والمعاوسات من حركة التاريخ ، ومن التطور الطبيعي للانسان والحياة والكون .

يتحدث أبو سلمى عن شخصية عبدالرحيم محمود فيقول :

" بين طولكرم ونابلس في فلسطين الوطن الغالي تقع " عنبتا " وفي هذه القرية وذلك عام ١٩٣٥ احتشدت جموع الأمل لاستقبال أحد أمراء العرب ، وفي وسط تلك الجموع وقف شاب لوحت الشمس وجهه واكسبته تلك السمرة الحلوة ، طابع الوطن العربي ، وقوّست الجبال قامته فشمخت ، وقف ينشد شعرا :

المسجد الأقصى أجئت تزوره أم جئت من قبل الصباح تودعه

تلقفت الجموع هذا البيت العصري ثم انتشر على كل لسان وردت الصفاه اسم عبدالرحيم محمود هذا الشاعر الفارس ولد عام ١٩١٣ في تلك القرية " عنبتا " الناعمة في ظلال وربوة يحف بها جبل " كفر اللبد " من الجنوب وجبل " بلعا " من الشمال وتحفها من الشرق الى الغرب طريق نابلس - طولكرم .

نشأ عبد الرحيم محمود بين تلك السفوح والملاعب ، عربي القسمات والشمائل ، ووالده الشيخ محمود العنبتاوي من الشعراء الناقدين الظرفاء ، ثم درس عبدالرحيم دراسته الثانوية في كلية النجاح في مدينة نابلس ثم أصبح استاذا فيها يبث الناشئة محبة الأدب والوطن ، وكانت فلسطين اذ ذاك ينتابها انتدابات خطيرة وتحيط بها الدسائس من كل جانب .

ونشبت الثورات في فلسطين ، وثارت فلسطين على اللهيب يتقلب ابناؤها على اللظى وكان عبدالرحيم محمود في طليعة هؤلاء الابناء ، تدفعه روحه الثائرة الى النضال الدائم لأنه كان يرى الظلم أساس فساد الكون وانه لا تجمل الحياة ولا يسعد العالم الا بعد محوه .

اشترك عبدالرحيم بالثورات متنكبا بندقيته ، وعرفت سهول فلسطين وضابها الثائر الأسمر الشاعر الفارس ، ثم تعاونت قوى الظلم على تلك الثورات

وأعمدتها الى حين وتشرد الفرسان والتجأوا الى البلاد العربية وكان العراق من نصيب شاعرنا ، وهل ينسى عبدالرحيم وطنه ولو كان في أرض عربية ، انه يتمثل له في كل منظر ويسرى مع كل خاطرة .

وتحققت أمنيته وعاد الى فلسطين بعد ذلك أقوى مراسا وأصلب عودا وأشد ايمانا بقضيته الذى تمرس بالصعاب ، واتسع أفق عبد الرحيم لا بالثقافة العالية ولا بالفلسفة الرقيقة ولكن ثقفته الحياة وكونت أخيلته وتجاوبت مع نفسه المنطلقة الى حياة أفضل كلها خير وجمال وسعادة ونقلت ريشته صورا رائعة عن الحياة جعلتها هذه النفس الثائرة مع المعذبين .

وعن التفاعل بين شخصية عبدالرحيم وشعره وانعكاس الواقع الاجتماعي والحضاري على فنه يحدثنا أبو سلمى فيقول :

" رأى عبدالرحيم يوما حمالا ميتا في حيفا وبجانبه سلة وحبلة على قارعة الطريق يمر به الناس فلا يأبهون فقال من قصيدة :

لقد عشت في الناس غريبا وها قد مت بين الناس موت الغريب
والناس قد كانوا ذوى قوة وليس للبائس فيهم نصيب
لو كنت في حبلك شناقهم لولولوا حزنا وشقوا الجيوب
أو كنت من سلك رزاقهم لقام عند السل الفاخطيب
ونزهوا حبلك من عيبه وبللوا السل بذوب القلوب
لكنك الحمال لم يطعموا فيك ولم يغضوا أذاك الرهيب
فرحت لم يسكب عليك امرؤ دمعا ولا قلب رقيق يلوب (١)

.....

وينتقل أبو سلمى من هذا الموقف الاجتماعي الذى يصور انسانية عبدالرحيم ، الى الحديث عن تفاؤله وتمسكه بالحق والمبدأ مبينا أن ذلك نابع عن ايمانه بالشعب وحده ، فيقول :

" بين جميع الأحداث يقف عبدالرحيم ضاحك القسمات ، طلق الأسارير تلمع ابتسامة الأمل على شفتيه وكأنه أمل شعبه ، هذا الشعب الذى لم يحمل

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الشعر الفلسطيني - محاضرة القيت في النادى العربي بدمشق سنة ١٩٧٥ .

السيوف الا لدفع الظلم ورد الحق الضائع ونصرة الضعيف :

نحن لم نحمل السيوف لهدر بل لاحقاق ضائع مهدور
نحن لم نرفع المشاعل للحرق ولكن للهدى وللتنوير
نحن لم نطعن الضمير ولكن بقنانا احتمى طعين الضمير

كان يؤمن بالشعب وحده ، هذا الشعب العربي العظيم الذي استجار الحق به في التاريخ فكان الغياث المستجير ، وقام برسالة الحق والحرية ، أما الزعامات الجائرة فكان كافرا بها لأنها تضلل الأمة وتشغلها عن امورها الحيوية بالترهات .

امتي ان تجر عليك الزعامات فلا تيأسي دروبها وسيري

ما فتر عبدالرحيم يوما عن الاشادة بفلسطين فكان أبر فتى لأقدس أم ، حمل جروحها بين جنبيه فكانت تتنزى دما ، خلف الضلوع ، وعبقت نسائمها في شعره فكانت أغانيه عطرة بالانسام عبقة من نفح السفوح ، حزينة بألوان المروج .

وهكذا توجت انغام الشاعر الفارس على روابي فلسطين ، وحمل روحه على راحتيه وسار في دروب فلسطين المخضبة ، دامي القدمين ينشر أشعاره على الجنبات وفيها خفوق قلبه حتى اذا التفتت اليه تطلب المزيد قدم لها حياته :

سأحمل روحي على راحتي والقي بها في مهاوي الردى
لعمرك اني أرى مصرعي ولكن أغذ اليه الخطى
أرى مقتلي دون حقي السليب ودون بلادي هو المبتغى

.....

ان جسم عبدالرحيم محمود يعجز عن حمل هذه الروح الثائرة ، وما قرأت يوما أبياته هذه التي يرى فيها مبتغاه جسما مجندلا في القفر تنوشه جوارح الطير وما قرأت أبياته التي يقول فيها (١):

روحي عصية مثقل عاتقي أيان الق الصبر عن عاتقي
تغلو على الناس ولكنني أبيتها للناس بالدائق
يا ليتني أملأ في مهمه مغاثة الناعب والناعق

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - العمر الفلسطيني - محاضرة القيت في النادي العربي بدمشق سنة ١٩٧٥

أقول ما قرأت هذا الشعر الا تخيلت أنه أحد فرسان الخوارج وشعرائهما .

ويأبى القدر الا أن يحقق الميتة التي تمناها الشاعر الفارس ، ففي حوالي منتصف عام ١٩٤٨ ولم يعد يسمع في فلسطين الا صدى طلقات متفرقة في لواء الجليل كنت ماراً بجانب نهر بردى في دمشق ، اذا بالشاعر الفارس عبدالرحيم محمود أمامي واقفا وتحدثنا طويلا وأخبرني أنه يقيم في فندق الجمهورية بالسنجقدار ثم افترقنا وانا معجب بهذه الفتوة المارمة التي تحمل همة وثلاثين عاما ، وهذه الثورة التي لا يزال يطل وهجها من عينيه ، ومضى ما يقرب من شهر وقد شغلتني الدنيا عن السؤال ثم عدت وسألت عن عبدالرحيم في الفندق فقيل لي لقد ذهب ، وعاد الى فلسطين وفي عصر يوم كئيب ، دخل عليّ في المكتب صديق لم أره بعد النكبة ، قال جئت أعزيك بعبد الرحيم لقد سبق الشهداء الى الجنة فذهلت ، واتم الصديق حديثه وقال : لم تطق نفس عبدالرحيم أن يبقى لاجئا خاملا في دمشق فالتحق بفلول جيش الانقاذ كضابط في جبال الجليل وصلت فتنة بين أهالي الناصرة فذهب الى الناصرة وأصلح ذات البين وطلبوا اليه أن يتناول الغداء عندهم فأبى وقال لا أستطيع البقاء الآن ، هناك في قرية الشجرة تدور معركة بيننا وبين الغاصبين ثم ودعهم وسار الى معركة الشجرة وسقط شهيدا وتجندل جسمه في المعمعان كما تمنى وتناوشته الجوارح واثقل بالمطر وريح الصبا كما أراد (١).

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الشعر الفلسطيني - محاضرة القيت في النادي العربي بدمشق سنة ١٩٧٥ .

مع شعراء الأرض المحتلة :

يعرف أبو سلمى الفلسطينيين العائدين داخل الوطن المحتل والفلسطينيين الذين يعيشون في المنافي خارج الوطن المحتل بقوله :

" نحن كلنا دائما مثل سكان قرية بيت صفافا قبل نكبة حزيران ، تلك القرية العربية القريبة من القدس ، والتي كانت الأسلاك الشائكة تفصل بين أهليها منذ عام ١٩٤٨ .

فجزء في الوطن المحتل وجزء في الضفة الغربية ، المدرسة في قسم والجامع في قسم آخر ، الابن في ناحية والأب في ناحية أخرى ، ولكنهم كانوا جميعا ابناء اسرة واحدة يتشاركون في الافراح والمآتم ثم يسيرون معا في المسيرة الدامية(١) " .

ويرى أبو سلمى في دراسته التقييمية والتفسيرية لشعر الأرض المحتلة ان أهم ما في شعر المقاومة هو الفلسطينية ، ففيه نكهة فلسطين ويستشهد على ذلك بقول محمود درويش " ان أهمية شعرنا الموضوعية ، تكمن في التحام هذا الشعر بكل ذرة من تراب أرضنا الغالية بصخورها ووديانها وجبالها وأطلالها .. وانسانها الذي قاوم ولا يزال يقاوم الظلم والاضطهاد ومحاولات طمس الكيان والكرامة القومية والانسانية ، واخوتنا خلف الحدود شموا من خلال كلماتنا عبير البرتقال ورائحة الأرض المحتلة بالعرق والعطر والدم (٢)" .

ويستطرد أبو سلمى فيؤكد هذا المفهوم بقوله :

" وهكذا يتجددون في أرض الأجداد في شبابة راع في أريج الزعتر والعنب البري فالامتزاج بالارض الفلسطينية أكسب هذا الشعر رائحة الأرض الفلسطينية وعطر كرومها وطعم زيتونها ، حتى أن هؤلاء الشعراء أحسوا بأن جلودهم هي من أديم هذه الأرض ، يقول محمود درويش :

هذه الأرض جلد عظمي ، وقلبي ... فوق أعنابها يطير كنحلة

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - من محاضرة له في المركز السوفييتي بدمشق عام ١٩٧٦

(٢) المرجع السابق

من هذه المجازر التي يمتاز المجرمون بأنهم مرتكبوها ، هذه المجزرة جرى دم شهرائنا فيها وفي شعرهم . يقول سميح القاسم :

كل ما قلناه يا هذا قليل
والذي في القلب في القلب .... ومن جيل الى جيل
والى أن يبعث النهر وتشدو في أغاني الحمائم
املاء الدنيا هتافا لا يساوم
كفر قاسم ، كفر قاسم ، كفر قاسم
دمك المهدور ما زال وما زلنا نقاوم

ويقول توفيق زياد :

ألا هل أتاك حديث الملاحم ... ونبح الأناسي نبح البهائم
وقصة شعب تسمى ... حصاد الجماجم
ومسرحها قرية أسمها كفر قاسم (١)

.....

أما الناحية الثالثة في شعر الأرض المحتلة فيقول ابو سلمى " انها تتمثل في ذلك الحرص على الكلمات والتعابير والامثال الفلسطينية الأصيلة ، فنرى في شعرهم ومقالاتهم رقصات الحراوية ، والمد ، وحاكورة التين والنخلة ، والسبلة ، والليجن والمسل "(٢) .

وفي الأمثال الفلسطينية يقول توفيق زياد :

" عن جدنا الأول ... قد جاء في الأمثال : واوى بلح منجل
كل ما تجلبه الريح ... ستذروه المواصف ، الذي يغتصب الثير يعيش الحمر خائن .
عندما مروا صباحا فوقها ... همست شجرة توت
المسوا بالنار ما شئتم ... فلا حق يموت " (٣)...

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - من محاضرة له في المركز السوفييتي بدمشق عام ١٩٧٦ .
(٢) المرجع السابق
(٣) المرجع السابق

ولعشقهم هذا التراب أحبوا عند موتهم أن يلتصقوا به ويتمددوا عليه دون لحد ، يقول سالم جبران :

يا اخوتي !
ان مت مدّوني على الأرض
بلا قبر ، بلا لحد
وخلوني شهيدا في عناق التربة الشهيدة "(١)

أما الخاصية الثانية لعمر الأرض المحتلة كما يراها أبو سلمى فهي أنه مع الجماهير في صمودهم ومقاومتهم للاحتلال ورفضهم للانصهار في بوتقته ، يقول أبو سلمى :

" قام هؤلاء الشعراء ... من القماط الى المعركة كما يقول توفيق زياد وقوة شعرهم أخذوها من الرابطة العضوية المتينة مع شعبهم وقضيته وكفاحه ، نميت أقدامهم وأظافرهم وهم يسيرون ويحاربون معه منتصبي القامات ، وافعي الجباه لقد كانوا معه عندما تمددت أجساد فلاحيه أمام التراكتورات في كوكب ابو الهيجا ، وكفر منده ، وغيرها لتصون تراب البطوف ، وكانوا مع المواعد المفتولة التي نافست عن حمائل الرغام في الثاغور ، لقد وقفوا مع الصدور التي كانت سدا حول كل مدينة وقرية ضد تشريد أبناء شعبهم ، يقفون أمام أكبر عصبة مجرمة لم ينحن رأس ولم يجدع لهم أنف .

يقول سميح القاسم :

حاربوني بالمنافي .... أتحدى
فندوا الحبّة بالأفاد والزنزانة الخرقاء ... اني أتحدى
البسوا الطاعون والحزن وأبقى أتحدى
اقطعوا زندي ... بالصدر المدمّى ... أتحدى

فشعراؤنا اذن يحملون جروح وطنهم في قلوبهم ومآسي شعبهم في عيونهم كل مجزرة يعيشونها لأنهم هم أنفسهم أبناء المجزرة ، مجزرة كفر قاسم واحدة

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - من محاضرة له في المركز السوفييتي بدمشق عام ١٩٧٦ .

والخاصية الرابعة لشعر الأرض المحتلة فهي كما يرى أبو سلمى تتمثل في التأكيد على العروبة يقول أبو سلمى :

" ولما كانت فلسطين جزءا من العالم العربي فان شعراءنا يتحسسون هذا العالم العربي وثوراته ، ولم يعتبروا أنهم أقلية مطلقا في الوطن المحتل يقول توفيق زياد :

يقول الدعيون والغاصبون ... بأنا أقلية سوف تجلى
والا سنفنى اضطهادا ونلا ... ولكن .. أقلية نحن .. كلا
ومليون كلا ... فنحن هنا الأكثرية

.....

ولسميح القاسم قصيدة طويلة وجميلة بعنوان " ليلى " يصف الثورة اليمنية ولكنه يرى فيها كل البلاد العربية ، ابتدأها بقوله :

هاهنا الله شهيه ... شاهنا الله فكانت كبلادي العربية
شعرها ليلة صيف بين كثبان تهامه ... مقلتاها ... من مهاة يمنيه
فمها من رطب الواحة في البيد العصيه ، عنقها ، زوبعة بين رمالي الذهبيه
صدرها نجد السلامه .. يحمل البشرى الى نوح ... فعودي يا حمامه ..."(١)

ويقول توفيق زياد تضامنا مع الاضراب الجبار الذي بدأه في ٢٨ / ٤ / ١٩٧٠ الوف سجناء الكفاح في الوطن ضد الاحتلال الاسرائيلي من قصيدة بعنوان :
" الحرية أو الموت " :

هذه أغنية ... للعشرة آلاف سجين في قلب سجونك ، يا اسرائيل الكبرى والصغرى
هذه أغنية ... للعشرة آلاف ربيع ، معتاقة للأرض السمرا
هذي أغنية للأيدي المسحوقة ، بالأغلال الدموية تتحدى الأغلال الدموية

وفي قصائد شعرائنا في الوطن المحتل نجدهما تخفق مع قلب كل بلد عربي نجد دمشق هنا ميسلون ، يا بنت عمي يا دمشقية وتجد بغداد والسودان واليمن وليبيا والقاهرة والجزائر في قلوبهم تنبض العروبة وكما يقول سميح القاسم :

مثلما تغرس في الصحراء نخلة ... مثلما تطبع أمي في جبيني الجهم قبله

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - من محاضرة له في المركز السوفييتي بدمشق عام ١٩٧٦

مثلما يلقي أبي عنه العباء ويمضي لأخي درس القراء
مثلما تبسم للعاشق نجمه مثلما تمسح وجه العامل المجهد سمه
مثلما يحمل تلميذ حقيبه مثلما تعرف صحراء خطوه
وهكذا تنبض في قلبي العروبه

انهم يدافعون عن عروبتهم امام طاغوت يريد أن يمحو كل سمة عربية في أرض فلسطين " (١).

أما الخاصية الخامسة لهذا الشعر " فهي " التعلق بالزيتون والبرتقال والتين ، يقول ابو سلمى :

" هذا الزيتون الذي يلون شعر المقاومة بالخضرة والأصالة هو رمز لأرض فلسطين ، حتى ان محمود درويش سمى ديوانه الثاني " اوراق الزيتون " ولا تجد شاعرا من شعرائنا في الوطن المحتل الا وشجرة الزيتون المباركة تباركه وتبارك شعره .

والزيتون يمانق الأرض الفلسطينية وخاصة أرض الجليل منذ الأزل والى الأزل فهو يمانق الأرض الفلسطينية وتمتد أطرافه الى أعماقها ، فهما لا ينفصلان، والزيتون مرتبط بالفلاح الفلسطيني ، وبالقرية الفلسطينية والأرض الفلسطينية ، تنام العصور تحت ظلاله والى جوار الفلاح ، يقول محمود درويش : " ان اهتمامي بالزيتون مستوحى من واقع الانسان الذي غرس هذه الشجرة منذ القديم ورعاها وسقاها بالعرق والأمل منتظرا ثمارها ، هذه العلاقة بين الزارع والشجرة تحمل مدلول استمرار الحياة والأمل والوطنية " .

فالتعلق بالزيتون هو التعلق بالتراب الفلسطيني ، ونعرف كيف يتعلق الفلاح الفلسطيني بزيتونه ويرعاه بعرقه وأمله فيرعاه الزيتون بزيته وحليبه وظله .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - من محاضرة له في المركز السوفيتي بدمشق عام ١٩٧٦

هذا الزيتون لأنه كل ذلك في نظر الفلسطيني ، فقد أخذ الاسرائيليون يهاجمونه كأنه أكبر عدو لهم ، وهو بالفعل من أشد أعدائهم لأنه يشير الى تاريخ عروبة فلسطين وقدم هذا التاريخ . وكرم الزيتون وبيارات البرتقال وحواكير التين معالم بارزة في الشعر الفلسطيني وهي أثمن ما يملك الفلسطيني، يقول محمود درويش :

لك مني كل شيء
خاتم المرس وما عئت
وحاكورة زيتون وتين

أما توفيق زياد فيرى في الزيتون غاية ثورية نبيلة " تعلمون أن مدام دي فارج " كانت ابان الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ تحيك بالصوف أسماء أعداء الشعب الفرنسي لتقتص منهم الثورة ولكن توفيق زياد سيحفر أسماء أعداء الشعب العربي الفلسطيني على جذع زيتونته الفلسطينية الموجودة في ساحة داره فيقول :

لا أحيك الصوف ... لأني كل يوم عرضة لأوامر التوقيف
وبيتي عرضة لزيارة البوليس للتفتيش والتنظيف
لأني عاجز أن أشتري ورقا
سأحفر كل ما القى وأحفر كل اسراري
على زيتونة في ساحة الدار

وبعد أن يقول بأنه سيحفر قصته وطول مأساته وآلامه ويحفر كل قسيمة أرض سليب وموقع قريته وحدودها وبيوت أهليها وأشجاره التي اقتلعت وكل زهرة برية سحقت ويحفر أسماء الذين تفننوا في لوك أعصابه وأنفاسه ويحفر أسماء السجون ونوع كل كلبشة شدت على كفه ، ودوسيهات حراسه ، وكل عتيمة صبت على رأسه .(١) "

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - من محاضرة له في المركز السوفييتي بدمشق عام ١٩٧٦ .

والخاصية السادسة من وجهة نظر أبي سلمى تتمثل بأن شعر المقاومة هو شعر أبناء الفلاحين ، يقول أبو سلمى :

" ان الشعراء الذين يمثلون عصر المقاومة في الارض المحتلة ، أحسن وأبرز تمثيل هم الاعزاء الأربعة : محمود درويش ، وتوفيق زياد ، وسميح القاسم ، وسالم جبران وجميع هؤلاء أبناء فلاحين .

يقول محمود درويش :

كان فيها أبي يربي الحجارا ... من قديم ويخلق الأشجارا
جلده يندف الندى ... بهدة تورق الحجر

ويقول أيضا :

أبي من أسرة المحراث ... لا من سادة نجب
وجدي كان فلاحا ... بلا حسب ولا نسب
ويبقى كوخ ناطور ... من الأعواد والقصب

وتوفيق زياد وان كان من مدينة الناصرة فهو من الحارة الشرقية في الناصرة وسكانها هم من فلاحي مرج ابن عامر الذي شبت على حبه كما يقول توفيق أجيال لا تعد ولا تحصى وعاشت على خيراته .

وسميح القاسم ابن فلاح من قرية الرامة الواقعة في قلب الجليل الغربي في منتصف الطريق بين صفد وعكا ، وهي شهيرة بزيتها وزيتونها .

وسالم جبران ابن فلاح من قرية البقيعة المعرفة على قرية الرامة في الجليل ايضا وهو الذي يقول :

سريعا سوف آتيكم رفاقي ... مثلما يركض للعين قطيع الماعز العطشان
سريعا سوف آتي البيت يا أمي ... اعدي لي مجدرة وبعض البصل الاخضر والليمون

فهذه الطبقية الفلاحية أو النكهة الطبقية كما يسميها توفيق زياد ميزة مشرقة من ميزات شعرائنا في وطننا المحتل ، والفلاحون هم الغلبية الساحقة من الشعب العربي الفلسطيني التي صمدت عبر العصور صمود جبال أرضهم أمام العواصف .

يقول محمود درويش :

الأرض والفلاح والاسرار قل لي كيف تقهر

هذى الأقانيم الثلاثة كيف تقهـــــــــر

كان لهؤلاء الشعراء فوق القوى والخصائص الكثيرة التي يملكونها قوتان كبيرتان ، الاولى ارتباطهم بجماهير الشعب ، والثانية تجربتهم الذاتيـــة ، كجزء عضوى من التجربة العامة وهم لم يكتفوا كما يقول توفيق بالوقوف الى جانب جماهير الشعب وهي تصنع كفاحاتها وتدفع الثمن وانما اشتركوا معها جسمانيـــا في صنع تلك الكفاحات ودفعوا الثمن ، لذلك فان لشعرهم نكهة التجربة الذاتيـة الثورية ، وقد وجدوا أنفسهم كأبناء فلاحين جزءا ملتحما بوطنهم . هذا الوطـن الذى لم نبحث عنه كما قال محمـــود في حلم اسطورى ولم تصنعه كما تصنـع المؤسسات بل هو الذى صنعنا هو أبونا وأمنا ولم نشتره من حانوت أو وكالـــة ولم يقنعنا أحد بحبه ، لقد وجدنا أنفسنا نبضا في دمه ولحمه ، ونغاما فـــي عظمه وهو لهذا لنا ونحن له[1]..." .

وعن الخاصية السابعة لشعر المقاومة التي يسميها " الأيديولوجيـــة الثورية " يقول أبو سلمى :

" تبعا لنظرية " لا ثورة بدون "ايديولوجية" فان شعراء المقاومـــة يربطون تحررهم القومي بالتحرر العربي وبحركة التحرر العالمية ، فهم يعتنقـون العقيدة الثورية الأممية ، وحفل شعرهم بأخوة الشعوب والتضامن الأممـــي ، فنجد التمجيد للثورات العالمية من فيتنام الى كوريا الى كـوبا الى ثـورات افريقيا وزنوج أمريكا ضد الاستعمار والتحرر الاجتماعي ، باعتبار أن الحريـة في العالم وحدة لا تتجزأ وأن انتصارها في بلد من البلدان هو انتصار لها فـي انحاء الدنيا .

فمن هنا أبو هنا ... الى نبيل عريضة كلهم يتسلحون بالعقيـــدة الأممية الشيوعية ، ويشيدون بأممية الحلف الجبار بين الاشتراكية ، وحركة التحرر

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - من محاضرة له في المركز السوفييـــتي عام ١٩٧٦ .

الوطني وأممية الملة - كما يقول توفيق زياد - بين انتصار كفاحنا ومباديء الأمل في الكرملين ، وتثقيف الشعب هناك بالروح الأممية وأخوة الشعوب في نظريته وكفاحه الأخوة الحقيقية ، أخوة الند للند ، لا أخوة الفارس والفرس ، يقول محمود درويش :

" كنت أتأثر بأي انتصار ثوري في أي مكان في العالم فأسارع الى تسجيل هذا الانتصار وحين شعرت أني أملك القدرة على أن أكون عضوا في الحزب الشيوعي دخلت اليه عام ١٩٦١ فتحددت معالم طريقي وازدادت رؤيتي وضوحا وصرت أنظر الى المستقبل بثقة وايمان وترك هذا الانتماء آثارا حاسمة على سلوكي وشعري " .

ويقول سميح القاسم : " صباح الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ اعتقلوني مع محمود درويش وآخرين . نتائج هذه الحرب كشفت أمام عيني أشياء كثيرة منها : أن الطريق الصحيح أمام حركة التحرر العربي هي ممارسة مبادئ الاشتراكية العلمية بشكل علمي ، كنت مؤمنا بنوع غامض من الاشتراكية ، أحداث حزيران كانت الحد الفاصل بين الايمان العاطفي والوعي ، في السجن نفسه سلمت على أحد أعضاء اللجنة المركزية وكان سجينا معي طلبت انتسابي الى الحزب الشيوعي وقد قبل طلبي (١) ... "

.....

بهذه الخصائص السبع يبرز أبو سلمى الملامح العامة لشعر المقاومة الفلسطينية ، وقد عبر ابو سلمى بهذا التقييم والتفسير والتحليل عن الدور الذى يؤديه هذا الشعر في تأكيد حق شعبه في الحرية ومدى التحامه بالشعب والوطن ..

يقول أبو سلمى : قال لي المستشرق الفرنسي " اولفيه " انني أؤلف كتابا عن شعراء المقاومة في فلسطين وقد ابتدأت بالكتابة عن محمود درويش ، هؤلاء الشعراء هم الذين عرّفونا بأن هنالك شعبا فلسطينيا يجب أن يعود الى وطنه فلسطين ، كنا نقول قبل أن نقرأ أشعار محمود درويش ورفاقه ، ان العرب الذين خرجوا من فلسطين يجب أن يعيشوا في البلاد العربية الواسعة ، أما بعد

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - من محاضرة له في المركز السوفييتي بدمشق عام ١٩٧٦

أن عرفنا هؤلاء الشعراء ، فقد أصبحنا نقول : يجب أن يعود الفلسطينيون المشردون الى وطنهم فلسطين ، وهكذا عرفنا قضيتكم من أشعارهم(١).. "

وهكذا يرى أبو سلمى في هؤلاء الشعراء الصامدين في لهيب المعركة وعلى أرضها انهم هم الذين يدافعون عن شرف الكلمة .. فيسجلون لوطنهم وشعبهم في هذا الميدان أروع آيات المجد والفخار .

مع الدكتور عز الدين اسماعيل :

تناول الدكتور عزالدين اسماعيل في بحث له موضوعه " النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية " أهمية التعمق في دراسة الشعر الجاهلي وتحليله وتفسيره من الوجهة النفسية . واختار ظاهرة واحدة من بين الظواهر العديدة التي تؤكد أصالة الشعور والتعبير فيه وهي ظاهرة " مقدمة النسيب " التي تستهل بها القصائد الجاهلية ، ودعا الى النظر الى مقدمة النسيب في القصائد الجاهلية على أنها كانت تعبيرا عن أزمة الانسان في ذلك العصر في موقفه من الكون وخوفه من المجهول ، واكد الدكتور عزالدين اسماعيل أن مقدمة النسيب لم تكن مجرد وسيلة فنية يجذب بها الشاعر قلوب الناس وأسماعهم اليه ، كما يرى ابن قتيبة في كتابه " الشعر والشعراء " بل كانت جزءا حيويا في تلك القصائد ان لم تكن أكثر اجزائها حيوية (٢) " .

تصدى أبو سلمى لهذا البحث في مقال له موضوعه :" تواردُ خواطر أم تناقل أفكار " بقوله : " وما أن انتهيت من قراءة هذا البحث الجديد حتى شعرت أنه لم يكن جديدا عليّ ولا غريبا وبعد قليل تذكرت المحاضرة القيمة التي ألقاها المستشرق الالماني " فالتربراون " الاستاذ في جامعة برلين ، في المركز الثقافي بدمشق باللغة العربية والتي تدور حول " الوجودية في الجاهلية " فعدت الى مجموعة المعرفة وانا بمحاضرة المستشرق الالماني منشورة في عدد حزيران ١٩٦٣ .

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - من محاضرة له في المركز السوفييتي بدمشق عام ١٩٧٦

(٢) الدكتور عزالدين اسماعيل - مجلة الشعر القاهرية - العدد الثاني - السنة الاولى - فبراير سنة ١٩٦٤ ص ٣ - ٤

قرأت محاضرة المستشرق الالماني ثانية وعدت الى قراءة موضوع الدكتور عزالدين اسماعيل فتعجبت كيف تكون الافكار متفقة الى هذا الحد وحتى يشاركني القارئ في الاضطراب والتساؤل ويساهم معي في الوصول الى جواب حاسم عن سؤالي " هل هنالك تواردٌ خواطر أم تناقل أفكار ! " فاني سأعرض بعض الافكار والتعابير والانتقادات المتشابهة في هذين الموضوعين .

قال المستشرق الألماني فالتر براون في محاضرته" مرادي أن أقدم بعض الملاحظات في الشعر الجاهلي " والموضوع كما تعرفون " بحر لا ساحل له " مرادي أن أحدده مستلفتا نظركم الى صدد واحد وأن أتكلم عن ذلك المطلع الذي يفتتح به الشاعر قصيدته وهو النسيب " وقال الدكتور عز الدين اسماعيل في مقاله :

" ان الشعر الجاهلي يضع بين ايدينا مجموعة من الظواهر التي تحتاج الى الدراسة وانني أختار للدراسة في هذا المقال ظاهرة واحدة منها هي ظاهرة مقدمة النسيب التي تفتتح بها القصائد " .

والمقال والمحاضرة اعتمدتا معا على نقد نظرية ابن قتيبة في كتابه " الشعر والشعراء " القائل عن الشاعر الجاهلي : " ثم وصل بالنسيب فشكا بعدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق .. ليميل نحوه القلوب ويصرف اليه الوجوه وليستدعي اليه اصغاء الأسماع لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل " .

وقال المستشرق الألماني في محاضرته : " هذا هو تفسير ابن قتيبة " النسيب في رأيه جزء القصيدة الذي يميل به الشاعر انتباه سامعيه " ما اقرب هذا التفسير ! ! هل هذا الرأي قريب الاحتمال ! .. لا أظن ... " .

وقال الدكتور عزالدين اسماعيل في مقالته : " ونحن نذهب منذ البداية الى أن تفسير ابن قتيبة ليس محيطا وهو - على الأقل - ليس كافيا " .

ثم يقول المستشرق : " يظهر لي أن تفسير ذلك العالم القديم غير محتمل، وأنه بعيد عن العبراء القدماء وكيف لا ؟! فانه كرجل حضري يعيش في مجتمع متحضر بعيد عن البداوة غاية البعد في هذا المجتمع الحضري أنشد أبو نواس بتهكم الأبيات الشهيرة :

عاج الشقي على رسم يسائله وعجت أسأل عن عمارة البلد

ويقول الدكتور : ان الالتزام بهذا التقليد في مستهل القصيدة جعل هذه المقدمة مع مضي الزمن محجوجا ، ومن ثم كان من الطبيعي أن تجد شاعرا مثل أبي نواس يشعر بتفاهة هذا التقليد لتفاهة الغرض المطلوب منه الذي حدده ابن قتيبة فانا به يهاجم هذا التقليد حيث يقول :

عاج الشقي على رسم يسائله وعجبت أسأل عن عمارة البلد

وكذلك يقول المستشرق الالماني " اعتقد أن موضوع النسيب الصميم هو الموضوع الذي حرك الانسان في كل زمان وهو الموضوع الذي يسترجع فيه الانسان اليوم وزنه وأهميته وهذا الموضوع هو اختيار الفضاء والفناء والتناهي .. " .

ويقول الدكتور عزالدين اسماعيل : " في الوقت الذي عد فيه ابن قتيبة هذا النسيب أداة فنية موجهة الى الخارج نرى - على العكس - أن هذا النسيب كان تعبيرا يجسم لنا ارتداد الشاعر الى نفسه وخلوه اليها ويعبر لي عن موقفه من الحياة والكون من حوله فصورة الحياة بالنسبة للشاعر الجاهلي كانت تنطوي في نفسه على عناصر عطية ابرزها التناقض واللاتناهي والفناء "(١) .

ويستمر أبو سلمى في عرض مقارناته لما قاله المستشرق الألماني في محاضرته وما ذكره الدكتور عزالدين اسماعيل في بحثه ، الى أن يختتم مقالته بقوله : هذه بعض الامثلة على الافكار المتشابهة والاستنتاجات المتشاكلة في الموضوعين ولم أرد من سردها ، اعلان رأيي في هذا الصدد ، ولكنني أحببت

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المعرفة الدمشقية - السنة الثالثة العدد السابع والعشرون آيار سنة ١٩٦٤ ص ١٥٥

أن الفت النظر الى هذين الموضوعين الممتعين والى وجوب قراءتهما قراءة دقيقة وعميقة لما فيهما من فائدة ومتعة وطرافة وحتى يشاركني القارئ في لذة البحث وفي اعطاء الجواب الحاسم عن سؤالي : « هل هناك توارد خواطر أم تناقل أفكار (١) » .

وقد اتبع ابو سلمى في نقده لمقال الدكتور عزالدين اسماعيل أسلوبا استنكاريا غير مباشر ليبين أن مقال الدكتور عزالدين هو تناقل لأفكار المستشرق الالماني بنصها مفسحا المجال أمام القارئ ليشترك مع أبي سلمى في مقارناته التي أوردها للتدليل على مطابقة الأفكار وعدم اختلافها الا في صياغة العبارات وتركيب الجمل وبالتالي فلا يكون ما أورده الدكتور عزالدين اسماعيل توارد خواطر بل تناقل أفكار .

موقفه من القضايا الأدبية المعاصرة

مأساة الحرف العربي :

كان الأديب السوري نظير زيتون ، قد كتب مقالا حول مأساة الحرف العربي ردا على نداء الأديب المهجري الياس قنصل عندما دعا الحكومات العربية لانصاف أدباء المهجر وتقدير تضحياتهم وطبع مؤلفاتهم . والمقال عبارة عن صرخة أطلقها نظير زيتون خوفا على اندثار الحرف العربي في المهجر من جهة ، وتقريعا للدول العربية من جهة ثانية لأنها لم تقم بواجبها نحو أدباء المهجر ودعاها الى رفد الحرف العربي في المهجر حتى يبقى الحرف مضيئا للمغتربين ، ويكون شعاعه صلة بينهم وبين الوطن . وعبر هذه الصرخة التي أطلقها نظير زيتون يقول أبو سلمى :

« صرخة الصديق الأديب الأستاذ نظير زيتون فيما يتعلق بمأساة الحرف العربي في المهجر لمست شغاف كل قلب ، وهي التي أجاب فيها على نداء الأديب

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المعرفة الدمشقية - السنة الثالثة العدد السابع والعشرون آيار سنة ١٩٦٤ ص ١٥٦

المهجري الأستاذ الياس قنصل عندما دعا الحكومات العربية لانصاف أدباء المهجر ، وتقدير تضحياتهم وطبع مؤلفاتهم .

كانت صرخة صديقي يتفجر فيها الألم ، وقد لحا فيها كل ومضة أمل لأنه ، - كما قال - لايمكن أن يفقد المرء الأعراس في الأرماس ، وانها لصرخة صادقة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، ما في ذلك شك فأدباء المهجر الذين كانوا نجم أدب جديد أطل على الآفاق العربية ، بددوا الظلام ، وطموا التقاليد ، وأعلوا الفكر ، وأغلوا الكلمة ، وخدموا وطنهم الأول أجل خدمة في المهاجر ، هؤلاء الجنود الأبطال الذين شرعوا أقلامهم في الدفاع عن الوطن ، والأدب والجمال والخير ، هؤلاء ، لم يجدوا صدى لأعمالهم في نظر الدول العربية .

كل هذا صحيح أيها الصديق الكريم ، ولكن ، الا تتفق معي بأن الدول العربية اذا لم تكرم أدباء المهجر ، فقد كرمتهم القلوب العربية ، وان الدول العربية لم تقم بواجباتها تجاه وطن ضاع وكرامة أهينت ، وانها وقفت جامدة أمام مأساة شعب بأسره ، فكيف تريد من هذه الدول أن تقدر من قام بواجبه تجاه وطنه .

ان الأدب المهجري يكفيه فخرا أنه أشرق على كل صفحة ، فأزهر على كل شفة ، الا يكفيه اعتزازا أنه ضياء في كل حرف ، وعطر في كل قافية ، فالحاجة ماسة في أن يرى أدباء المهجر في حياتهم أن هذا الوطن الذي حملوه في قلوبهم قد رد لهم بعض الجميل .

لقد فجعت بغروب نجم " عبدالمسيح حداد " هو الذي زار وطنه في صيف ١٩٦٠ بعد اغتراب ثلاث وثلاثين سنة والذي وصف شعوره عندما صافحت عيناه الوطن ، بعد هذا الغياب الطويل فقال : " انه شعور من استطاع استنزال كوكب من السماء الى حبيبته " .

ثم عاد الى المهجر وأغمض عينيه هناك على ذكريات وطنه الى الأبد ، كان عبدالمسيح حداد قد أصدر عددا ممتازا من جريدة السائح التي كانت تصدر في نيويورك وذلك في سنة ١٩٢١ ونشر صور أعضاء الرابطة القلمية وهم عشرة كتاب وشعراء . (١)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - مجلة المضحك المبكي - دمشق - ٧ تشرين اول ١٩٦٣

ويستطرد أبو سلمى في مقاله فيقول :

« هؤلاء الذين أرادوا تحرير الأدب العربي من القيود ، هؤلاء الذين زينوا الكلمة بالخيال والشعاع ، لقد سقطوا جميعهم أبطالا في المعركة ، ولم يبق منهم الا ميخائيل نعيمة ، أمد الله في عمره .

أيها الصديق الكريم ، ان هناك ضريبة باهظة يجب أن يدفعها حامل الحرف ، وهي ضريبة الألم والدمع ، ضريبة السير على الأشواك الدامية ، يدفعها الأديب وهو في نشوة عارمة ، هي نشوة البطل حينما يستشهد في الميدان ، عندما يدافع عن مثله العليا ، ثم بعد ذلك ، أريد أن أقول لك كلمة أيها العزيز ، ألست معي أن أعظم الجنود رفعة وشرفا ، هو الجندي المجهول [1] » .

.....

يستفاد من هذا المقال ، أنه يلقي أضواء جديدة على أدب المهجر ، الذي نفح الأدب العربي الحديث من عطاء الروح والفكر الشيء الكثير . ومع ذلك ، فان شعراء وأدباء المهجر لم يكافأوا على هذا العطاء ، ولم يجنوا غير الجحود والنكران .

وأبو سلمى يوحي بأسلوب غير مباشر الى الأزمة التي يتعرض لها الأدب المهجري ، فقد كان أعضاء الرابطة القلمية عمرة كتاب وشعراء غرب نجمهم جميعا ، ولم يبق منهم الا ميخائيل نعيمة أمد الله في عمره ، ويوضح أبو سلمى أن مأساة الحرف العربي في بلادنا هي عامة وان كانت في الأدب المهجري مأساة دامية ، خصوصا لأن أدباء المهجر يقضون نحبهم الواحد تلو الآخر ولذا ، فان الحرف العربي يذوب الآن في المهجر ولا يسبك من جديد .

الأدباء والنقد :

ويحمل ابو سلمى على الأدباء الذين يضيقون ذرعا بالنقد النزيه الذي لا يميل مع الهوى ويشبه الأديب الذي لا يحتمل النقد ويطلب المزيد من المدح والثناء بالمرأة التي لا تحتمل أية ملاحظة مهما كانت طفيفة .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مأساة الحرف العربي - مجلة المضحك المبكي - دمشق - تشرين أول ١٩٦٣

أما الممثل الذي كان أديبا وفقد شهرته الأدبية بانطفاء ابداعه وأدبه فيشبهه بالمرأة التي فقدت شبابها وجمالها ، فيقول : " ترى هذا الشخص اكثر الناس اعتزازا بالماضي مثله في ذلك مثل المرأة التي فقدت شبابها وجمالها فانها تلهج بالماضي الوبان وتكثر من المساحيق والألوان لتستدر المدح " .

أما المرأة انا كانت أديبة فيقول عنها أبو سلمى :

" أما المصيبة الكبرى فهي انا كانت المرأة أديبة فانها تتلهف الى المدح من كل انسان كما تتلهف الى المطر في كل مكان " .

اني لأذكر أن الكاتبة " مي " أصدرت كتابا فمدحها الكتاب والشعراء الا المازني فانه نقد الكتاب وأظهر ما فيه . لا نفسى هذا الناقد مهما كانت قامته قصيرة ووجهه غير جميل ، وحتى نتذكر دائما ، لأن من عادة المرأة أن تنسى المحسن اليها وتذكر المسيء " (١) .

حرية النقد غير حرية التجريح :

ويحمل أبو سلمى على النقاد الذين يلجأون الى اسلوب الشتائم والسباب والتجريح لأنهم لا يحتملون النقد ويشبههم بالنساء اللواتي يضقن بالنقد مهما كان لطيفا او خفيفا ويقول بأنه يؤمن بحرية النقد على أن يكون نزيها وموضوعيا ، لا يتأثر بأحكام سابقة أو باتجاهات معينة فيقول :

" .. اكتب هذه الكلمة توطئة للقول بأن " أحد الناس " وموعدي أعرف أصالة رأيه وأدبه طلب الي أن يعلق على الموضوعات والمحاضرات الأدبية بومضات خاطفة تحت عنوان " نقدات " فرحبت به وفكرته ، وقد تعرض بنقداته أول ما تعرض لأصدقائي فما ترددت في نشر نقداته لأن من حق الأديب أن يعطي للنقد حريته على أن لا يكون فيه شتم أو تجريح أو استعلاء . ومكنا كان وقد كانت النقدات كما قرأها الناس عبارة عن لمسات خفيفة ، ولكن يظهر

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المضحك المبكي - دمشق ٢ آذار ١٩٦٤ .

أن الأدباء الذين هم كالنساء - كما ذكرت - لا يحتملون النقد مهما كان لطيفا خفيفا . ولهذا فقد ثاروا على المشرف على الصفحة الأدبية . ومنهم من كان أديبا حقا ويغلس للأدب وسألته وله من منزلته الأدبية ما يمنعه من التهجم أو الشتم أو الاستعلاء ، ومنهم من لم يكن كذلك ولم يرد موضوعيا بل هاج وماج وأخذ يضرب في الهواء دون مراعاة حق أو أدب .

وكنت رجوت « أحد الناس » أن لا يكتب عن الموضوع الواحد الا نقدة خفيفة عابرة ولمرة واحدة فقط ، ولكني لما رأيت أن بعض الناس لا يعرفون حدودا لأنفسهم ولا قيمة لأدبهم ، خالفت القاعدة فبعض الطفيليات قد لا تجتثها الضربة الواحدة وانما تحتاج الى عدة ضربات .

أما ما يتعلق بقضية أديباتنا ومشاعراتنا فالصدر لهن رحب لأن غضبهن رضى ويسرنا أن يذكرننا ولو ساعة (١) .. » .

ونلاحظ أن أسلوب أبي سلمى قد جنح الى السخرية العنيفة بالأدباء الذين يضيقون بالنقد ولكنه يرفق بالأديبات ملمحا الى رهافة قلوبهن ورقتها ، معرّضا مرة أخرى بالأدباء الذين لا يطيقون النقد بأن حالهم هذا أشبه بحال الأديبات . أما وأنهم ليسوا بالنساء فعلا ، ولأنهم لا يعرفون حدودا لانفسهم ، ولا قيمة لأدبهم ، فهم يستحقون منه مخالفة القاعدة التي يتبعها مع النساء العفيفات لأنهم كالطفيليات قد لا تجتثها الضربة الواحدة وانما تحتاج الى عدة ضربات .

ونحن نرى في لجوء أبي سلمى الى الضراوة والعنف في أسلوبه نتيجة طبيعية لاستغلال بعض الأدباء حرية النقد وخروجهم عن المألوف فالحرية هي أن تختار ، والفوضى هي أن تفقد كل اختيار . ونفهم من هذا أن من يضيق ذرعا بالنقد الموضوعي يفقد كل صفات الحرية ، ويتجه نحو الفوضى البعيدة عن التوجيه للأدب والفن .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - دمشق ٢ آذار ١٩٦٤

الالـــتزام :

حديث الالتزام ، من ميزات عصرنا التي أثير حولها الكثير من الجـــدل ، نظرا لما تحتمله من تأويلات عديدة ، ولما يرتبط بها من أبعاد فلسفية مختلفة.

وأبو سلمى يفرق بين الالتزام والالزام ، فتراه يعرّف الالزام بقوله :

" الالزام ، هو اجبار الشاعر والأديب على سلوك طريق معين ، ومنهج للقول محدد ، وهذا لا يؤمن به مطلقا ، بل يعد ذلك سببا لقتل موهبة الفنان ، وحتى ابداعه. فالأديب يجب أن يكون حرا الى أبعد حدود الحرية (١) " .

أما الالتزام ، فهو عنده "أن يشعر الفنان بأنه جزء من هذا المجتمـــع الذي يعيش فيه ، وأنه ملزم بأن يدعو الى تطهيره من العيوب ، والأدران ، حتى يصبح مجتمعا سعيدا ، ولذلك فهو كعضو حساس ، ومفكر في هذا المجتمع ، يكـــون ملزما نفسه بأن يسعى جاهدا لرفع مستوى هذا المجتمع ، حتى ينشأ افراده وهـــو منهم ، لا يعشون فقرا ، ولا جهلا ، ولا مرضا. فالاديب اذن ملتزم من هذه الناحيـــة لا ملزم . "وأنا كفلسطيني عاش المأساة ، لا يمكن الا أن أصور المأساة ، والا أن اصف تمزق أهلي ، لأن نفسي ممزقة مثلهم ، ولا يمكن لفنان اكتوى بنار النكبـــة الا أن يصف احتراق كبده ، وفي هذا الاحتراق رائحة احتراق أكباد شعب بأسره(٢)".

ويوضح أبو سلمى مفهومه للخلق الأدبي بقوله :

" ولا شيء يغني ، ويخصب الناحية الفنية اكثر من التجربة ، وخصوصـــا ، اذا كانت التجربة اليمة ، تجربة مأساة، بل أعمق مأساة ، وهي فقدان وطـــن وأهـــل .

اننا نحمل صور النكبة الدامية في عيوننا ، وأينما كنا مقيمين ، فاننا نحمل في قلوبنا الممزقة وطننا ، وطننا السليب ، وأينما سرنا فاننا نجـــر وراءنا تاريخنا الدامي .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اجابات عن اسئلة وجهت اليه حول "دور الأديب في المعركة " - مجلة المضمك المبكي - دمشق - عدد آذار ١٩٦٥

(٢) المرجع السابـــق

أجل إن هنالك من هذه التجربة خصائص وغنىً ، ولكن هذا الغضب ينشأ من الدموع ، وان هذا الغنى يتأتى من الحرمان . هذا الوطن الغالي ، بل أغلى وأجمل وطن ، نقتلع من ترابه الخصيب ، ونلقى هكذا في العراء الغريب ، جذوع أشجار عارية الفروع ، ملقاة على كل طريق ، فكيف لا يخفف العمر ، ولا يسرى فيه الذبل ، وكيف لا يصبح الفن مزدهرا على ألم (١) " .

من هنا يتضح مفهوم الالتزام عند أبي سلمى بأنه ليس قضية فكرية أو تعمية لأحد وهو غير الالزام الذي يقيد موهبة الفنان وحق ابداعه ويصيد حريته ، ولكنه التزام مشبع بروح الشعب ، دفاق بعزيمته ، فالمطلوب هو الالتزام الحر بقضايا الوطن والمجتمع ، ومعركة المصير .

وليس ثمة تعارض بين حرية الفنان والتزامه الحر ، فان حرية الأديب جزء من حرية الوطن وابنائه .

أما جوهر الالتزام فهو عنده مرتبط بالتجربة ، اذ لا شيء يخصب الناحية الفنية اكثر من التجربة وخصوصا اذا كانت التجربة أليمة . وهو في هذا ينطلق من تجربته التي ارتبطت بالتزامه الذي لم يتزعزع لأنه يغرف من نبع المعاناة ، فبسبب هذا الالتزام لم يشهد شعر ابي سلمى وأدبه اهتزازات أو انطفاءات بل شهد تسلسلا متصاعدا حتى عندما حدثت الكوارث والنكبات بشعبه ، وقد زادته هذه النكبات التزاما بقضيته ، وهذا شأن المحبين الصادقين الذين يزداد حبهم في الصعوبات .

الغموض في الأدب :

يبين أبو سلمى موقفه في قضية الغموض في الأدب وهي قضية اختلف فيها الأدباء فيقول :

" أنا من أعداء الغموض ، الا في المرأة ، فانني أحب أن أشغل فكري وقلبي لاكتشف غموضها المحبب .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اجابات عن اسئلة وجهت اليه حول " دور الأديب في المعركة " - مجلة المضحك المبكي - دمشق - عدد آذار ١٩٦٥

أما اذا كان الغموض من نوع هذه المعميات المنتشرة عند بعض من يكتبون وينظمون فانني أستعيذ بالله وابتعد ، لأنه نوع من التعقيد المقلوب والعقد النفسية التي تحتاج الى أطباء ومحللين نفسانيين وسفسائيين .

ما أحلى الغموض اللطيف الذي يحتاج الى التفاتة خفية تكشف سره ، واعراقة فكرية تلقي عليه النور .

أما الغموض الناشيء من غموض الفكرة في الذهن ، واضطراب المخيلة ، فهذا غموض محموم ينفر منه كل انسان .

ان الوضوح أبرز صفة للأديب . وما رسالة الكاتب والشاعر الا أن يعبر بوضوح عن أعمق التأملات ، وأسمى الأفكار وأدق الاحساسات .

أما انا لم يستطع أن يوضح أفكاره وتأملاته واحساساته فلا يمكن أن يستدعي أن يتعب الكاتب ، ويجهد نفسه حتى يكون بسيطا ، وليس ذلك أمرا يسيرا فان من الصعوبة بمكان أن توضح الفكرة السامية في أسلوب سهل .

ان بعض الناس يعتقدون أن الغموض هو العمق ، وهذا خطأ فان صفاء السماء يجعلك تبصر أضواء النجوم البعيدة ، وصفاء البحر يجعلك تنفذ الى الأعماق أما الغموض الذي هو الاضطراب فلا يجعلك ترى الآفاق ، أو يمتد بصرك الى الأعماق .

فرجاؤنا الى الكتاب الذين يعمدون في الغموض عندما يكتبون ، والى الشعراء الذين يحبون الغموض عبقرية أن يكون عندهم ذوق مرهف . هذا الذوق الذي لا يمكن ان يتكون كاتبا او شاعر بدونه .

وأن يحسوا بذوقهم المرهف هذا ، وأن يشعروا باحساسهم الدقيق أن القراء يضيقون ذرعا بما يكتبون وينظمون ، والكاتب كما يقول سومرست موم " يجب أن يكون مزاجه أرهف من مزاج أقرانه بحيث يشعر بالضيق قبل أن يشعروا به[1] " .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي الدمشقية ٧ كانون أول سنة ١٩٦٤ .

ومن الواضح أن أبا سلمى في هذا النص ، يرفض الغموض الذى هو من نوع المميّعات المنتشرة عند بعض من يكتبون ، وينظمون ، ولكنه يؤيد الغموض اللطيف الذى يحتاج الى التفاتة ذهنية تكشف سره ، واشراقة فكرية تلقي عليه النور ، أما الغموض الناشئ عن التعقيد المقلي والعقد النفسية فهو يرى أنه غموض ينفر منه كل انسان .

والواقع أن الغموض الناشئ عن غموض الفكرة في الذهن واضطراب في المخيلة وهو النوع الذى يرفضه أبو سلمى يؤدى الى فقدان القيمة الفنية للعمل الأدبي لأنه يصل في هذه الحالة الى نقطة التعتيم والانغلاق التام ، ولا أدرى كيف تكون الصورة أدبية دون أن يعبّر عنها تعبيرا فنيا ؟! واعتقد أننا في ظل هذه المفاهيم ، نصل الى نقطة الأوج في مسار أبي سلمى النقدى .

أبو سلمى ناقدا اجتماعيا :

لا بد للأديب أن يكون صاحب رسالة ، والتجارب لا يمكن أن تأتي من العدم ، بل لا بد أن تكون انعكاسا للعلاقة بين ضمير الأديب ، والضمير الجماعي لأمته .

ومن هذا المفهوم الاجتماعي للكلمة ، يصبح الأديب الذى لا يحمل رسالة ، ولا يخدم هدفا اجتماعيا ، يصبح نوعا من الأصوات المجردة الخالية من الفائدة .

وقد كان أبو سلمى أحد الأدباء الفلسطينيين الذين أسهموا بالنقد الاجتماعي في مرحلة ما قبل النكبة وبعدها ، معبرا في ذلك عن التزامه وتلاحمه بقضايا العصب والوطن ، وهموم الانسان العربي وهو في نقده يعبر عن روح الجماهير ، ويلتزم بقيم المجتمع ، بمعنى الاتجاه الى الانسان والبدء منه ولعل التبرير الوحيد لهذا الاتجاه ، أنه عاش الاضطهاد وهو يبحث عن الحرية ، ولم تكن الحرية التي يبحث عنها حرية فردية " انما هي حرية الشعب والأمة " .

حق المرأة في الانتخاب :

ولعل أبرز مقالاته النقدية في مرحلة ما قبل النكبة ما كتبه عن " حق المرأة في الانتخاب " فهو يسخر من تطلع المرأة الى هذا المركز ويقول ان المرأة لا تصلح الا للوظيفة التي خلقت لها وهي وظيفة " الأم " وكملهمة للشعر والغيال فيقول :

" المرأة موضوع هائل على نعومته ، وأكبر أعدائها من يصارحها ، لا تعترف بالحقيقة ولا تريد أن يراها الانسان الا من وراء طلاء ، ولا ترى العالم الا من خلف طلاء . عيناها لا تتطلعان الا على صفحات ثيابها وجمالها . وعلى ما يتصفحها فقط ، بهرجة خداعة وزخرف كاذب . " وجوه وسيمة وعقول صغيرة " . قال صاحب الوجدانيات [1] هذا القول متخفيا وراء كاتب عربي حاملا قلبه الخفقان بيده خوفا من لسان المرأة .

" المرأة هي ، هي منذ الأزل ، غرور ، وأنانية ، وخداع ، اقدم امرأة مثل احدث امرأة في الجوهر ، ارفع الطلاء الجديد تجدها هي نفسها التي انفردت بلبن الأفعى والتي اخذت الدروس الاولى عن الشيطان .

تريد أن تتساوى مع الرجل ، أهلا وسهلا ! لكنها لا ترضى بأن تسري عليها الأحكام التي تسري على الرجل .

إن كتبت فيجب أن تمتدح ما تكتب هي ، ولو كانت نصف أمية ، وانا انتقدت فأنت قليل الأدب والذوق لا تحترم المرأة ، وانا تكلمت فيجب أن تفتح عينيك ، وأذنيك وقلبك ، وان تهز رأسك استحسانا ، وتؤمن بما تقول ولو كان كفرا ، والا فأنت قليل الأدب والذوق لا تحترم المرأة ، وانا ركبت في قطار أو في سيارة اوتوبوس ، واتخذت لك مكانا بعد جهد جهيد ، وعرفت امرأة بعد ذلك ، فيجب أن تقوم وتجلسها مكانك ، والا فأنت متأخر قليل الأدب والذوق لا تحترم المرأة . [2] .

---

(١) صاحب الوجدانيات هو المرحوم ابراهيم الشنطي صاحب امتياز جريدة الدفاع الفلسطينية ورئيس التحرير ، وكاتب زاوية وجدانيات فيها .

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة الدفاع - يافا - زاوية أزهار واشواك - ٢ آب ١٩٤٣ العدد ٢٥١٠

ويتابع أبو سلمى كلامه عن المرأة فيقول :

" وانا مت فيجب أن تشبه ميتتها بميتة الطاووس ، أو ميتة الأميرة فايزة ، ولو كانت عرجاء (١) ، والا فأنت صاحب غرض لا يقدر المرأة .

ويجب أن تقول عن ثوبها بأنه ملون بالزهر ، معطر بالفتنة ، وقد نسجته الملائكة ولو كان من صنع ابليس .

ولا أريد أن أقول ان المرأة مخلوق تافه .. فهي اغرر واعذب ينبوع للعمر والخيال ، ويكفي أن تكون عروس الأحلام ، يسير في موكبها الهوى والعمر والدهر لكنها لا تكتفي تبتعد عن الواقع ، الحقيقة الراهنة ، وتعيش في أفق رأسها الصغير .

انها وحش صغير جميل ، اعطها المرآة والحلوى فقط . كما يقول اللورد " بايرون " (٢) والا فانها تنسى أنفها في كل شيء بلا فكر ولا رويّة . رأس نعامة تتجاوب فيه الأوهام .

واغر ما حرر ، قضية حق المرأة في الانتخابات ، وأين ؟ في بلادنا ، هذه البلاد التي تطالب بحقها في الحياة أولا ، فانا قلت لها ان الرجل يطالب بحقه الآن ، تقول : رجعي ، قليل الذوق والأدب ، لا يقدر المرأة .

أيتها المرأة ، ما دمت تطالبين بالمساواة مع الرجل في كل شيء ، لا لين ولا مواتة والا فأنت اللعبة الخطرة المحبوبة ، فابقي حيث يضعك ، أو فسيري وراءه ما دمت لا تستطيعين أن تحققي طريقك وحدك ، وما دمت تخشين على يديك الناعمتين ، وجسدك الغض ، وقدميك الصغيرين ، وثوبك الزاهي ، ولن تكوني الا كذلك ، ما دمت خلقت من ضلع زائد من أضلاع آدم (٣) " .

بهذا الاسلوب الساخر والهجوم القاسي على المرأة تراه يضع المرأة في مركز خاص تتفرد به ولا تمارك فيه الرجل ، فحق المرأة في الانتخابات في تلك

---

(١) يشبه مشية المرأة المختالة بمشية الأميرة فايزة شقيقة الملك فاروق ملك مصر السابق .

(٢) هو الشاعر الانجليزي اللورد جورج بيرون - شاعر انجليزي - ساعد الشعب اليوناني في تحريره من تركيا " المنجد "

(٣) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة الدفاع - يافا - زاوية أزهار وأشواك - ٢ آب ١٩٤٣ العدد ٢٥١٠

الفترة كان في رأى ابي سلمى سابق لأوانه لا سيما وأن الحرية السياسية والاجتماعية لم تكن قد تحققت ، فهو يعطي الاولوية لهذه الحرية الوطنية قبل غيرها من القضايا الاجتماعية ، الا أنه في استخدامه اسلوبا ساخرا وعنيفا مع اطلاق الأحكام على المرأة ،فيه كثير من التجني . وقد عبر عن عاطفته الساخرة فيما يلي :

١- شبهها بالوحش . ولكنها وحش صغير جميل

٢- شبه رأسها برأس النعامة الذى تتجاوب فيه الأوهام

٣- جاء بصور توحي بالتقليل من قيمة المرأة .

أقدم امرأة مثل احدث امرأة في الجوهر ، ارفع الطلاء الجديد تجدها هي نفسها التي تفرنت بلين الأمس ، والتي اخذت الدروس الاولى عن الشيطان .

وقد نجد لأبي سلمى عذرا في اثارة هذه العواطف ، وهو التأكيد على دور آخر للمرأة ، هو لديه أهم من مساواتها في الحقوق مع الرجل ، وهو أن تتحرر اولا من عبودية المظاهر الزائفة مستخدما في ذلك أسلوبا ساخرا لا يخلو من عنصر الاثارة والتشويق .

وقد ردت على هذا الهجوم القاسي على المرأة احدى الأديبات الفلسطينيات متخفية تحت اسم " فتاة غسان " بقولها :

" ما يدعو الى السرور والارتياح أن يجد الأدب معاصرا مخلصا ومؤازرا قويا في جريدة يومية سياسية كالدفاع الغراء ، لقد خصت هذه الصحيفة العربية الأبية بقسم من أعمدتها فأتحفونا بكل رائع جميل ، نقرأ نا " الوجدانيات " فقلنا عذوبة (والازهار والاشواك) فقلنا بلاغة وروعة ورقة وجاءنا العدد ٢٥١٠ فاذا بالشاعر أبي سلمى ينسى الأزهار على غير عادته أو قل تناساها ويبشر على صفحة الدفاع المحبوبة أشواكا فقط ، اشواكا مؤلمة حادة تواثبت على القارئات فأدمت منهن الأيدى الناعمة والأجساد الغضة والأقدام الصغيرة ولو اكتفى الشاعر بهذا لهان الأمر ولكنه أبى الا أن يهيج عزة المرأة .

لقد اكتشفت المرأة عدوها في شاعر رقيق مبدع يستلهم وحيه ان لم يكن من المرأة فمن بنفسجة لها وناعتها أو زنبقة اختلست بعض جمالها وردة أو وردة سرقت من عطرها وفتنتها وسحرها . قلت اكتشفت المرأة عدوا لها والمرأة حين تكتشف لها عصا يتخذ صفحات الجرائد مسرحا لصولاته اتظنها تسكت ؟ طبعا لا والشاعر يعرف هذا فقد قال في حديثه الأخير (قال صاحب الوجدانيات مختفيا وراء كاتب عربي حاملا قلبه الخفاق بيده خوفا من لسان المرأة) .

اذن تخافون المرأة ، وتخافون غضبها ولسانها ، ولكن ليس اللسان سلاح المرأة الوحيد عندما العقل والمنطق والعلم عندما القلم الذي تمنحه قوة من روحها الوثابة ، وعناء من شعورها المرهف .

قلت أيها الشاعر في مقدمة أشواكك (وأكبر اعدائها من يصارحها) كلا ليس من يصارح المرأة بعدو لها انا طالبتك المرأة بحق الانتخاب فقلت لها بأن طلبها سابق لأوانه ، وأن أمامها مراحل كثيرة قبل أن تصل الى مركز يؤهلها لذلك . نعم انا صارحتها هذه الحقيقة المؤلمة في صدق واخلاص محترما شعورها فانساك لا تصبح لها عدوا ولكن اذا استهزأت بها وبطلبها وأجبتها بأنها (من ضلع زائد من اضلاع آدم ولهذا عليها أن تبقى حيث يضعها أو تسير وراءه) عند ذلك تصيح وتثور وتناصبك العداء ... " .

وتختتم فتاة غسان مقالها بقولها : "وأما بعد فقد كنت قاسيا في حملتك قسوة تتنافى مع رقتك كشاعر ستظل المرأة تطرب لقصائدك الرقيقة الفياضة ..(١) " .

---

(١) فتاة غسان - مكانة المرأة - جريدة الدفاع اليافية - ٢٦ آب ١٩٤٣ العدد ٢٥٣٣ .

المشكلات الأخلاقية :

وفي مرحلة ما بعد النكبة ، اهتم ابو سلمى في مقالاته الاجتماعية بابراز المشكلات الاخلاقية ونقدها .

ولعل من أسوأ ما لاحظ في عاداتنا : المبالغة ، والسلبية ، وميلنا الى الظهور في غير حالنا الحقيقية ، فيكتب عن ظاهرة الضجيج والصياح التي يمارسها بعض الناس ، فيزعجون غيرهم أو يعكرون صفو الهدوء ليستمتعوا بسويعات يقضونها في لهو ومرح على حساب راحة الآخرين ، فيقول تحت عنوان : " أكلة لحوم البشر " .

" ولا أعني بأكلة اللحوم ، أولئك الذين يفتابون الناس ، كما لا أقصد الذين يأكلون لحوم البشر ، وخصوصا الجنس الأبيض في بعض أذغال افريقيا ، وانما أقصد أولئك الذين يستمعون الى المطربات من الوزن الثقيل .

تظهر المطربة كأنها احدى حاملات الطائرات ، وتغني بصوت لا أريد أن أقول كريها ، ولكنه دون الوسط ، وغير جميل . ثم تهتز وتترنح فتهتز الأرض وتترنح من تحتها تبعا لذلك . وتكون لابسة من هذه الدنانير ، البعيدة عن الذوق ، بعد صوت البحر عن نجوم السماء ، وانا بهذا النوع من المستمعين يموج طربا ، ويزعج العالم بصياحه ، دليلا على صوته ، وأنت تعلم أيها القارئ الكريم أن الصياح عندنا هو علامة الطرب ، وأن المستمع اذا طرب فانه يعلن عن طربه بالصياح والضجيج وضرب الرجلين ، وأحيانا مع الصفير ، فاذا لم يعل صياحه ، ولم يلمس الأرض برجليه ، فانه لما يطرب بعد .

ولا أعرف أمة تحب الضجيج مثل أمتنا ، ولا أناسا يظهرون طربهم وسرورهم بالصياح مثلنا ، الم تر هؤلاء الذين يسيرون في الطرقات وهم يحملون آلات الراديو يفتحونها على مداها ويستمعون الى الأغاني والموسيقى الصاخبة وهم سائرون مسرورين ، ولا يهمهم ازعاج الماشين ، عباد الله ، وغير آبهين بنظرات الاستنكار المحدقة بهم من كل جانب .

ألم تصادف أن يكون بيتك الى جانب دكان أو بائع راديو ، يسره أن يفتح دكانه في الساعة السادسة صباحا ولا يغلقها الا بعد منتصف الليل وهو منذ ساعة يفتح الراديو بأعلى صوته ، ولا يخرس صوته الا عند اغلاق دكانه ، وقد سألت مرة بائع راديو كان صوت الراديو عنده ملطعا بالجو عن سبب ارتفاع صوت الراديو الى هذا المقدار، فأجابني حفظه الله حتى يسمعه من يكون في أول الشارع فيعرف انني بائع راديو .

ألم يصادف أن يكون جيرانك من الذين يستيقظون باكرا ومن أصحاب الطرب ويسبقون الشمس في بكورها ، وتمتد الأيدى الطويلة الى الراديو ، وانا بالصوت العجلجل يوقظ أهل الحارة ، كل ذلك لأجل المعاركة في الطرب . وانا كانت هنالك حفلة طرب ليلية تمتد الى ما بعد منتصف الليل فأهل الحارة مضطرون لابعاد النوم من أجفانهم حتى يشاركوا في البلاء والفناء (١) .

ويستطرد ابو سلمى في حديثه عن أكلة لحوم البشر بقوله :

" ويزيد في الطنبور نغما ، اذا كان بيتك على طريق عام تسير فيه السيارات التي لا يطرب سائقوها الا على نغمات الزامور المتتالية ، ويزيد طربهم باطلاق تلك النغمات في الصباح الباكر أو عند منتصف الليل .

ويزيد في الطين بلة ، اذا كان بيتك على طريق فرعي حيث يقوم بائعو "الخضرة" والحليب بمهمة سائقي السيارات ، ونهيق الحمير ، وأزيز الموتور يقومان مقام الزامور بكل أمانة واخلاص وخصوصا في الصباح الباكر أو الليل .

أردت أن أسرد هذه الأمور لأقول ، ان كل هذه المزعجات لا تعدو شيئا مذكورا أمام صياح الذين يستمعون الى قناطير اللحم ، فقد ظهرت مرة على شاشة التليفزيون احدى هذه القناطير اللحمية المقنطرة - وكثيرا ما تظهر لأنها مطربة شعبية كما قالوا - فأخذت تتلوى صب ما يساعد جسمها ، وتغمز بعينيها اللتين شبههما اجدادنا الكرام . وما أصدق التشبيه بعيون البقر الوحشية . ثم ابتدأت تصيح باشارات سمجة ، وتهتز اهتزاز البقرة الهولاندية ،

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - ٧ شباط ١٩٦٦

فهبّ الحضور ، وأخذوا يصيحون ويضربون الأرض بأرجلهم . كل هذا دليل الطرب أما آن لنا أن نفهم أن الغناء هو صوت طرب ينساب انسياب الماء العذب الى النفوس الظمأى.

أما آن أن تتغلغل النسوة في القلوب هادئة ، بل أما آن لنا أن نفهم أن الطرب ليس بالصياح والضجيج ، بل في السكون والصمت[1] ؟! ".

يحلل أبو سلمى في هذا المقال المظاهر السلبية لظاهرة الضجيج التي تظهر في تصرفاتنا وعاداتنا ، وأخلاقنا تدل على تفكك اجتماعي خطير ، وهو يستخدم اسلوبا ساخرا في اظهار انتقاده لهذه الظواهر المرضية . ولكنه يترك العلاج للقارئ معتمدا طريقة الايحاء بما هو أفضل لتغيير الواقع السيء ، كما نلاحظ وضوح الجمل وترك المبالغة والتهويل ، والاعتماد على سلامة الحجج وايرادها على حكم المنطق الصحيح ، وربط الأسباب بمسبباتها مع الدقة في التفصيل لأن الغرض منه هو تشخيص الأدواء الاجتماعية .

وهو في تحليله يربط الموقف الخاص بالموقف العام ، كقوله وهو يتحدث عن الضجيج الذي يكدر صفو هدوء الناس ويقض راحتهم ، " ولا أعرف أمة تحب الضجيج مثل امتنا ، فلجأ الى كثرة أقوالنا دون أن نترجم هذه الأقوال الى أفعال ..." وكأنه في هذا يربط بين الواقع السياسي حيث تخدعنا الشعارات والأقوال السياسية الزائفة ، والواقع الاجتماعي المعاش الذي نشكو منه . فكلا الواقعين مرتبط أحدهما بالآخر ، ولا سبيل الى اصلاح واقعنا السياسي الا باصلاح الواقع الاجتماعي ، والعكس صحيح .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - ٧ شباط ١٩٦٦

مدرسة ضيق الصدر :

ويتحدث ابو سلمى بأسلوبه الساخر اللاذع عن موجة ضيق الصدر وتضلعلها في النفوس بسبب ازدياد عدد الثقلاء والمتزعمين فيقول :

" هل تعلم أيها القارئ العزيز ، أن لضيق الصدر مدرسة تأسست حديثا وأصبح لها عدة فروع رغم حداثتها ، نعم ، انه ضيق الصدر موجود منذ القديم ، عند وجود الانسان ، ولكن ضيق الصدر هذا ، كان لا يحمد صاحبه ، وانما الذى يحمد هو رحب الصدر .

وسبب تأسيس هذه المدرسة في الأيام الأخيرة ، هو أنه كان هنالك صديقان يجتمعان معا ويشتغلان معا في القضايا العامة والخاصة ، أما أحدهما فكان يتمتع برحابة صدر يتسع للعالم ، ويزدان بأفق بعيد المدى والصور . أما الثاني ، فكان يتمتع بضيق صدر عجيب ، لا يتسع حتى لثقيل أو بارد الدم ، أو فارغ أو راكض وراء الزعامة ، مع قلة البضاعة ، وكان أولهما يخفف توتر الجو ، ويهدئ الثاني عند ضيق الصدور ، الى أن انعقد أحد المؤتمرات العامة واشترك فيه الصديقان كما اجتمع في ذلك المؤتمر كل من هب ودب ، وظهر فيه مختلف الآراء السديدة والفاسدة والناضجة والفجة ، وكان " الفياشون"(١) في المؤتمر عديدين يطفون كالفقاقيع فوق سطح الماء ، تتلاشى عند أدنى هبة ريح .

وكان الصديق العزيز عميدا لمدرسة رحابة الصدر ، بحق ، اذ أنه سعى مع الأصدقاء لأجل التحلي برحابة الصدر الى أن يتسع حتى للتافهين ، وبالرغم من حججه القوية وبراهينه الساطعة ، فان أكثر الاصدقاء انضموا الى مدرسة ضيق الصدر . وهكذا تأسست هذه المدرسة ووجدت ترحابا في جميع الأوساط .

ما الذى يجنيه رحب الصدر من وراء هذه الرحابة ؟ أن يجني أمانة الأعصاب وتحمل أعباء على الصدر أقلها ثقالة الثقلاء . ويوجد من الثقلاء من لا يستطيع أن يتحمله أحد ، حتى جبل أحد ينوء انا صعد عليه .

---

(١) الفياشون : هم الفارغون من الأعباء والانتهازيين .

هذا عدا اضاعة الوقت مع السفهاء ، وجو الهم والغم الذي يسيطر عليه ، أما ضيق الصدر فهو يحمد الله ، يتنفس كما يريد ويريح أعصابه ويملأ فراغه كما يهوى لا يتحمل ثقيلا ولا يساير تافها ، ولا يجامل متزعما فارغا ، وكم من مرة أراد صاحب هذه المدرسة أن يوسع صدره ، فما جاءه من وراء ذلك الا الندم والا الرجوع الى ضيق الصدر بأسرع ما يمكن .

هذه المدرسة الجميلة التي تجعل أصحابها يعيشون كما يريدون ، يتقربون الى الذين يستلطفونهم ، أصبحت الطرق اليها واسعة لكثرة الواردين ، يتوافد الناس زرافات ووحدانا من الجنسين ، ولكن الاقبال من الجنس اللطيف هو أكثر لأن الجنس اللطيف وان كان اسمه لطيفا ، فانه يتحمل الثقلاء والفلطاء اكثر بكثير من الجنس الذي يسمونه خشنا أو نشيطا (١) .

واضح في هذا المقال ، ضيق ابي سلمى بالثقلاء من السطحيين والانتهازيين الذين يثرثرون ، ويدعون ما ليس عندهم ، إما حبا في الظهور ، أو تملقا ونفاقا .

وقد كان أبو سلمى موفقا الى أبعد الحدود في النفاذ الى عمق هذه الظاهرة كما كان موفقا في استعماله تعبير مدرسة ضيق الصدر ، ومدرسة رحابة الصدر فالواقع أن لكل من هذين الاتجاهين ، أنصارا وحجبا ، ولكن تزايد عدد الثقلاء يساعد في تقلص عدد من يؤيدون اتجاه رحابة الصدر على حساب الزيادة المضطردة عند الثقلاء والتافهين والانتهازيين .

ان هذه المشكلة النفسية والأخلاقية لها جذور عميقة المدى في المجتمع الأمر الذي باتت تهدد معه قيم هذا المجتمع وأخلاقه ، وعلى ذلك فهي ليست بمشكلة سهلة الحل أو بسيطة العلاج .

وأبو سلمى في هذا المقال يستخدم العاطفة بعض الشيء ، كما يستخدم اللغة البسيطة والتعبيرات الشائعة كعوامل مساعدة، يستخدمها لاثارة الهمم على هذه الظاهرة بغية تنوير الأذهان والتنديد بالمفاسد الاجتماعية .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - ٧ آذار ١٩٦٦

مؤلفـــاتـــــه :

هذا الجهد الأدبي والانساني المتصل الذى بذله أبو سلمى في دنيا القلم خلّف للمكتبة العربية ثمانية كتب مطبوعة ما بين مجموعة شعرية ، وتاريـــخ لكفاح شعب وسير أشخاص من أبناء الوطن ، فضلا عن مقالات ومحاضرات لو أنهـــا جمعت لتألف منها عدة كتب ، ومن كتبه المطبوعـــة :

١- المعـرد - نشر مكتبة أطلس بدمشق ، وقد صدرت الطبعة الاولى سنة ١٩٥٣ والثانية سنة ١٩٦٣ وهو أول مجموعة من شعر أبي سلمى ، وتقع فـــي ١٣٦ صفحة من الحجم الصغير و ٣٧ قصيدة متفاوتة في الطول .

ورغم أن قصيدة المعرد التي سميت باسمها المجموعة توحي بأنهـــا من أدب الخيام الا أن القصيدة تأتي عكس هذا التصور فهي تبدأ بهـــذا البيت :

يا أخي أنت معي في كل درب فاحمل الجرح وسر جنبا لجنب (١)

وهذه هي ملاحظاتنا حول هذه المجموعة :

١. الخط الغاضب يزداد وضوحا مباشرا في هذه المجموعة ليصبح أبو سلمى بحق شاعر الشعب.

٢. ان تجربة التنديد بالمنافي وحكامها تزداد حدة لدى الشاعر ، لكـــن التطور في هذه التجربة أن الشاعر لا يندد بهم لأنهم أضاعوا وطنـــه بل يفسر ويشرح ارتباطاتهم بالاستعمار :

" دول تحسبها مرقية واذا أمعنت فالحاكـم غربـــي (٢)

" عربي السيماء يبدو ولكن وراء السيماء وجها غريبا (٣)

٣. وتمتد عاطفة الحنين الذى هو احد اساسيات القصيدة لدى أبي سلمـــى وتعود الطفولة لتأخذ مكانا واضحا من شعره ، والحنين قد يكون رومانسيا حالما مثل قصيدة " دارى " أو الحنين الغاضب مثل قصيدة " ســـنعود " وقصيدة " بقايا أطلي " .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - المعرد - الطبعة الثانية - دمشق ١٩٦٣ ص٥٠

(٢) المرجع السابق ص ٦٠

(٣) المرجع السابق ص١٠

٤. ومزج الأرض بالحبيبة يظهر بشكل واضح في هذه المجموعة كما في قصيدة " الأفق المعطر" وقصيدة " أطياف " .

٥. أما مركز التجربة في هذه المجموعة الشعرية فهو هذا الحب الغامر للشعب وتبدو هذه الظاهرة في قصيدتين أكثر من غيرهما .

أ) قصيدة الشعب :

يا أيها الشعب المفدّى قل لي بربك كيف تهدا
يتدفق العنب الزلال فيرتوون وأنت تصدى (١)

ب) قصيدة " نور ونار " :

سيروا على وضح النهار فالحق من نور ونار
يا أيها الشعب النبيل أمدت من شر المشار
أنت الذى تهدى السبيل من اليمين الى اليسار
قرر مصيرك أنت لا من يبصمون على القرار (٢)

٢ - مجموعة أغنيات بلادى - نشر مكتبة أطلس بدمشق - وقد صدرت الطبعة الاولى سنة ١٩٥٩ وتقع في ١٤٢ صفحة من الحجم المتوسط وتحتوى على ٣٦ قصيدة .
كتبت قصائد هذه المجموعة في تواريخ متعددة وتقسم الى قسمين :

الأول : شعر الحب ، ويبدأ من صفحة ١ وحتى صفحة ٦٦ والشعر الوطني والقومي والكفاح من أجل الحرية ويبدأ من صفحة ٦٧ - ١٤٠ وحول شعر الحب والغزل تتبدى لنا الملاحظات التالية :

١) يمتاز شعر الحب عند أبي سلمى بخاصية الحنين ، فهو يحن الى شيء ضاع .

٢) يستعمل الشاعر اللغة الرومانسية وقاموسها التقليدى المتعارف عليه فتكثر الفاظ المطر - السحر - الورد - موكب الاماني - الزهر - الاحلام - الشذا - العبق .. الخ .

٣) التجربة عند أبي سلمى أشد حرارة وصلابة منها لدى الشعراء المتأثرين بمدرسة أبولو ، ذلك أنه يمزج هذه الرومانسية

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - المفرد - الطبعة الثانية - دمشق ١٩٦٣ ص ٣٠

(٢) المرجع السابق ص ٣٨

بلغة كلاسيكية رصينة وأغلب شعراء فلسطين قبل النكبة يميلون الى هذا المزج ، فهم يجمعون بين شوقي وحافظ وبين الرومانسيين الانجليز أو الفرنسيين .

٤) ثمة مزج آخر وهو بين الحبيبة والوطن الضائع ، فهو دائما يشكو الى الحبيبة ويقول لها الا يكفي ضياع الوطن (فتجربة الوطن المأساوية تزيد من المرارة خصوصا اذا كانت تجربة الحب قاسية ورغم أن الشاعر يكتب قصيدة خالصة عن الحب الا أنه يستعمل بيتين أو بضعة أبيات ليربط بين الحب والوطن . كما في قصائد درب الهوى[٢٥] ص ٢٨ التربة السمراء (ص٥٤ ـ ٥٧) شباكها الأخضر (ص ٥٨ ـ ٦٠) أخت النجوم (ص ٣٣ ، ٣٥) .

٥) الذروة الشعرية في قصائد الحب عند أبي سلمى تكون اما في البيت الاول من القصيدة أو في البيت الأخير ـ فهو اما أن يطرح خلاصة التجربة منذ البداية ثم يفصلها أو يبدأ بالتفاصيل التي تتأكد حتى تصل الى الذروة في البيت الأخير ، ومن ميزات قصيدة أبي سلمى أنه يختتم الذروة بتساؤلات وتقديم خلاصة التجربة وهذه بعض نهايات قصائده :

أ) وكيف أنساك وأنت التي ... أحببت فيك الشعب والموطنا (ص٢٤)

ب) أنا في الحياة مشرد أبدا ... والليل طال علي فابتسمي (ص ٣٥)

ج) يطلب قلبي الصفح ان اذنبت ... فهل الى رضائها من سبيل (ص٤)

د) لولاك ما الدنيا وأحلامها ... لولاك ما دمعي وأشعاري (ص٤٦)

هـ) اختاه هل نحن غريبان هنا ... أم بين أهلينا وفي ديارنا (ص٥٧)

و) قولي لمن أوصى بأسرارها ... بحق عينيك ... لم تعذري (ص٦٠)

أما الشعر الوطني والقومي والكفاح من أجل الحرية في مجموعة أغنيات بلادي الذي يشكل نصف المجموعة فيمكن أن نبدي الملاحظات التالية حوله :

١) ان الشعر الفلسطيني القلب يعتمد على (احنين) وهو حنين ايجابي في أغلب الأحيان .

٢) لا يتخلى ابو سلمى عن تكرار جغرافية فلسطين ، فالمكان البعيد هو أحد مراكز التجربة يتجاور مع نقيضه (الزمان) الجديد الحزين .

٣) لم يقع أبو سلمى كما وقع معاصروه بعد النكبة في التشاؤم وتعذيب النفس بل يمكن أن نسميه شاعر الغضب على الغيام وليس استجداء العطف .

٤) أحد مراكز تجربته هو الشعب فهو البديل للأنام والغيام واليأس . والشعب وحده عند أبي سلمى هو صاحب القرار الاول والأخير .

٣- مجموعة أغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبة أطلس - دمشق - الطبعة الاولى سنة ١٩٦٤ .

اشتركت مع أبي سلمى في هذه المجموعة الشاعرة فدوى طوقان حيث نظمت انشودتين هما : ديكي أحبه ، وجنة الدنيا بلادي .

لحن من هذه الأناشيد ثلاثة عشر نشيدا ، اثنا عشر نشيدا منها من تلحين الموسيقي يحيى اللبابيدي ، واللحن الثالث عشر للموسيقي يوسف بدوي .

أما ملاحظاتنا حول هذه المجموعة فهي :

١) حملت هذه المجموعة اسم أغاني الاطفال ، ومن وجهة نظرنا فانه يمكن أن تحمل اسم الأناشيد ، كما يمكن أن تسمى أغاني ، ذلك أن الطفل يمكن أن يتغنى بها بمفرده كما يمكن انشادها مع المجموعة .

٢) جاءت الألحان منسجمة مع الكلمات والموضوعات بما يحقق هدف تذوق الطفل للأغاني والأناشيد الملحنة المنغمة . ولا شك أن تكرار التذوق يكسب الفرد معايير ذوقية سليمة قد تنعكس على تصرفاته الأخرى فتراه يقدر ما هو جيد ويهدف في عمله الى الاجادة والاتقان .

٤- مجموعة من فلسطين ريشتي - نشر وتوزيع دار الآداب - بيروت - الطبعة الاولى نيسان سنة ١٩٧١ .

تقع هذه المجموعة في ٥٦ صفحة من الحجم الصغير وتحتوي على ثلاث عشرة قصيدة ، وفي هذه المجموعة يلخص أبو سلمى تجاربه السابقة

في المشرد ، وأغنيات بلادى : الشعب للحنين - الغضب - الصرخة - الثورة - دور الكلمة .

وتختلط ملامح الحبيبة بملامح الأرض ، فعشق الشاعر لهذه الأرض يتضح في التغني بمظاهرها وبصفاتها وبأشجارها وأعنابها ، بشمسها وكواكبها بنداها وعطورها ، بأزهارها وسواقيها وهو اذ يرمز لهذه الأرض بالمرأة فانما ليعطي صورة التداخل في العشق بين فتاة بلاده في سماتها وملامحها الفلسطينية والارض التي هي رمز العطاء والحب والخصب المثمر .

والحب ليس دعابة ولا لعبة جميلة لذيذة ، ولكنها جهد ساخن وتعب شاق

"... كلما حاربت من أجلك ... أحببتك أكثر
كلما نافحت عن أرضك ... عود العمر يخضر
وجناحي يا فلسطين على القمة ينشر (١) "

والشاعر لا يفرق بين فلسطين وفلسطينية الاسم ، وكأنما لم تعد اسما جغرافيا بقدر ما أصبحت صفة مرادفة للجمال ورمزا له .

يا فلسطينية ، الاسم الذى يوحي ويسحر
تشهد السمرة في خديك ، ان الحسن اسمر (٢)
.....

أما الشعب فيتضح دوره أكثر مما مضى . " كل جيش يكون حربا على الشعب ، ذليل اذا التقى الخصمان (٣) وشهداء الشعب هم القادة الحقيقيون وليس بقادة من يجرون الشعب الى المأساة :

ليس من قاد للشهادة جيشا مثل من قاد جيشه للفرار (٤)

ويتحدث أبو سلمى عن دور الكلمة فيؤكد أن الكلمة تقوم بدورها

---

(١) عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - من فلسطين وشتي - دار الآداب - بيروت ١٩٧١ ص ١٦

(٢) المرجع السابق ص ١٤

(٣) المرجع السابق ص ٢٠

(٤) المرجع السابق ص ٢٤

الحقيقي في أرض فلسطين :

في أرضنا الشعراء ما عبدوا في الحق غير الواحد الأحد (١)

وهو يخاطب شعراء الأرض المحتلة حيث يشعر أنهم أبناؤه الذين ناضلوا وساروا على طريقه يقول :

شعراء الجليل والشاطئ الغربي أنتم طلائع الفرسان

شعركم مثلكم خلودا ويسري من فلسطين في نفح الجنان (٢)

.....

٥ - ديوان أبي سلمى - نشر وتوزيع دار العودة - بيروت - الطبعة الاولى بتاريخ ١٩٧٨/٥/١ ، يقع الديوان في ٢٩٨ صفحة من الحجم الصغير ويحتوى على ١٧٣ قصيدة متفاوتة في الطول وضم بين دفتيه مجموعاته الشعرية الثلاث: المشرد ، واغنيات بلادى ، ومن فلسطين ريشتي ، كما يضم مجموعة أغاني الاطفال ، كما يشتمل على قصائده التي لم تتضمنها مجموعاته مما كان قد نشر في الصحف الفلسطينية والعربية التي كان الشاعر قد فقد معظمها وقد ساعده في الحصول عليها بعض أصدقائه (٣) .

ونظرة واحدة للعناوين التي تحملها قصائده كافية لالقاء الضوء على طبيعة الديوان وربما طبيعة الشاعر ، فمن بين الأسماء : رفيق التاريخ ، نور ونار ، كلنا استعمار ، جبل النار ، لهب القصيد ، الشهيد ، رجال الفكر ، النسر العربي ، مأساة شعبي ، دنيا الهوى ، بلبلي الشادى ، ورقة الشاطئ ، وداع الحبيب ، ربة الخال ، دارى ابنة بلادى ، لولاك يا سمراء ، التربة السمراء ، أغنيات بلادى ، شباكها الأخضر .

هذه العناوين تجسد ما تضمنته قصائده من مفاهيم وتجارب أبرزها قضيتان هما : * الحب والحرية ، وتتداخل القضيتان في هذا

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - من فلسطين ريشتي - دار الآداب - بيروت ط ١ ١٩٧١ ص ٥٥

(٢) المرجع السابق ص ٣٢

(٣) الباحث أحد أصدقائه الذين تعاونوا معه في جمع بعض قصائده من الصحف

الديوان وتمتزجان بحرارة وصدق خلال الخيوط النفسية والتعبيرية (١).

والحب هنا لا يعني التجربة الذاتية التي عبر عنها الشاعر في مرحلة الثلاثينات فحسب بل يتجاوز ذلك الى التجربة الانسانية بأوسع مداها والتي تتمثل في ذلك الحنين الحار والمزج بين حبه لفتاته وحبه لوطنه والتي اتسم بها شعره بعد النكبة ، فالشاعر في هذا النوع من قصائده لا ينسى وطنه بل ثمة تجاوب بين الحبيبين في وجدانه وتجاربه الشعورية (٢) .

وقد كان مما يشكو منه قراء شعر أبي سلمى قبل ظهور الديوان الاخير أن معظم قصائده غير مؤرخة مما حدا بالناقدين أن يطالبوا بتأريخ هذه القصائد ما أمكن لأن ذلك يلقي أضواء كثيرة حول الخلفية التاريخية ، وقد عمل أبو سلمى في ديوانه الجديد على تحقيق هذه الرغبة في عدد من قصائده .

هنالك بعض القصائد التي لم تظهر في الديوان والتي تضمنتها مجموعاته السابقة رغم أنها قصائد ذات قيمة نضالية وفنية وهي : عيناك ، لهب على الأردن ، ابتسامة ما وتسي تونج وهي من مجموعة اغنيات بلادي .

ونور الديار ، والثوب الأزرق من مجموعة المشرد ، كما أن هناك قصائد ما زالت غير متضمنة في الديوان مثل : جنون الصبا ، الغريب في العيد ، حييت ، دمعة على الذكرى ، لبيبة في عيد الصمود ، تلة الرضوان ، رثاء البطل أحمد مريود ، أيها العيد ، اذكريني وهي مترجمة عن الفرنسية ، ليلى على جبل التوباد ، رقصة السماح ، المجاهد الصغير .

.....

٦- كفاح عرب فلسطين ، نشر وتوزيع مكتبة أطلس - دمشق - الطبعة الاولى بتاريخ ١٩٦٥/٦/٢٥ لا غرو أن يسير الشعر الفلسطيني في خط متواز مع

---

(١) الباحث - الحب والحرية في شعر ابي سلمى - جريدة الدستور الاردنية عدد ١٩٧٨/٨/١١ .

(٢) المرجع السابق

التأريخ ، وأن يؤرخ الشاعر لكفاح بلاده وقضيتها العادلة وتاريخها العريق ذلك أن هذا الاشتراك والاندماج بين الشاعر والمؤرخ هو موقف جوهري يتعلق بالمحافظة على الهوية والجذور التاريخية التي تنبع من قضية الانسان الذي وجد نفسه ازاء حاضر يتمخض كل يوم عن تفاصيل مؤلمة ومستقبل مظلم . ومن هنا كان اصدار أبي سلمى لكتاب كفاح عرب فلسطين وهو كتاب يبحث في تاريخ كفاح هذا الشعب على مر العصور ابتداء من الفتح الاسلامي ومرورا بالحكم التركي فالانتداب البريطاني وانتهاء بالنكبة الفلسطينية التي عصفت بالشعب الفلسطيني وحولته الى جماعات من اللاجئين يعيشون في المنافي العربية .

وكما قال المؤلف في مقدمته : « أراد المستعمرون محو اسم فلسطين من خريطة العالم العربي وانا بأحرفها من نار تلمع فوق العصور مشعة ابدا ، ملتهبة أبدا بتنورها العربي اينما كان وفي أية أرض وجد فيلهج باسمها كل صباح وينهض باسمها الى الكفاح . فلسطين يعتزج اسمها مع الأنفاس العربية ويسري مع الدماء العربية وهي أمام كل نهضة ووراء كل ثورة حتى تتطهر أرضها ، وتعود الى أهلها تتعانق مع أبنائها جزءا لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير ..(١)» .

لقد أدى أبو سلمى وهو المناضل الذي عاش فصول المأساة ، وعاصر مراحل الكفاح قبل النكبة وبعدها ، قد أدى بكتابه هذا خدمة للقضية الفلسطينية خاصة ، والقضية العربية عامة لأنه عالج وبحث قضية بلاده وكفاحها العادل بصدق واخلاص وجرأة .

ويكفي أن أذكر عناوين بعض الفصول حتى نعرف شمول البحث وعمقه وهي :

١) كفاح عرب فلسطين - توطئة - وفيها يشرح المؤلف دور عرب فلسطين في الكفاح من أجل الحرية والاستقلال بعد أن تعرضوا في أواخر العهد العثماني للظلم والاضطهاد .

٢) الوان الكفاح ومقاومة الصهيونية والانتداب

.....

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - كفاح عرب فلسطين - دمشق ١٩٦٥ ص ٤

وعن هذا الكفاح ضد الصهيونية والاستعمار يقول أبو سلمى : " ... وكان كفاح الشعب الفلسطيني خلال هذه المرحلة شأنه شأن كفاح أي شعب آخر مستعمر مهدد ، يتمشى مع أدواره ويتطور في أشكاله تبعا لأوضاع شعبه ووعيه وقوة قيادته وظروف معركته فكان ينتقل بين الكفاح السلمي تارة والكفاح المسلح تارة أخرى ويتوجه ضد الصهيونية ووعد بلفور حينا وضد الاحتلال البريطاني حينا آخر وضدهما معا في أعلى مراحله ... (١) .

وفي فصل أبطال من فلسطين يتحدث أبو سلمى عن شيخ المجاهدين عزالدين القسام ويشرح دوافع حركته وأهدافها ويعطي تقييما لها فيقول :

" كانت حركة القسام هازة للعرب أجمعين هزة عنيفة ، فالرجل المجاهد استطاع أن يدل العرب على الطريق ، طريق القوة وهو لم يكن يجهل النتيجة يوم ذهب الى يعبد بعدد قليل من الرجال ومقدار يسير من السلاح ولكنه آثر الاستشهاد عن يقين وعقيدة ليحيي في النفوس هذه الروح الثورية العملية .. (٢) " .

وأخيرا فالكتاب دراسة تاريخية لمراحل النضال الفلسطيني وفيه تأكيد على رسوخ قدم الشعب وصلابته في كفاحه العادل ضد الظلم والاضطهاد ومن أجل الحرية وفيه توضيح للدور الحقيقي الذي قام به الاستعمار الانكلو اميركي في صنع المأساة وحقيقة أداته ومخلبه "اسرائيل" التي أقامها في قلب البلاد العربية لتكون قاعدة للاستعمار والعدوان ولتحول بين العرب وتحقيق اهدافهم القومية في الوحدة والحرية .

٧- أحمد شاكر الكرمي - مختارات من آثاره - نشر وتوزيع مكتبة أطلس - دمشق آيار سنة ١٩٦٤ :

هذا الكتاب عن حياة وآثار الكاتب الناقد والأديب أحمد شاكر الكرمي ١٨٩٤/ ١٩٢٧ من منشورات وزارة الثقافة والارشاد وقد جمع مواده وأشرف

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - كفاح عرب فلسطين - دمشق ١٩٤٥ ط ١ ص ١٠٢

(٢) المرجع السابق ص ١١٠

على طبعه أخوه عبدالكريم الكرمي "ابو سلمى" وقدم له فؤاد الخايب بدراسة وافية جاء فيها :

"... وأنت وأنا . عندما تقرأ هذه الأوراق التي تركها الكرمي تحس بقوتها وتدفقها وهديرها وبأنه اجمل ما فيها وعدها وابلغ ما أتى فيها وورد ، ما سيأتي بعدها ويرد مملوءة بالبراعم ملقحة بالخصب كأن السنوات العشر الأخيرة من عمره لم تكن سوى المدخل الضيق الى حياته العريقة التي لو مكنه منها القدر الظالم وعاش الى الستين او الى السبعين مثلما عاش من سبقه وعاصره من الكتاب والمثقفين لخلق لنا أكثر من ثمانين كتابا أو أكبر من ثروة تحصى وتقيم بعدد الكتب والمؤلفات (١) ..... " .

ويتضمن هذا الكتاب التاريخي النفيس جزءا كبيرا من آثار المرحوم أحمد شاكر الكرمي في النقد والبحث الأدبي والاجتماعي والقصة والترجمة لكبار كتاب العالم ، عن اللغة الانجليزية مما نشره في صحف ومجلات عربية بين القاهرة ودمشق من عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٢٧ سنة وفاته عن عمر لا يتجاوز ثلاثة وثلاثين عاما .

هذا الكتاب تاريخ موجز لمطلع نهضة الفكر العربي من دمشق .

٨- الشيخ سعيد الكرمي - سيرته العلمية والسياسية - نشر وتوزيع المطبعة التعاونية بدمشق - الطبعة الاولى - ايلول سنة ١٩٧٣ .

يحتوى الكتاب على ٢٨٠ صفحة من الحجم الكبير ويشتمل على مقدمة وتمهيد وأقسام ثلاثة :

أما القسم الاول ، فقد خص للحديث عن سيرة الشيخ سعيد الكرمي ، ويتحدث أبو سلمى عن جانب واحد منها كما يتحدث عن الجوانب الاخرى من هذه السيرة كل من المجاهد العربي محمد العريقي والدكتور عدنان الخطيب عضو مجمع اللغة العربية السابق بدمشق والأديب عجاج نويهض وعن المصادر التي

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - أحمد شاكر الكرمي - وزارة الثقافة والارشاد - دمشق - ط ١ ١٩٦٤ المقدمة

اعتمد عليها في هذه الدراسة يقول ابو سلمى في مقدمة الكتاب:

" وهكذا توفرت لدي مجموعة وان كانت ليست كل آثاره لكنها مجموعة تكفي للدلالة على بعض آثاره في ثلاثة عهود : العهد العثماني ، العهد الفيصلي في دمشق ، والعهد العبدلي في الاردن (١) " .

أما التمهيد فيشتمل على الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في عصر الشيخ سعيد الكرمي وهي مكتبسة من كتاب " يقظة العرب " لجورج انطونيوس " والأوضاع الاجتماعية وقد كتبت بقلم ولد صاحب السيرة " الأديب حسن الكرمي " .

أما القسم الثاني من الكتاب فيتضمن مختارات من نثره مثل : نفائس الآثار ، اللغة والدخيل فيها ، قاموس الاطباء ، شرح مجلة الأحكام العدلية ، شذرات من ذهب في أخبار من ذهب ، الاعلام بمعاني الاعلام ، المصلحون والمجددون وغيرهم .

أما القسم الثالث ، فيشتمل على مختارات من شعره ويحتوي على سبع وعشرين قصيدة .

والكتاب الى هذا يلقي أضواء على شخصية الشيخ سعيد الكرمي شرح فيها كفاحه وقد كان من حملة المشاعل القومية ، ودوره الثقافي والفكري من انشاء المدارس الى اسهامه في انشاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، والمجمع العلمي الاردني ، وشعبة الترجمة والتأليف والنشر بدمشق الى مجالس التربية والتعليم والقضاء في الاردن الى مؤلفاته العلمية القيمة ومكتبته التي كانت تضم نفائس المطبوعات والمخطوطات .

والكتاب بالاضافة الى كل ذلك يعطينا فكرة جيدة عن الاوضاع الثقافية والفكرية في فلسطين وسوريا والاردن في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الشيخ سعيد الكرمي - سيرته العلمية والسياسية - المطبعة التعاونية - الطبعة الاولى - دمشق - أيلول ١٩٧٣ ص ١٠ .

وأخيرا ،فقد بذل ابو سلمى جهدا جادا في جمع واستقصاء مصادر هـــذا الكتاب حتى جاء على الصورة التي هي عليه وهو كسب يضاف الى المكتبـــة العربية وآثارنا الأدبية والعلمية وسجلنا الحضاري والانساني .

٩ - ثورة فلسطين - مسرحية شعرية - مخطوطة

كان أبو سلمى قد أرسل نسختين من هذه المخطوطة الاولى لصديقه الأديـــب ابراهيم المازني والأخرى لصديقه الشاعر والمؤرخ خير الدين الزركلـــي ، وبقيت لديه نسخة ثالثة ، وقد فقدت منه هذه النسخة مع حقائبه وأمتعتـه التي سرقت منه في القاهرة ، كما فقدت منه النسختان الأخريان اللتـان كانتا لدى المازني والزركلي .

ويتحدث ابراهيم المازني عن هذه المسرحية بقوله :

" ان القارئ يخرج من هذه المسرحية بفكرة صحيحة عن روح العرب ونزوعهم الى الثورة والتمرد على الظلم (١) .. ولكنه يأخذ عليه أن جملة مـــا يخرج به القارئ من المشاهد في ذاتها أنها لا تعطي فكرة كافية عـــن الثورة ، ولا يرسم في ذهن المرء صورة تامة لانه ليس هناك الا تصويـــر حادثة الشيخ القسام ، وهو أوفى ما في المسرحية وأبدعه (٢) . "

---

(١) د . ناصر الدين الاسد - الشعر العربي في فلسطين والاردن - معهـــد الدراسات العربية - القاهرة - ط ١ ١٩٦١ ص ١٦

(٢) المرجع السابق

خاتمة

خلاصة ما يمكن أن نقوله بعد هذه الرحلة مع ابي سلمى شاعرا وأديبا وانسانا انه كان واحدا من جيل الشعراء الرواد الذين سجلوا بأمانة وصدق أحداث البلاد قبل النكبة ، وأسهموا بالكلمة الحرة الجريئة في قضايا شعبهم وأمتهم .

وكما أنه من جيل شعراء المقاومة ، فهو ايضا من جيل الفردوس المفقود ، عاش هموم شعبه قبل النكبة ، وتجرع مرارة الغربة ، يصدر عن شعور انساني صادق ، ووعي عميق بالابعاد الحقيقية لأزمته باعتباره فلسطينيا واكب النكبة مرحلة بعد مرحلة ، وسجل أحداثها بعمق وواقعية .

نلمح في تجربته الشعرية محاور ثلاثة كان لها أثرها في تطور شعره ، واخصاب تجربته وهي :

١- المحور الوطني الذى تشرب رائحة الارض بكل معطياتها الطبيعية والنفسية رامزا بالحبيبة للوطن . نجده حين يتصدى لمفاهيم الثورة والجهاد يتغنى بالحب للاوطان ، لذا فان شعره يكاد ينفرد بالتصاقه بالارض وتعلقه بالقرية والمدينة والمزارع وما تحمله تلك الاماكن من اسماء اقترنت بلحظات وذكريات غالية ظلت تعيش في مخيلة الشاعر .

٢- المحور القومي :

ان فلسطين التي تتحول الى رمز عند ابي سلمى ، لا تتقوقع ولا تتحول الى الم معزول ، وقضية محلية بل هي بؤرة لهموم أكبر ، أعمق ، أشمل انها مرتبطة بالصراع العربي ضد الاستعمار ، والهموم العربية كلها ، ففلسطين بالنسبة لابي سلمى هم خاص ، لكنه هم عربي ، يعيش هذه القضية بكل جوارحه ويريد أن يعيشها كل عربي بكل جوارحه .

وهكذا تأخذ فلسطين حجمها الحقيقي ، وتظل هما قوميا . انه لا يقزم قضيته بل يحطيها بعدها بكل عمقه وشموليته ، ولعل شعر العروبة والأمة ، وشعبها وحاكمها ، لعل هذا الموضوع من أكثر الدوائر اتساعا في شعر أبي سلمى .

٣- المحور الانساني :

نلمح في شعر ابي سلمى سمات وملامح انسانية ، فهو يغني لقضية التحرر العالمي ، ويريد الحرية لوطنه كما يريدها لسائر الشعوب ، وقد كان لاسهامه في المؤتمرات الدولية الأدبية منها والسياسية ، أن فتح أمامه آفاقا واسعة يطل منها على ثورة الانسان المعاصر ضد الظلم والاستغلال ، كما تغنى بكل عيد جميل وخير في هذا العالم الرحب وان كان تغنيه بالخير والجمال لم يغفله عن واجبه ازاء قومه وقضية شعبه .

ومما يلفت النظر في شعر أبي سلمى : المكاشفة الامينة ، والوصف الصادق ، وحس النضال الثوري ، كما طبعت الصراحة كثيرا من قصائده بطابع التغنيد ، والتطلع الى الثورة والحرية . ولذلك ، فقد كان ايمانه بالثورة والاعتماد على الشعب هما محور تطلعه الى الغد ، وسبيل الحل الوحيد لأزمة الفلسطيني .

ومن حيث اتجاهه الفني ، فاننا نلمس في شعره ذلك التفاعل الحقيقي مع التراث ، والعشق العميم باللغة العربية ، واتخذ هذا كله عند ابي سلمى منحنى واضحا ، انه التمسك بلغة عربية واضحة وسليمة فيها التراث كله ، ولكنها ليست مقصرة ولا غريبة ، ولا خارج العصر ، انها لغة تمتد في التراث بعيدا ولكنها ليست قاموسا ، انها اللغة التي تعبر عن حب وطن ومعاناة قضية ، وهكذا تتجدد اللغة بقدرتها على التعبير دون أن تفقد تاريخيتها ، ودون أن تتحول عن أن تكون تراثا .

ومن هنا يمزج أبو سلمى بين كلاسيكية رصينة لصيقة لرومانسية حالمة ، وواقعية ثورية ، ينطلق في ذلك من مفهومه للشعر الذي أراد له أن يكون فنا جماهيريا شعبيا يصور كل احساسات الشعب ومعاناته ، وما يجري حوله من أحداث جسام . فشعر ابي سلمى يكاد يكون سجلا للنكبة بكل أبعادها وما ترتب على نتائجها من احداث كان لها وقعها الكبير في ضمير الشاعر .

على أن أهم ما يميز لغة ابي سلمى الشعرية • هي البساطة والوضـــوح مع حدة نابعة من احساسه بمرارة النكبة •• ولعل العاطفة ، هي المنهج الرئيسي لكل عطائه الشعرى ، كما أن الغنائية هي الطابع الاول المهيمن على كل ما ينظمه حتى جاءت أكثر قصائده مقطعات غنائية ذات لفظ جميل متخير ، ونظم سائغ طلو •

وفي القصيدة تلمس خصائص الشاعر الأصيلة في التعبير الشعرى ، من وحدة القصيدة ، وقوة التجربة وعمقها ، ومن موسيقاها الساحرة وخيالها الصادق ومن محافظة على بناء القصيدة الفني •

وهو يستخدم الشكل التقليدى للقصيدة العربية ما عدا بعض التجديـــدات مثل : التنويع في القافية وما نظمه على نهج الموشحات والمسمطات والمزدوجات والمربعات والمخمسات وغيرها • أما في الأوزان فهو لم يخرج على الاوزان الخليلية •

ومن ناحية ثقافته الفنية ، استطاع ابو سلمى أن يكون لنفسه تكوينـــا ثقافيا جيدا فهو وثيق الصلة بالثقافة العربية القديمة ، ووثيق الصلـــة بالثقافة العربية الحديثة والمعاصرة •

أما ثقافته العامة فقد امتدت الى الأدب العالمي عن طريق اللغة الفرنسية التي يتقنها والمؤتمرات الادبية والثقافية والسياسية التي حضرها في كثير مـن أقطار العالم تضاف الى تلك صلته الوثيقة بالادباء والشعراء في الوطن العربي وفي أقطار العالم الأخرى •

ونلمح في نثر أبي سلمى أنه كاتب يحسن التصرف في فنون القول والكتابة سامي الهدف ، مستقيم النهج • وقد عبر من خلال نقده الادبي نحو كل ما يحقـــق شخصية الأديب وحريته في التعبير • وهو يقف من الحضارة الانسانية وقفة تؤمـن باستمرار تقدمها ، وتطورها وعلى أن لا يكون الفن بعيدا عن روح الجماهـــير وقيم المجتمـــع •

وهو ضد الغموض الناشيء عن غموض الفكرة في الذهن ، واضطراب المخيلـــة ويرى أن الوضوح هو ابرز صفة للأديب •

أما مفهوم الالتزام عنده : فهو أنه ليس قضية فكرية ، أو تبعية لأحد وهو غير الالتزام الذي يقتل موهبة الفنان ، وحق ابداعه ... ولكنه التزام مشبع بروح الشعب ، ينفاعل بعزيمته .

وهو في نقده الاجتماعي يلتزم بقيم المجتمع ويتجه الى الانسان معبرا في ذلك عن التزامه بقضايا الشعب والوطن ، وهموم الانسان العربي .

وعلى الرغم مما مر به من ظروف شداد ، كان فيها بحاجة الى المال ، الا أنه لم يقع بما وقع فيه غيره فظل متمسكا بمبادئه ، وأصدقائه لايحيد عنها .

هذه صورة مصغرة ، ولكنها واضحة لأبي سلمى الأديب الانسان ، وانا كان للحياة أن تزدهي بألحانها الرفيعة المعبرة ، فما أحرى الأمم بأن تعتز بأدبائها وبعبقرائها المحسنين .

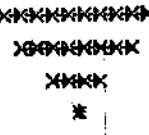

ثبت بمصادر ، ومراجع البحث *

- ابراهيم ابو لغد :- ترجمة الدكتور أسعد رزوق - تهويد فلسطين • مركز الأبحاث الفلسطيني ، ط ١ (بيروت ، ١٩٧٢)
- ابراهيم أنيس : - موسيقى الشعر العربي • مكتبة الانجلو المصرية ط ٤ (القاهرة ، ١٩٧٢)
- ابراهيم عبد الستار : شعراء فلسطين العربية ، في ثورتها القومية • اصدار نادي الاتحاد العربي ، ط ١ (حيفا ، د • ت)
- ابراهيم عبد الفتاح طوقان : ديوان ابراهيم • دار الشرق ، ط ١ (بيروت ، ١٩٥٥)
- ابراهيم عبدالفتاح طوقان : ديوان ابراهيم • دار القدس ، ط ٢ (بيروت ، ١٩٧٥)
- ابراهيم عبدالقادر المازني : الدفاع " جريدة " - يافا ، مطابع الدفاع ، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٣٥ (ع ٢٢٧٤)
- احسان عباس : فن الشعر • دار بيروت للطباعة والنشر ، ط ١ (بيروت ، ١٩٥٥)
- أحمد الشايب : الأسلوب • مكتبة النهضة المصرية ، ط ٥ (القاهرة ، ١٩٦٥)
- أحمد أمين : النقد الأدبي • مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٨)
- أدهم آل الجندي : أعلام الأدب والفن • مطبعة مجلة صوت ، ج ٦ ، ط ١ (دمشق ، ١٩٥٤)
- اسماعيل اليوسف : وحي الأشباح ، دراسات ومختارات أدبية في الشعر والنثر • دار حمد ، ط ١ (بيروت ، ١٩٥٨)

* اعتمد الباحث في تنظيم هذا الثبت على التقنيات الدولية للوصف الببليوجرافي المعروف :
ISBD (MS) International Standards for Bibiliographic Descrebtion for Monograph and Serials.
الصادر عن الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات في عام ١٩٧٧

* د • ن : يعني دون ناشر ، والرمز د • ت : يعني دون تاريخ

- أسمى طوبي : عبير ومجد . مطبعة قلفاط ، ط ١ (بيروت ، ١٩٦٦)
- المحبي (محمد أمين بن فضل الله) : خلاصة الأثر ، في أعيان القرن الحادى عشر . مكتبة الخياط ، ط ١ (بيروت ، د . ت)
- اميل الغوري: المؤامرة الكبرى ، اغتيال فلسطين ومحق العرب . دار النيل للطباعة ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٥)
- أمين الحسيني : حقائق عن قضية فلسطين . المطبعة السلفية ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٤)
- بدر شاكر السياب: المجموعة الكاملة لديوان بدر شاكر السياب . دار العودة ، ط ١ (بيروت ، ١٩٧١)
- توفيق زياد : الأدب والأدب الشعبي الفلسطيني في فلسطين . دار العودة ، ط ١ (بيروت ، ١٩٧١)
- جمال الدين الرمادى : فصول مقارنة بين أدبي الشرق والغرب . الدار القومية للطباعة والنشر ، ط ١ (القاهرة ، د . ت)
- جورج الراسي : تأملات في الواقع العربي المعاصر . المكتبة العصرية ، ط ١ (صيدا ، ١٩٦٠)
- حسين نصار : ديوان جميل . جمع وتحقيق - مكتبة مصر - ط ١ (القاهرة ، ١٩٦٠)
- خير الدين الزركلي : الأعلام . ج ١ ، ط ٣ (بيروت ، ١٩٦٩)
- رئيف الخوري: الدراسة الأدبية . دار النهضة ، ط ١ (بيروت ، ١٩٥٤)
- رئيف الخوري: التعريف في الأدب العربي . مطبعة الاتحاد ، ج ١ ، ط ١ (بيروت ، ١٩٦٨)
- سامي الدروبي : علم الطباع . دار المعارف ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٦٠)
- سعد بسيسو : اسرائيل جناية وخيانة . ط ٢ (حلب ، سوريا ، ١٩٥٦)
- سليمان البستاني : الياذة هوميروس . مطبعة الهلال ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٤)
- شكري عياد : موسيقى الشعر العربي . دار المعرفة ، ط ١ (القاهرة ١٩٦٨)

- شوقي ضيف : في النقد الأدبي . دار المعارف ، ط ٢ (القاهرة ، ١٩٦٢)
- صالح الأشتر : في شعر النكبة - بحث تخطيطي في أمداء نكبة فلسطين في الشعر العربي المعاصر - مطبعة جامعة دمشق ، ط ١ (دمشق ، ١٩٦٠)
- صالح الاشتر : مأساة فلسطين وأثرها في الشعر العربي المعاصر . محاضرة القيت في مدرج جامعة دمشق ، مطبعة جامعة دمشق ، ط ١ (دمشق ، ١٩٦١)
- عارف العزوني : الطريق ، " مجلة " - بيروت ، ايلول ١٩٤٧ (ع ٩)
- عبدالرحمن الكيالي : الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ (بيروت ، ١٩٧٥)
- عبد الرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني الحديث . مخطوطة لنيل شهادة الدكتوراة ، جامعة القاهرة ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٧٥)
- عبدالرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني الحديث . منشورات المكتب التجاري ، ط ١ (بيروت ، ١٩٦٨)
- عبد الرحيم محمود : ديوان عبد الرحيم محمود . اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، دار العودة ، ط ١ (بيروت ، ١٩٧٤)
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) * : أغنيات بلادي . ط ١ (دمشق ، ١٩٥٩)
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المشرد . ط ٢ (دمشق ، ١٩٦٣)
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : أغاني الألفال . ط ١ (دمشق ، ١٩٦٤)
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : من فلسطين ريشتي . ط ١ (بيروت ، ١٩٧١)
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : ديوان ابي سلمى . دار العودة ، ط ١ (بيروت ، ١٩٧٨/٥/١)
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : أحمد شاكر الكرمي - مختارات من آثاره - ط ١ (دمشق ، ١٩٦٤)
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : كفاح عرب فلسطين . ط ١ (دمشق ، ١٩٦٥)

---

* أشرت الى أوراق أبي سلمى ومحاضراته في هوامش البحث .

- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : الشيخ سعيد الكرمي - سيرته العلمية والسياسية - ط ١ (دمشق ، ١٩٧٣)
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : الميزان " مجلة " دمشق ، ٢٢ آذار ١٩٢٦
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : المجمع العلمي العربي " مجلة " دمشق ، ١٩٢٧ (م ٨)
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : الزهراء " مجلة " - القاهرة ، ربيع الاول ١٣٤٧هـ (ج ١ م ٥)
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : الرسالة " مجلة " القاهرة ، ٢ آذار (مارس) ١٩٣٦ (ع ١٣٩)
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : الرسالة " مجلة " القاهرة ، ٧ آب ١٩٣٦ (ع ١٦١)
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : الرسالة " مجلة " القاهرة ، ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٦ (ع ١٦٨)
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المعرفة " مجلة " دمشق ، كانون الاول ١٩٦٥
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : الثقافة الجزائرية " مجلة " الجزائر يوليو (تموز) ١٩٧٥ (ع ٢٧)
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشق ، ٧ شباط ١٩٦١
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشق ، ٢ نيسان ١٩٦٢
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشق ، ٦ كانون الثاني ١٩٦٢
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشق ، ٢ تموز ١٩٦٣

- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشق ، ٧ تشرين الثاني ١٩٦٣
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشق ، ٢ آذار ١٩٦٤
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشق ، ٢ نيسان ١٩٦٤
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشق ، ٧ كانون الاول ١٩٦٤
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشق ، ٧ آذار ١٩٦٥
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : فلسطين " جريدة - يافا ، مطابع فلسطين ، ٢٣ حزيران ١٩٣٥
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : فلسطين " جريدة " - يافا ، مطابع فلسطين ٢٩ آذار ١٩٣٦ (ع ٣٢١٥)
- عبد الكريم "(ابو سلمى) : فلسطين " جريدة " - يافا ، مطابع فلسطين ، ٥ نيسان ١٩٣٥
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : الدفاع " جريدة " - يافا ، مطابع الدفاع ٣ آب ١٩٤٣ (ع ٢٢٠٥)
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : الدفاع " جريدة " - يافا ، مطابع الدفاع ٣ تموز ١٩٤٣
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : الدفاع " جريدة " - يافا ، مطابع الدفاع ٩ آب ١٩٤٣
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : الدفاع " جريدة " - يافا ، مطابع الدفاع ١٦ آب ١٩٤٣ (ع ٥٢٢٤)
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : الدفاع " جريدة " - يافا ، مطابع الدفاع ، ٢ آب ١٩٤٣ (ع ٢٥١٠)

- عبد اللطيف المجذوب : المرشد الى فهم أشعار العرب . مطبعة مصطفى الحلبي ، ج ١ ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٥)
- عبدالقادر ياسين : كفاح الشعب الفلسطيني . مركز الابحاث الفلسطيني ، ط ١ (بيروت ، ١٩٧٥)
- عز الدين اسماعيل : الشعر في اطار العصر الثوري . دار القلم ، ط ١ (بيروت ، ١٩٧٤)
- عز الدين اسماعيل : الشعر " مجلة " - القاهرة ، فبراير (شباط) ١٩٦٤ (ع ٢)
- عمر الدقاق : الاتجاه القومي في الشعر المعاصر . معهد الدراسات العربية ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٦٠)
- عمر فروخ : شاعران معاصران . المكتبة العلمية ، ط ١ (بيروت ، ١٩٥٤)
- عيسى الشرى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية . مكتبة فلسطين الجديدة ، ط ١ (يافا ، ١٩٣٧)
- عيسى فتوح : الموقف الأدبي " مجلة " دمشق ، آذار (مارس) ١٩٧٩ (ع ٩٥)
- غسان كنفاني : الأنوار " جريدة " - بيروت ، مطابع الأنوار ، ١٤ نيسان ١٩٦٨ (ع ٢٦٨١)
- فتاة غسان : الدفاع " جريدة " - يافا ، مطابع الدفاع ، ٢٦ آب ١٩٤٣ (ع ٢٥٣٣)
- فخري صافيه : الثقافة العربية " مجلة فصلية " بيروت ، آيار - حزيران ١٩٥٨ (ع ٢)
- قدامة بن جعفر : نقد الشعر - تحقيق كمال مصطفى الخانجي - ط ١ (القاهرة ، ١٩٤٨) .
- كامل السوافيري : الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين . مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٦٤)
- كامل السوافيري : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر . مكتبة الانجلو المصرية ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٧٣)
- ماجد صبحي فهمي : الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث . معهد البحوث العربية ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٧٠)

- محمد علي الطاهر : اوراق مجموعة بمكتب الاستعلامات الفلسطيني العربي .
ط ١ (القاهرة ، د . ت)
- محمد خورشيد الحدناني : أمير الشعراء بين العاطفة والتاريخ . ط ١
(القدس ، ١٩٣٢)
- محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي المعاصر . الهيئة العربية العامة
للكتاب ، ط ١ (الاسكندرية ، ١٩٧٥)
- محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث . دار النهضة العربية ، ط ٤
(القاهرة ، ١٩٥١)
- محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية . ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٦)
- محمد غنيمي هلال : قضايا معاصرة في الأدب والنقد . دار نهضة مصر ،
(القاهرة ، رقم الايداع بدار الكتب ٢٤٧٧)
- محمد غنيمي هلال : دراسات ونماذج في الشعر ونقده . دار نهضة مصر ،
(القاهرة ، رقم الايداع بدار الكتب ٢٥٣٩)
- محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب . مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ،
ط ١ (القاهرة ، ١٩٤٨)
- محمد مندور : محاضرات عن خليل مطران . مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، ط ١
(القاهرة ، ١٩٥٤)
- محمد مندور : الأدب ومذاهبه . مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٤ (القاهرة ، ١٩٧٣)
- محمد يونس الحسيني : التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين . مطبعة
بيت المقدس ، ط ٢ (القدس ، ١٩٦٤)
- مصطفى ناصف : الصورة الأدبية . مكتبة مصر ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٨)
- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين - في الديار النابلسية - ط ١
(بيروت ، ١٩٦٩)
- منيب الماضي وسليمان الموسى : تاريخ الاردن في القرن العشرين . ج ١ ،
ط ١ (عمان ، د . ت)
- ميخائيل نعيمة : الغربال . دار المعارف ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٤٦)
- نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر . مكتبة النهضة ، ط ١ (بيروت ، ١٩٦٢)

- ناصر الدين الأسد : محاضرات في العصر الحديث في فلسطين والأردن . معهد الدراسات العربية العالية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٦٠)

- ناصر الدين الأسد : الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن . مطبعة لجنة البيان العربي ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٧)

- هاشم ياغي : حركة النقد الأدبي في فلسطين . معهد الدراسات والبحوث العربية ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٧٣)

- ياسين عرفه الدمشقي : ديوان الثورة السورية . المطبعة العربية ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٢٦)

- يعقوب العودات : البدوي الملثم - الغواني في شعر ابراهيم طوقان - دار نجاتي للطباعة والنشر ، ط ١ (بيروت ، ١٩٥٧)

- يعقوب العودات : عرار شاعر الأردن . المطبعة الوطنية ، ط ١ (عمان ١٩٥٨)

- يعقوب العودات : ابراهيم طوقان - وطنياته ووجدانياته - ط ١ (بيروت ، ١٩٦٠)

- يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين . جمعية المطابع التعاونية ، ط ١ (عمان ، ١٩٧٦)

المراجع الأجنبيـــة

* Bushnaq A.A. An Anthology of Eng, Verse-Greek Government Press, Jerusalem, 1956.

* Tibawi A.L. Arab Education In Mandatory Palestine, London, W.C.I. 1956.

* Sayegh Fayez A. Zionist Colonialism in Pal, Beirut, 1965.

فهـــرســت الموضـوعـات

الفصـــل	الموضـــــــــــوع	الصفحـــة
مقدمـــة		أ ـ هـ
تمهيد	المجتمع الفلسطيني من ١٩١٨ ـ ١٩٤٨	١ ـ ٩
الفصل الأول	حياته :	١٠ ـ ٢٤
	ـ مولده ونشأته	١١ ـ ١٣
	ـ مراحل دراسته ونشأته	١٤ ـ ١٥
	ـ لقبـــه	١٥ ـ ١٥
	ـ موهبته	١٦ ـ ١٦
	ـ ثقافته	١٧ ـ ٢١
	ـ حياته الزوجية	٢١ ـ ٢٢
	ـ ابو سلمى معلما	٢٢ ـ ٢٣
	ـ ابو سلمى في دار الاذاعة	٢٣ ـ ٢٤
	ـ ابو سلمى بعد النكبة	٢٤ ـ ٢٤
الفصل الثاني	ابو سلمى شـــاعرا	٢٥ ـ ١٣٢
	ـ الشعر الوطني والقومي	٢٥ ـ ٥٨
	ـ الجانب الانساني في شعره	٥٩ ـ ٦٥
	ـ الجانب الاجتماعي في شعره	٦٦ ـ ٧٥
	ـ شعر الرثاء وقضية الموت والانسان	٧٦ ـ ٩٨
	ـ أغاني وأناشيد الأطفال	٩٩ ـ ١١٣
	ـ شعر الحب والغزل	١١٤ ـ ١٣٢
الفصل الثالث	الخصائص الفنية في شعره :	١٣٣ ـ ١٥٩
	ـ الأسلوب	١٣٣ ـ ١٣٩
	ـ بناء القصيدة	١٤٠ ـ ١٤٦
	ـ المعجم الشعري	١٤٦ ـ ١٥٠
	ـ الأخيلة والصور	١٥٠ ـ ١٥٩

الفصل	الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع	ابو سلمى ناثرا	١٦٠ - ٢٣٦
	- علاقته بالكلمة	١٦٠ - ١٦١
	- ابو سلمى ناقدا أدبيا	١٦١ - ٢٢٦
	- ابو سلمى ناقدا اجتماعيا	٢٢٧ - ٢٣٦
	- مؤلفاته	٢٣٧ - ٢٤٨
	- خاتمة	٢٤٩ - ٢٥٢
ثبت المراجع والمصادر		٢٥٣ - ٢٦١
فهرست الموضوعات		٢٦٢ - ٢٦٣

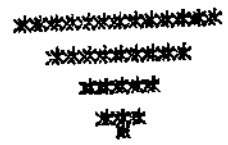

استدراك

١- سقط أثناء الطباعة ترقيم التوثيق رقم ١ فوق كلمة "العربيين" في السطر ٤ وكذلك في السطر ٩ من الصفحة نفسها سقط الرقم ٢ فوق عبارة "من مجموع السكان".

٢- سقط أثناء الطباعة توثيق التذييل رقم ١ في السطر الثاني من الصفحة ٤٢ نثبته فيما يلي: (١) شهادة سماعية للحامي الأستاذ أحمد الخليل بعمان بتاريخ ٤٢/٦/٧٦، ومن الحامي ورئيس لجنة اليتيم العربي الأستاذ محمد البرادعي العباسي في عمان بتاريخ ٢/٧/٧٧

٣- سقط سهوا وضع الرقم ٣ في السطر ١٩ صفحة ٣٠ فوق كلمة "بحيفا"

٤- ورد خطأ في صفحة ٤٩- توثيق التذييل رقم ٣ المصدر على أنه- من فلسطين ريشتي صفحة ١٥ والصواب - المشرد - صفحة ٧٣

٥- ورد خطأ في توثيق التذييل رقم ١ صفحة ١٥٥ أن المصدر من صفحة ٩٢-٩٣ والصواب صفحة ١٥٣ - ١٥٤

٦- انعكس أثناء الطباعة ترتيب التذييل رقم ٢ ورقم ٣ صفحة ١٦٥ إذ تقدم التذييل رقم ٣ على التذييل رقم ٢ والعكس صحيح.

تصويبات

تسربت الأخطاء التالية أثناء الطبع بالرغم من شدة الاحتراس، نثبتها في الجدول الآتي:

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
من ١٧	ص ٤٧	٦	٢٢ تذييل ١
لحديد المقلم	الحديد المثلم	٢٦	١٥
يحسن	يحين	٢٧	٥
سود القضاء	اسود القضاء	٢٨	٤
المعروفة ثورة	المعروفة بثوره	٣٣	٢٠
شؤون فلسطين	شؤون فلسطينية	٣٣	تذييل ١
اهس حمه الألم	اهس همه بالألم	٤٠	٢٠
لمريق العمر	طرق العمر	٧١	١٨
الضيايا	القضايا	٨٦	٢٠
تتصرف اليها	تنصرف اليها	١٠٣	١٤
وهم أبد	وهم أبدا	١٣٨	٦
في بجلة المعرض	وفي مجلة المعرض	١٦٠	٥
سواء في فلسطين أم	سواء أفي فلسطين أم	١٦٢	٤
لم يرحم	لم يوسم	١٦٤	٧
اشداء الفوائد	اشداء النواصد	١٦٤	١١
نهم أحياء في أشعارهم أغانيهم	نهما حيان في اشعارها وأغانيها	١٦٨	٥